نموذج رقم (1)

إقــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الجماعة المنتفذة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: رشا صالح أحمد العدلوني

Signature: التوقيع: رشا

Date: التاريخ: ٢٧/١٠/٢٠١٤م

الجامعـــــة الإســـــلامية- غــــــزة
عمـــــــادة الدراســــــات العليــــــا
كليـــــــة أصـــــــول الـــــــدين
قســـم التفســـير وعلـــوم القـــرآن



الجمـــاعـــة المنقـــذة فـــي القـــرآن الكـــريـــم

(دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة

رشا صالح أحمد العدلوني

إشراف

د. عبد الكريم حمدي خليل الدهشان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1435هـ -2014





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/

التاريخ Date 2014/01/27م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **رشا صالح أحمد العدلونى** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الجماعة المنقذة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 26 ربيع الأول 1435هـ، الموافق 2014/01/27م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عبد الكريم حمدي الدهشان	مشرفاً ورئيساً	....
أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مناقشاً داخلياً	....
د. محمود هاشم عنبر	مناقشاً داخلياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: 119]

وقال أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[سورة الفتح: 29]



إلى...

- صاحب الخلق العظيم، والنبي الكريم محمد ﷺ
- إلى روح والدي الذي كان يتمنى أن يرى هذا اليوم
- إلى والدتي المرأة العظيمة التي غرست في نفسي الهمة العالية، والطموح دوماً إلى الأفضل
- إلى من أعتبره المثل الأعلى في حياتي بعد رسول الله ﷺ زوجي الدكتور/عبد العزيز الرنتيسي ... رحمه الله
- إلى أرواح الشهداء الذين رووا بدمائهم ثرى الوطن
- إلى الأسود الرابضة في سجون الظلم في كل مكان
- إلى أخواتي في قيادة الحركة النسائية الإسلامية واللواتي كان لهن الدور البارز في صقل شخصيتي
- أولادي وبناتي فلذات كبدي، الذين كان لهم الدور في توفير الفرصة لتحقيق طموحاتي.
- **إلى كل من كان له دور في إثراء هذا البحث**

أهدي هذا الجهد المتواضع



انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿...لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: 7]، فإنني أحمد الله ﷻ على جزيل نعمه بأن آتاني من العلم ما أعانني على إتمام هذه الرسالة، وأسأله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله علماً يُنتفع به.

وانطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: "**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"[(1)]، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور/ **عبد الكريم حمدي الدهشان** على ما بذله من جهد وتوجيهات، وكان له الدور في إثراء هذه الرسالة، سائلة المولى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذيّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور / زكريا إبراهيم الزميلي حفظه الله.

الدكتور / محمود هاشم عنبر حفظه الله.

لقبولهما تحكيم هذه الرسالة وتنقيحها وتصويبها وإثرائها بالتوجيهات حتى تؤتي أكلها وتخرج في أفضل صورة وأبهى حلة فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الهيئة التدريسية في الجامعة الإسلامية، وأخص أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن، وكلية أصول الدين.

والشكر موصول للدراسات العليا التي أتاحت لي الفرصة لإكمال الدراسة، كذلك الشكر لمجلس أمناء ورئاسة الجامعة الإسلامية على ما يبذلونه من جهد في خدمة العلم وأهله.

(1) مسند أحمد (7938/322/13)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وسنن أبي داود (4811/255/4)، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية. صيدا . بيروت، قال الألباني: صحيح.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: 110]، والصلاة والسلام على الذي أرسله الله رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المستقرئ للتاريخ الإسلامي يجد أنه ما مرّ فترة قوة على دولة الإسلام إلا وهي متمسكة بأخلاق الإسلام، ومجتمعة من أجل رفع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وما مرت فترة ضعف إلا وهي مبتعدة عن تطبيق الإسلام ومتشرذمة ومتناحرة، من هنا جاءت أهمية الجماعة في حياة المسلمين؛ من أجل إقامة دولة الإسلام، ونشر العدل والسلام في العالم أجمع، ولقد حث القرآن الكريم على ذلك فقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]، وبيّن الحق تبارك وتعالى أهمية الجماعة والموالاة في مدافعة الباطل ومواجهة المؤامرات فقال عزّ من قائل: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: 73]؛ خاصة وأن الباطل بكل أشكاله – ورغم اختلاف أيدلوجياته – نجده يتجمع ويقيم الأحلاف، ويعقد المعاهدات؛ لمحاربة الحق وأهله.

كذلك وردت الأدلة في السنة لتبين أهمية الجماعة؛ فقال رسول الله ﷺ: "**يدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**"[1]، وقال أيضاً: " **عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَمَنْ أَرَادَ بُحْبُحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ** "[2].

والمتتبع لواقع الأمة الإسلامية في هذه الأيام يجد أنها عاشت في مذلة ومهانة لعشرات السنين، عاشت شقاءً اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وهيمنة صهيوأمريكية، مما يدفعنا لنتساءل: أين الأمة التي أوكلت لها أستاذية العالم ؟ ولماذا الأمة ذليلة مهينة مع أنها خير أمة أُخرجت للناس ؟

---

(1) سنن الترمذي (3 / 505 / 1954)، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير 1122/2).

(2) سنن الترمذي (4/ 2165/465)، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، وصححه الألباني في إرواء الغليل (1813/215/6).

من هنا جاءت أهمية هذا البحث؛ للوقوف على المواصفات التي يجب أن تتصف بها الجماعة التي اصطفاها الله لإقامة الخلافة في الأرض.

فجاءت هذه الدراسة بعنوان:

الجماعة المنقذة في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

أهمية البحث:

1. الواقع المرير الذي عاشته الأمة وما زالت؛ من تشتت وتشرذم وهيمنة الغرب على مقدراتها.
2. حاجة الأمة إلى تنظيم علاقاتها الداخلية والخارجية؛ ولن يكون ذلك إلا من خلال جماعة تأخذ على عاتقها ذلك.
3. تعدد الجماعات الإسلامية على الساحة؛ كل منها تدّعي أنها هي الأقدر على حمل رسالة الإسلام.
4. كثرة النداءات التي تملأ الآفاق داعية إلى عدم التحزب وعدم الانتماء إلى جماعة.

من هنا تبرز أهمية الدراسة؛ لفهم الواقع وتفسيره، وتأصيل العمل من خلال جماعة وردت مواصفاتها في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

1. ابتغاء مرضاة الله ﷻ هو أهم هدف وأسمى غاية.
2. بيان ضرورة العمل من خلال جماعة.
3. رد الشبهات والمطاعن التي تدعو إلى عدم التحزب.
4. الوقوف على مواصفات هذه الجماعة من خلال القرآن الكريم.
5. بيان أثر وجود الجماعة المنقذة في تحقيق الاستخلاف.
6. المقارنة بين الجماعات الإسلامية المعاصرة تبعاً للمواصفات الواردة في القرآن الكريم.
7. التأصيل للجماعة الأكثر موافقة لهذه المواصفات.

منهج البحث:

المنهج الوصفي والتحليلي والنقدي.

طريقة البحث:

1. جمع الآيات التي تشتمل على مفهوم الجماعة أو الحزب.
2. توزيع الآيات على المباحث والمطالب حسب طبيعة الموضوع.
3. الرجوع إلى المصادر الأصلية في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
4. الاستدلال بالسنة النبوية إن كانت قولاً أو فعلاً أو تقريراً من باب التوضيح والتفسير للآيات عند الحاجة.
5. الرجوع لكتب الفقه لتوضيح بعض المسائل الفقهية دون الخوض في الفروع والجزئيات.
6. الرجوع إلى المعاجم اللغوية الأصلية من أجل بيان معاني المفردات.
7. تخريج الأحاديث الواردة في البحث مع ذكر حكم العلماء عليها في غير الصحيحين إن وُجد.
8. ذكر أقوال العلماء والراجح فيها، وترجيح الباحثة في القضايا المهمة في البحث.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات التي سبقت هذه الدراسة كانت عبارة عن إشارات أو جزئيات في الحديث عن هذا الموضوع، لم تستوعب الموضوع بكل جزئياته، ومن هذه الدراسات:

1. معالم الجماعة المسلمة من خلال سورة آل عمران، للطالب/ أحمد عياش حبيب، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية 2008م، وقد اقتصرت الرسالة على سورة آل عمران، أما دراستي فهي من خلال القرآن كله.
2. الطريق إلى جماعة المسلمين، للدكتور/ حسين بن محمد بن علي جابر، 1986 م وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في الحديث، أما دراستي فهي في التفسير.

وهناك بعض الكتب التي أشارت إلى هذا الموضوع:

1. أبجديات التصور الحركي، فتحي يكن، ط1–1981م.
2. الحركات الإسلامية شبهات وردود، أ. د. توفيق الواعي، ط2–2007م
3. الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، 1978م.

هذا وقد قمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وكان الرد أنه لم يكتب أحد تحت هذا العنوان برسالة علمية محكَّمة، وكذلك تم البحث في مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة.

هيكلية البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وفهارس

المقدمة، وتشتمل على: أهمية البحث، أهداف البحث، منهج وطريقة البحث، الدراسات السابقة، وخطة البحث.

خطة البحث:

الفصل الأول

الجماعة المنقذة وحكم العمل من خلالها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مفهوم الإنقاذ لغة وشرعاً.

المبحث الثالث: الاستعمال القرآني لمصطلح الجماعة ونظائره.

المبحث الثالث: حكم العمل من خلال جماعة.

الفصل الثاني

ضرورة الحزب أو الجماعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الحزب من ناحية شرعية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مواجهة أعداء الإسلام.

المطلب الثاني: حماية الإسلام من إقصائه عن الحكم.

المطلب الثالث: تحكيم شرع الله.

المبحث الثاني: الضرورة البشرية لوجود الحزب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الضرورة السياسية والعسكرية.

المطلب الثاني: الضرورة الاقتصادية الاجتماعية.

المبحث الثالث: شبهات وردود

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشبهات التي تدعو إلى عدم التحزب.

المطلب الثاني: رد المطاعن والاتهامات.

الفصل الثالث

خصائص ومواصفات الجماعة المنقذة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الربانية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان والثقة بالله.

المطلب الثاني: الاعتصام بكتاب الله.

المطلب الثالث: الصدق.

المطلب الرابع: الصبر.

المطلب الخامس: العدل.

المبحث الثاني: التميز.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية.

المطلب الثاني: العالمية.

المطلب الثالث: الوعي.

المطلب الرابع: التخطيط.

المطلب الخامس: التنظيم.

المطلب السادس: التربية.

المبحث الثالث: الشمولية والتكامل.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: العمل.

المطلب الثالث: الجهاد.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: الأخلاق.

المبحث الرابع: التوازن.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بين الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: بين الحقوق والواجبات.

المطلب الثالث: بين القيادة والجندية.

المطلب الرابع: بين الترغيب والترهيب.

المبحث الخامس: المرونة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الثوابت والمتغيرات في حياة الجماعة المنقذة.

المطلب الثاني: الوحدة حول الثوابت.

الفصل الرابع

الجماعات الإسلامية المعاصرة " دراسة تطبيقية "

وفيه مبحث:

المبحث الأول: المنهج الفكري للجماعات الإسلامية المعاصرة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: جماعة أنصار السنة المحمدية.

المطلب الثاني: الصوفية.

المطلب الثالث: جماعة التبليغ.

المطلب الرابع: حزب التحرير.

المطلب الخامس: جماعة الإخوان المسلمين.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس وتشتمل على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام المترجم لها.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



الفصـــل الأول
الجماعة المنقذة وحكم العمل من خلالها

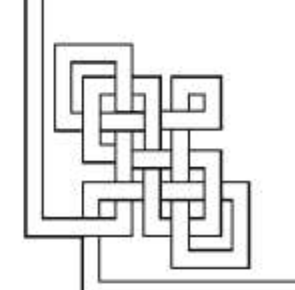
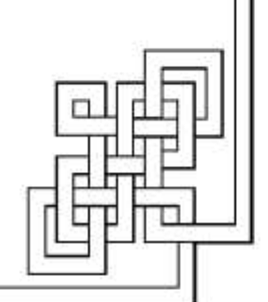
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: تعريف الإنقاذ لغة وشرعاً

المبحث الثالث: الاستعمال القرآني لمصطلح الجماعة ونظائره.

المبحث الرابع: حكم العمل من خلال الجماعة.

المبحث الأول
تعريف الجماعة لغة واصطلاحاً

المبحث الأول

تعريف الجماعة في اللغة والاصطلاح

الجماعة في اللغة:

مـأخوذة مـن مـادة جمـع، وهـي تـدور حـول الجمـع، والإجمـاع، والاجتمـاع، وإن المتتبـع للمعاني يجدها تحمل معنى الاجتماع:

- إمـا اجتمـاع الأفراد فـي مكـان أو مـن أجل أمـر؛ كمـا فـي: (أجمعت الأمـر إجمـاعاً) إذا عزمت عليه[1].
- أو فـي اجتمـاع أعضـاء الجسم؛ كمـا فـي: (استجمع الفرس جريـاً)[2]، أي انطلـق بجميـع جسده.
- أو في اجتماع القوة في عضو واحد؛ كما في: (ضربته بجمع كفي) [3] أي مقبوضة.

فإذا كانت القوة ضرورية للفرد – كما وضح في حديث رسول الله ﷺ: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**"[4] – فهي ألزم وأكثر ضرورة في الجماعة التي تتكون من أفراد لهم مميزاتهم، يعينون بعضهم البعض، يتكاتفون ويتآلفون؛ من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وهي أكثر إلزاماً وتحقيقاً في الجماعة المنقذة؛ والتي رسالتها بناء دولة الإسلام، وإقامة حكم الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله ﷻ.

الجماعة في الاصطلاح:

"هم أهل المنعة والشوكة من المسلمين؛ إذا اجتمعوا على أمير موافق للكتاب والسنة، وبايعوه على السمع والطاعة بيعةً تحصل بها القدرة والسلطان"[5].

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (464/20)، دار الهداية.

(2) مجمل اللغة لابن فارس (198/1)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط2 . 1406 هـ – 1986 م، مؤسسة الرسالة . بيروت.

(3) لسان العرب لابن منظور (8 /56)، ط3 . 1414 هـ، دار صادر . بيروت.

(4) صحيح مسلم (2664/2052/4)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(5) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (527/1)، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، 1406 هـ – 1986 م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وأرى أن هذا التعريف يتواءم مع موضوع الدراسة: " الجماعة المنقذة "؛ لتتمكن من تحقيق الإنقاذ بمفهومه الصحيح.

تعريف نظائر الجماعة وهي:

الأمة، الحزب، الطائفة، القوم، والفئة.

أولاً- الأمة:

الأمة في اللغة:

- (أ م م) أم الشيء أصله.
- والأمة: الجماعة، ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...**﴾ [آل عمران: 110] ".
- والأمة: الحين، ﴿**...وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...**﴾ [يوسف: 45] ".
- والأمة: الدين، ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ...**﴾ [الزُخرف: 22].
- والأمة: الإمام، ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...**﴾ [النحل: 120] [1].

الأمة في الاصطلاح:

- " هي تلك الجماعة التي تربطهم رابطة اجتماع يُعتبرون بها واحداً "[2].

وأعتقد أنه ليس بالضروري أن يُعتبروا بهذه الرابطة واحداً، ولكن الأهم أن يكون هدفهم واحد - مع اختلاف في الآراء - يكون له دور في الارتقاء، ومن هنا جاء قول الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...**﴾ [آل عمران: 110].

---

(1) انظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي (1 / 22)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5 . 1420هـ / 1999م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (230/31)، دار الهداية، ولسان العرب، ابن منظور (27/12)، ط3 . 1414 هـ، دار صادر . بيروت.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (22/2)، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانياً – الحزب:

الحزب في اللغة:

- الحاء والزاي والباء أصل واحد وهو تجمع الشيء، والحزب يأتي بمعنى الجماعة، والوِرد، والطائفة من الناس، وحزب الرجل جماعته التي تعينه؛ فيقوى أمره بهم [1].

الحزب في الاصطلاح:

" هو الطائفة التي تتحزب؛ أي تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان؛ فهم مؤمنون لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم... فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن الفرقة والاختلاف "[2].

وأرى أن هذا التعريف للحزب يتوافق مع مفهوم الجماعة المنقذة، والتي هي موضوع دراستي، ونأتي إلى تعريف باقي الألفاظ لغوياً فنقول:

الطائفة:

- (ط و ف) طاف حول الشيء " طوفاناً "، وتطوّف، واستطاف، والطائفة: الفرقة من الناس بمعنى الجماعة، وأقلها ثلاثة، ﴿. . **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ**..﴾ [التوبة: 122][3].

القوم:

- الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها، خُصِصت بجماعة الرجال دون النساء، ﴿...**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**...﴾ [الحجرات: 11] [4].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(2 / 55)، تحقيق عبد السلام هارون، 1399هـ – 1979م.، دار الفكر، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (133/1)، المكتبة العلمية . بيروت، والفروق اللغوية (278/1)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية (92/11)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

(3) مختار الصحاح، زين الدين الرازي (1 / 193)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (380/2)، المكتبة العلمية . بيروت.

(4) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (768/2)، دار الدعوة، ومجمل اللغة، ابن فارس (738/1).

الفئة:

- الفئة: الطائفة، أصلها فيء، ج: فئون وفئات[1]، والفئة هي الطائفة المقيمة وراء الجيش للالتجاء إليهم عند الهزيمة، والفئة هي الجماعة المتفرقة من غيرها، فأَوْتُ رأسه؛ أي فلقته[2].

الملاحظ من هذه التعريفات التي وردت للجماعة ونظائرها؛ أنها تحمل نفس المفهوم مع الفارق في الكم والشمول.

فالجماعة والحزب جماعة، والأمة جماعة، وكذلك الطائفة والفئة والقوم، ولكن الذي يعنينا من هذه الألفاظ الحزب والأمة؛ لأنهما الأقرب إلى حمل مفهوم الجماعة والله أعلم.

---

(1) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي (1 / 48)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، ط8 . 1426 هـ - 2005 م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(2) التعريفات للجرجاني (1 / 164)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1 . 1403هـ -1983م، الفروق اللغوية للعسكري (1 / 279)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.



المبحث الثاني
مفهوم الإنقاذ لغة وشرعاً

المبحث الثاني

مفهوم الإنقاذ لغة وشرعاً

1. الإنقاذ لغة:

ورد في باب النون والقاف والذال (ن ق ذ)، نقذ وأنقذ واستنقذ وكلها بمعنى نجّاه وخلّصه واستخلصه، ويقال: عوامة الإنقاذ، وقارب الإنقاذ، وسيارة الإنقاذ وكل هذه وسائل تُستخدم للتخليص من الهلاك والإنجاد من الغرق وغيره(1).

2. الإنقاذ شرعاً:

ورد الإنقاذ في القرآن بمفهومين:

أولاً: إنقاذ من المهلكات في الدنيا؛ كالغرق وغيره، وهذا محدد بأجل وينقسم إلى قسمين: رحمة ومتاع، قال تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس: 43، 44]؛ "فالرحمة لمن علم الله أنه مؤمن فينقذه تخفيفاً عنه ورحمة إلى أجله، وأما المتاع لمن علم الله أنه لايؤمن فليتمتع زماناً ويزداد إثماً".(2)

ثانياً: الإنقاذ في الدنيا بالهداية إلى الصراط المستقيم، وفي الآخرة من عذاب الله ومن النار، قال تعالى: ﴿...وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا...﴾ [آل عمران: 103]، أي" كنتم مشرفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها بالإسلام"(3)، والمُلاحَظ في المثلين السابقين أن الإنقاذ متعلقٌ بالله ﷻ، وفي المقابل سخر عباداً له يحملون هذا المفهوم؛ فأرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وإنقاذهم من النار، أما قوله تعالى: ﴿...أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر: 19].

---

(1) عمدة القارئ شرح البخاري، بدر الدين العيني (168/1)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ، د.ط، د.ت، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (830/1)، ولسان العرب لابن منظور (516/3)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي _(113/5)، انظر شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (6517/10)، المحقق حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سوريا ط 1، 1420هـ – 1999م، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (247/1)، د.ط، د.ت، .

(2) مفاتيح الغيب للرازي_(286/26)، مرجع سابق.

(3) الكشاف للزمخشري_(395/1)، مرجع سابق.

مخاطباً سيدنا محمد ﷺ فليس من باب التعجيز؛ وإنما تهوينًا على الرسول ﷺ في دعوته للناس حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات، وأطلق الإنقاذ في هذه الآية على الإلحاح في الإنذار، وتكرير دعوتهم إلى الإسلام وحزنه على إعراضهم وضلالهم[1].

كذلك فإن الإنقاذ يأتي بمعنى النصر والمظاهرة بالفعل[2] ويُعْتَبَر ذو القرنين وبناؤه للسد مثلاً عملياً لذلك فما قام به كان إنقاذاً لهؤلاء القوم من يأجوج ومأجوج وحمايةً لهم وهذا دليل على أن الإنقاذ لا يتم إلا بالعمل والجهد المتواصل وتكاثف الجهود، والانقياد الطوعي للشعوب لشرع الله خلف القيادة الربانية [3].

وهل الجماعة المنقذة إلا هذه رسالتها؛ أن تحرص على إنقاذهم في الدنيا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ويكون لها دور في إنقاذهم من عذاب النار في الآخرة؛ اقتداء برسول الله ﷺ الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿...قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِيناً﴾ [النساء: 174]، نعم إنها رسالة النبوة فهي طريق الإنقاذ والنجاة، برهان واضح وحجة نيّرة، تعطي اليقين التام، وتبين حقيقة الإيمان بالله [4].

ومن أروع ما قرأت في مفهوم الإنقاذ ما ذكره أبو الحسن الندوي بعد أن ضرب مثلاً[5] لرسالة النبوة في إنقاذ البشرية وإسعادها:

"هذه هي **مهمة النبوة ودورها في إنقاذ البشرية** المشرفة على الغرق وهذه طبيعة عمل الأنبياء والرسل وامتيازه عن سائر أصناف التعليم والتربية والترويح والتسلية، يمنحون الجيل البشري علم النجاة، ويعلمونه فن السباحة وتجديف سفينة الحياة "[6].

---

(1) انظر: المرجع السابق، (4/ 131)، روح المعاني، الألوسي(243/12)،، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (23 /371)..

(2) الرد على البردة المؤلف عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز المتوفي 1282هـ المحقق أبو عبد الأعلى خالد محمد، دار الآثار، ط الأولى، د.ت 1/ص14 وكان ذلك ردا على تفسير الإنقاذ بالشفاعة مبين أن الشفاعة تكون بأولى الجاه وبين أن هناك فرق بين الشفاعة والإنقاذ، وفي ذلك تكون شفاعة الرسل صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لمكانته

(3) انظر: كتاب الإيمان بالقدر علي محمد محمد الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1 197/1

(4) انظر: الوسيط للزحيلي(420/1)، مرجع سابق.

(5) المثل هو قصة طلبة ركبوا سفينة وكانوا يتجاذبون الحديث مع ربانها الأمي فلما عرفوا أنه لا يعرف شيئا من العلوم الطبيعية قالوا له: لقد ضاع نصف عمرك، وأثناء الحديث هبت عاصفة وهاج البحر وماج فأراد الربان أن يلقنهم درسا فسألهم إذا كانوا يجيدون علم السباحة فلما كانت الإجابة بالنفي، كان رده عليهم لقد أتلفتم عمركم كله، لأن العلم الوحيد الذي سينجدكم هو علم السباحة.

(6) السيرة النبوية (614/1-616)، الناشر دار ابن كثير، دمشق الطبعة الثانية عشرة 1425هـ، والقصة مقتبسة من كتاب " النبوة والأنبياء في ضوء القرآن " (24) دار القلم دمشق ط 7.

فإذا كان الله قد عَلَّمَ نوحاً صناعة السفينة؛ ليكون له دور في إنقاذ الذين آمنوا معه من الطوفان، فإن الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، وحَمَلَتْها الجماعة المنقذة مِنْ بعده، هي السفينة في العصر الحالي التي ينجو كل من يركب، وحُقَّ للجماعة المنقذة أن تقول لكل البشرية ما قاله نوح لابنه: ﴿. . .يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42]،

فلن يعصم البشرية اليوم إلا الركوب في هذه السفينة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 175].

"فكانت رحمة الله بالبشرية أن أيقظ مجموعة من الأمة لتقيم الرسالة في ذواتها أولاً، ثم تتولى بعد ذلك مهمة إيقاظ الأمة وإقامة الدين بشموله فيها؛ ليقوم مجموع الأمة تبعاً لذلك، بأداء وظيفتها الرئيسة ألا وهي:

إنقاذ البشرية وإسعادها بالإسلام ﴿...وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله...﴾ [الأنفال: 39][1].

3. من مرادفات الإنقاذ:

أ. الإنجاء:

قال تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب...﴾ [البقرة: 49]،

وقال تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: 50]،

فكانت نعمة الله على بني إسرائيل أن أنقذهم من الاضطهاد والعذاب وبعد ذلك من الغرق[2]

ب. الإيواء:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ...﴾ [الأنفال: 26]، فإن الإيواء يستعمل في مقام الإنقاذ والتنجية من الهم و الكرب[2]، وكذا يوسف حينما آوى إليه أبويه بعد ما مر بهما من ابتلاءات.

---

(1) كتاب عودة الروح ويقظة الإيمان، مجدي الهلالي (28/1)، دار السراج، توزيع مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الأولى 1420هـ، 2009م.

التفسير الوسيط للزحيلي-(718/1)، مرجع سابق.

(2) تفسير المنار محمد رشيد رضا_(36/6)، مرجع سابق.

ج.الإحياء:

قال تعالى: ﴿... **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...**﴾[المائدة: 32]، أي ومن كان سبباً في حياة نفسٍ واحدة بإنقاذها من موتٍ كانت مشرفة عليه فكأنما أحيا الناس جميعاً لأن الباعث على الإنقاذ هو الشفقة والرحمة واحترام الحياة الإنسانية والوقوف عند حدود الشرائع وأنه إذا استطاع أن ينقذهم كلهم من الهلاك لا يدخر وسعاً ولا يني في ذلك.[1]، ويأتي العتق في إطار هذا المفهوم ولذلك قال رسول الله ﷺ: "**أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّـهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**"[2].

د.الإغاثة:

قال تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال: 9]

أي: تستجيرون به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بألف من الملائكة[3]، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فتكون الإغاثة بمفهوم آخر فقد قال تعالى: ﴿. . .**وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ...**﴾[الكهف: 29]، فالإغاثة... هي الإنقاذ من العذاب ولكنها جاءت هنا تهكماً وتشفياً من أهل النار، فالإغاثة هنا ضد الإغاثة نفسها [4].

هـ.الإخراج:

قال تعالى: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور...**﴾ [البقرة: 257]،

فالإخراج هنا بمعنى الإنقاذ؛ حيث أنه يخرجهم... من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، من ظلمات المعاصي إلى نور التوبة والطاعة، من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من ظلمات الشقاء إلى نور السعادة والراحة النفسية، ومن ظلمات الانحراف إلى نور الاستقامة.

وأي إنقاذٍ يضاهي هذا الإنقاذ وهل هذا إلا رسالة الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء رايته.

---

(1) تفسير المراغي_(102/6)، مرجع سابق.

(2) رواه مسلم باب فضل العتق، (ج2/ص1148/ح1509)، مرجع سابق.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري_(50/11)، مرجع سابق..

(4) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية _حمص سوريا(589/5)_ط 4، 1415.

المبحث الثالث
الاستعمال القرآني لمصطلح الجماعة ونظائره

المبحث الثالث

الاستعمال القرآني لمصطلح الجماعة ونظائره

إن المتتبع للفظ الجماعة في القرآن الكريم يجد أنها لم ترد لفظاً في القرآن الكريم ولكن وردت بمعناها مثل: أمة، حزب، طائفة، قوم، فئة.

وكلها تحمل مفهوم الجماعة، ولذلك سأكتفي بذكر نظائر الجماعة.

أولاً: الأمة:

لقد وردت كلمة أمة تسعٌ وخمسون مرة، أربع وأربعين مرة في القرآن المكي، بينما لم يرد في المدني إلا خمسة عشر مرة وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية الجماعة في بناء دولة الإسلام حيث كان ذلك مع بداية الدعوة – رغم أنهم كانوا مستضعفين– وبما أن القرآن المكي كان يبني عقيدة؛فهذا يؤكد أن إقامة الجماعة من أصل العقيدة.

الآيــة	السورة	رقم الآية
﴿...وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا...﴾	البقرة	128
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ...﴾	البقرة	134
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ...﴾	البقرة	141
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾	البقرة	143
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾	البقرة	213
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	آل عمران	104
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ....﴾	آل عمران	110
﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾	آل عمران	113
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	النساء	41
﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ...﴾	المائدة	48

الآيــة	السورة	رقم الآية
﴿...مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾	المائدة	66
﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ...﴾	الأنعام	108
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	الأعراف	34
﴿...كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾	الأعراف	38
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	الأعراف	159
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ...﴾	الأعراف	164
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	الأعراف	181
﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا...﴾	يونس	19
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾	يونس	47
﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	يونس	49
﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ...﴾	هود	8
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	هود	118
﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾	يوسف	45
﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ...﴾	الرعد	30
﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾	الحجر	5
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾	النحل	36
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا...﴾	النحل	84
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾	النحل	89
﴿...أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ...﴾	النحل	92
﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾	النحل	93
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	النحل	120
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	الأنبياء	92
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا...﴾	الحج	34
﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ...﴾	الحج	67

الآيــة	السورة	رقم الآية
﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾	المؤمنون	43
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ...﴾	المؤمنون	44
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	المؤمنون	52
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	النمل	83
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾	القصص	23
﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا...﴾	القصص	75
﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	فاطر	24
﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾	غافر	5
﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾	الشورى	8
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾	الزخرف	22
﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾	الزخرف	33
﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا...﴾	الجاثية	28
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾	الأنعام	38
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾	الأنعام	42
﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ...﴾	الأعراف	38
﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	هود	48
﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ...﴾	الرعد	30
﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾	النحل	63
﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾	العنكبوت	18
﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾	فصلت	25
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾	الأحقاف	18

الآيــة	السورة	رقم الآية
﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...﴾	الأعراف	160
﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...﴾	الأعراف	168
﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم...﴾	فاطر	42
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	الأنبياء	92
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	المؤمنون	52

ثانياً: الحزب:

وردت كلمة حزب سبعة عشر مرة؛ إحدى عشر منها مكية، والباقي مدنية والملاحظ أن الحديث عن الغلبة والفلاح لحزب الله والخسران لحزب الشيطان ورد في السور المدنية، وإن دل هذا على شئ فإنه يدل أنها نزلت في عهد الاستخلاف.

الكلمة	الآية	السورة	رقم الآية
حزب	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾	المائدة	56
	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	المؤمنون	53
	﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	الروم	32
	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾	المجادلة	19
	﴿...أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	المجادلة	22
حزبه	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...﴾	فاطر	6
الحزبين	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾	الكهف	12
الأحزاب	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ...﴾	هود	17
	﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾	الرعد	36

الكلمة	الآية	السورة	رقم الآية
	﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	مريم	37
	﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ...﴾	الأحزاب	20
	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ...﴾	الأحزاب	22
	﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾	ص	11
	﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ﴾	ص	13
	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾	غافر	5
	﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾	غافر	30
	﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾	الزخرف	65

ثالثاً: الطائفة:

وردت كلمة طائفة أربعاً وعشرين مرة، سبعة عشر منها مدنية والباقي مكية، والملاحظ أن الآيات المدنية تحدثت عن أهل الكتاب والمنافقين وكذلك في بعض التشريعات والغزوات وهذا كله في ظل قيام دولة الإسلام.

الكلمة	الآية	السورة	رقم الآية
طائفة	﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ...﴾	آل عمران	69
	﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ...﴾	آل عمران	72
	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ...﴾	آل عمران	154
	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي	النساء	81

الكلمة	الآية	السورة	رقم الآية
	تَقُولُ...﴾		
	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ...﴾	النساء	102
	﴿...وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ...﴾	النساء	102
	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ...﴾	النساء	113
	﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا...﴾	الأعراف	87
	﴿...إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾	التوبة	66
	﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا...﴾	التوبة	83
	﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾	التوبة	122
	﴿...وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	النور	2
	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ...﴾	القصص	4
	﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا . .﴾	الأحزاب	13
	﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ...﴾	الصف	14
طائفتان	﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا.... ﴾	آل عمران	122
	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾	الحجرات	9
طائفتين	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾	الأنعام	156
الطائفتين	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ...﴾	الأنفال	7

رابعاً: القوم:

وردت كلمة قوم أربعمائة وثمانين مرة في معظم سور القرآن الكريم المكي منه والمدني والملاحظ أن المكي تحدث عن أقوام الأنبياء عليهم السلام، ومعارضتهم لهم ومحاربتهم وتكذيبهم وفي ذلك تسلية لسيدنا محمد ﷺ في وقت الاستضعاف، أما المدني فكان الحديث في معظمه عن المؤمنين وعن الجهاد والنصر وكل ذلك في عهد القوة والاستخلاف.

الكلمة	الآيـــة	السورة	رقم الآية
القوم	﴿... وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	250
قوم	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ...﴾	النساء	90
لقوم	﴿...وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة	230
قومك	﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ...﴾	الأنعام	66
قومنا	﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً...﴾	الكهف	15
قومه	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...﴾	الأنعام	83
قوماً	﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾	الأعراف	64
لقومكما	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا...﴾	يونس	87

خامساً: الفئة:

وردت كلمة فئة سبع مرات؛ خمسٌ منها مدنية ومرتان مكية والمعروف أن الفئة لها أثرها في تحقيق النصر أو عدمه.

اللفظ	الآيـــة	السورة	رقم الآية
فئة	﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة	249
	﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾	الكهف	43
	﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾	القصص	81
فئتان	﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ...﴾	الأنفال	48
فئتكم	﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ...﴾	الأنفال	19

اللفظ	الآيـــة	السورة	رقم الآية
فئتين	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا...﴾	آل عمران	13
	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا...﴾	النساء	88

الخلاصة:

إن المتتبع لمعاني الألفاظ التي وردت يلاحظ ما يلي:

1. أن هذه الألفاظ أمة، حزب، طائفة وردت على سبيل المدح تارة، وعلى سبيل الذم تارة أخرى، وذلك يفهم من المواصفات التي يحملها هذا اللفظ.

2. أن لفظ حزب وهي التي من أقرب المعاني لكلمة أمة أو جماعة، نجد أنها جاءت بالجمع، وهي كلمة " أحزاب "؛ وهذه وردت في وصف الذين يتآمرون ويحاربون حزب الله من أيام الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.أما لفظ الحزب بالمفرد فقد ورد في القرآن في ذكر حزبين لا ثالث لهما، وهما حزب الله وحزب الشيطان، ووردت مواصفات لحزب الله والتي سنتعرض للحديث عنها بالتفصيل في الفصل الثالث، ومواصفات لحزب الشيطان وأساليبه ومخططاته في مواجهة حزب الله.

<u>وهنا تساؤل:</u> من لم يكن مع حزب الله أو مع حزب الشيطان أين يكون ؟ لقد قال رسول الله ﷺ: "إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"[(1)]. هؤلاء الذين تتقاذفهم الأهواء والشهوات والمصالح، وهؤلاء الذين يراهن عليهم حزب الشيطان في تحقيق أهدافه في محاربة حزب الله، مستغلاً غفلتهم أو حرصهم على مصالحهم الدنيوية فيقدم لهم الإغراءات، أو من خلال خوفهم من التعرض للأذى.

3. أن كل هذه الألفاظ تأتي بمعنى القوة والمنعة والتجمع والتكتل، إما في حقٍ وإما في باطل. وهذا يدل على أن هناك تحزباً محموداً، وهو تحزب أهل الحق، وتحزباً مذموماً؛وهو تحزب أهل الباطل في مواجهة الحق ومحاربته، ومن هنا وجب على الجماعة المنقذة أن تأخذ دورها في تحقيق التحزب المحمود، للنهوض بالأمة ولمواجهة التحزب المذموم بكل أشكاله.

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم (765/330/1)، من كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1 . 1411هـ – 1990م، دار الكتب العلمية . بيروت.

كلمة أخيرة:

في ظل هذه المؤامرات التي تُحاك ضد الإسلام وأهله، هل بقي للعاملين على الساحة الإسلامية عذر في عدم التكتل والتحزب من اجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله ؟؟؟

إن الذي يحدث على الساحة العربية والساحة الإسلامية؛ لهو كفيل أن يوقظ الغافلين، ويشدّ همة المترددين؛ للوقوف بقوة، مؤلفة قلوبهم، متكتلين، ملتفين حول الجماعة التي تعلن أنها حاملة للواء الإسلام، مدافعة عنه مضحية بالغالي والنفيس من أجله.

وإن المتتبع للأحداث الدامية في مصر، والتي يتضح الأمر فيها جلياً كيف أن الباطل جنّد أناساً كثر؛ لتحقيق أهدافه في محاربة الإسلام وأهله بإغراءات دنيوية؛ من أموال ومناصب...إلى غير ذلك، وبعد تحقيق أهدافه تنصّل من وعوده، وتنكّر لهم، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أذكر قول الله تعالى: ﴿...**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُواْ الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: 269].

المبحث الرابع
حكم العمل من خلال الجماعة

المبحث الرابع

حكم العمل من خلال جماعة

إن الحديث عن الجماعة لقي اهتماماً كبيراً من العلماء والفقهاء – قديماً وحديثاً –؛لأهمية هذا الموضوع في حياة الأفراد، بل وفي حياة الأمة، خاصة أن آيات كثيرة وردت في كتاب الله تؤكد على هذا الموضوع وتحث عليه.

كذلك فإن المتتبع للسنة النبوية يجد أن سيدنا محمد ﷺ – والذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى– ذكر الجماعة وأهميتها، بل وأهمية التزام الجماعة، مؤكداً على السمع والطاعة للقيادة وكل ذلك؛ من أجل تحقيق الأمن للأفراد وللأمة.

و في ظل الواقع الذي تعيشه البشرية من صراع بين الحق والباطل، والتكتلات التي يقيمها الباطل في مواجهة الحق، للقضاء عليه؛ بل واستئصال شأفته تظهر أهمية قيام هذه الجماعة أو هذا الحزب، وقبل ذكر الأدلة، لابد من معرفة أننا لا نستطيع أن نقف من التحزب موقف التحريم أو الابتداع، مع أهمية التفرقة بين التحزب المحمود والتحزب المذموم، ومناقشة القضية بطريقة علمية من خلال الآيات وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، ومن ثم الرجوع إلى آراء الفقهاء الأوائل والمعاصرين في هذا الأمر، وبعدها يكون الحكم بما يرضي الله.

أولاً: الأدلة القرآنية:

أ. قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾ [آل عمران: 103]،

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاعتصام، أي بالتمسك بكتاب الله والاجتماع عليه، ونهى عن التفرق والتشتت والشرذمة؛ تبعاً للأهواء والشهوات، وحتى يتحقق هذا الأمر فلابد أن يسبقه ما يعين عليه؛ ولذلك وجدنا أن الله ﷻ أمرنا بالتقوى في قوله: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...**﴾ [آل عمران: 102] قبل الأمر بالاعتصام؛ لعلمه سبحانه وتعالى بضرورة التقوى؛ لتحقيق الاعتصام الذي أراده الله.

ولقد اختلف المفسرون في تفسير آية الاعتصام حول معنى الحبل الذي ورد ذكره في تلك الآية؛ فمنهم من قال أن الحبل هو كتاب الله(1)، أما ابن مسعود فقال: " إن حبل الله هو

(1) هو أبو سعيد الخدري، انظر جامع البيان في تاويل القرآن، الطبري (72/7)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1 . 1420 هـ – 2000 م، مؤسسة الرسالة.

الجماعة " [1]، ولقد رجح الإمام القرطبي ما قاله ابن مسعود، ثم قال: " والمعنى كله متقارب متداخل فإن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة " [2].

وسواء كان الحبل هو كتاب الله، أو الجماعة، أو جاء بمعنى " السبب الذي يُتوصل به إلى البغية "[3]، أو كما اعتبره الطبري: " العهد الذي عهده الله إلى المؤمنين من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله " [4]، فهذا يؤكد على أهمية وجود الجماعة المتمسكة بكتاب الله، والمعتصمة به؛ " فالدين كله في الاعتصام بهِ، وبحمله علماً وعملاً وإخلاصاً واستعانةً ومتابعةً واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة " [5].

ب. قال تعالى: ﴿. . .وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ...﴾ [المائدة: 2]

مما لا شك فيه أن الأمر بالتعاون دليل على أهمية الجماعة في حياة المؤمنين؛ لمواجهة تكتل الباطل والذي لا يخلو منه زمن من الأزمان.

وللعلم أنه لولا وجود الباطل ما تميّز الحق؛ ولذلك يأمر الله ﷻ أهل الحق بالتميز عن أهل الباطل؛ من خلال التمسك بالأخلاق الفاضلة، والتعاون من أجل تحقيقها في المجتمع، وبهذا جاء الأمر الرباني في هذه الآية بالتعاون على البر والتقوى، "والأمر للوجوب" [6].

"فالله ﷻ يأمر عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم"[7]،

(1) تفسير ابن المنذر (772/319/1)، تحقيق سعد بن محمد السعد، ط1 . 1423 هـ، 2002 م، دار المآثر. المدينة المنورة.

(2) الجامع لأحكام القرآن، (4 / 159)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2 . 1384هـ – 1964م، دار الكتب المصرية . القاهرة.

(3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (1 / 367)، ط الحلبي الثانية 1382 هـ.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، (7 / 72)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1 . 1420 هـ – 2000 م، مؤسسة الرسالة.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (3 / 323)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3 . 1416 هـ – 1996م، دار الكتاب العربي . بيروت.

(6) المرجع السابق، الطبري (8 / 52).

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3 / 10)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط1، 1420هـ – 1999 م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ومن أجمل ما قرأت تعقيباً على هذه الآية ما ذكره د. عبد الله عزام: " وأي بر وأي خير أعظم من إعادة المجتمع المسلم الذي يقيم شريعة الله جميعاً ويحيا من أجلها، وأي شر وأي إثم أعظم من أن يترك دين الله نهبةً للناهبين، وحمىً مستباحا لكل ظالم وطاغية "[1].

نعم إنها الحقيقة التي يجب أن يؤمن بها كل العاملين للإسلام؛ وهي ضرورة وجود الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله، وتحيا من أجله، وتقف حصناً حصيناً في مواجهة مؤامرات الباطل وتكتلاته.

ج. قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104].

إن المتدبر لهذه الآية يستشعر أهمية الرسالة المنوطة بهذه الأمة بصفة عامة، والجماعة المنقذة بصفة خاصة، ويستشعر أيضاً ثقل الأمانة المطالبة بها، وكأن الله ﷻ يريد أن يبين لهذه الجماعة أهمية الاستمرارية في هذا الأمر؛ لتتمكن من مواجهة المؤامرات؛ بل وإصلاح البشرية، وإنقاذها من براثن الفساد.

والشاهد هنا صيغة المضارع التي وردت في قوله تعالى: ﴿**يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ**﴾، ﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ**﴾، ﴿**وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾، ثم إن بداية الآية تدل على الوجود والكينونة في ﴿**وَلْتَكُنْ...**﴾؛ لأهمية وجود الجماعة المنقذة التي تعمل على تحقيق ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...**﴾ أي: " منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر "[2]، وكلمة " منتصبة " تدل على علو الهمة، وعلى الرباط، وعلى الاستعداد المستمر، وهذا كله يحتاج إلى صبر وتقوى، وقد ورد هذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200]، وما أظن كلمة منتصبة إلا دالة على هذه المعاني جميعاً.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 103]، دليل على أن يكون من هذه الأمة " أمة " أو جماعة تأخذ على عاتقها الدعوة إلى الله بمفهومها الشامل، " فالأمة أخص من الجماعة، وإقامة هذه الأمة الخاصة فرض عين يجب على كل مكلف أن يشترك فيه مع الآخرين... ومن أعمال هذه

---

(1) حكم العمل في جماعة، د.عبد الله عزام (13)، دار ابن حزم، 1392 هـ.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2 / 78)، مرجع سابق.

الأمة الأخذ على يد الظالمين "[1]، وهذا دليل واضح على وجوب العمل على إيجاد الجماعة المنقذة التي تحمل مفهوم الإصلاح والتغيير وتأخذ على يد الظالمين.

د. قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ...**﴾ [التوبة: 71]، هي ولاية النصرة الحربية، وولاية الأخوة والمودة والنصرة في الدفاع عن الحق والعدل، ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما ما يميز المؤمنين عن المنافقين، وأنهما سياج حفظ الفضائل [2].

فالولاء الموجود بين المؤمنين لا يوجد عند غيرهم، فغيرهم لا يجمعهم ولاء ولا حب، ولكن يجمعهم الهدف؛ ألا وهو محاربة الإسلام وأهله، ولعلهم يقيمون أحلافاً فيما بينهم ولكن تفرقهم الأهواء والمصالح.

أما المؤمنون فهم يجتمعون ويتوالون من أجل تحقيق الهدف؛ وهو إقامة دولة الإسلام والذود عنها، وفي نفس الوقت فإن المودة، والحب في الله، والعقيدة التي تجمعهم لا يستطيع أن يقف دونها حائل، من هنا يتبين أهمية الولاء بين المؤمنين وأهمية وجود الجماعة المنقذة التي تحرص على تحقيقه؛ "من أجل إعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض".[3]

وهذا الولاء بين المؤمنين هو دليل الحضارة وهو ما "يميز أهل الإيمان والتحضر عن المنافقين دعاة الفوضى والتخلف"[4].

ويستحضرني هنا قول د.فتحي يكن في هذا المقام: "لا بديل عن التنظيم إلا الفوضى"[5]، مبيّناً أهمية الجماعة القائمة على التنظيم والتخطيط في إعادة الأمة بكاملها إلى مصدر عزتها وكرامتها.

إذن هي الجماعة، العروة الوثقى التي متى نُقضت انفرطت باقي عُرَى الإسلام وتجمدت أحكامه... وتشتت أمته، وصارت غثاءً كغثاء السيل [6].

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (4 / 30)، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(2) في ظلال القرآن (2 /1675،)، ط17 . 1412هـ . دار الشروق . بيروت . القاهرة.
(3) في ظلال القرآن (2 /1675،)، ط17 . 1412هـ . دار الشروق . بيروت . القاهرة.
(4) الوسيط للزحيلي (1 / 888)، ط1، 1422هـ، دار الفكر . دمشق.
(5) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، (12)، مؤسسة الرسالة–1981م.
(6) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين، د.حسين بن محسن علي جابر (27)، دار الدعوة، الكويت، 1986م.

ثانياً: الأدلة من السنة:

لقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ يبين فيها أهمية الجماعة، وأهمية الولاء بين أفرادها، مؤكدا على السمع والطاعة لقيادتها مع ضرورة صلاح القيادة واحتكامها إلى شرع الله؛ ليستقيم أمر الجماعة، ومن ثمّ أمر الأمة بصفة عامة.

أ. قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ... مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ...** ».(1)

ب. وقال في حديث آخر: «...**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ: الْجَمَاعَةَ، وَالسَّمْعَ، وَالطَّاعَةَ، وَالْهِجْرَةَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...** ».(2)

وكأني برسول الله ﷺ يؤكد على وجوب هذه الأمور؛ من أجل صلاح الأمة، وعزتها، والتمكين لها، ولن يكون ذلك إلا من خلال قيام جماعة تأخذ على عاتقها هذا الأمر، بل إننا نجد تأكيد الرسول ﷺ على أهمية السمع والطاعة للقيادة مع اشتراطه صلاح القائد في قوله: " **وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا** "(3).

إذن هي الجماعة المنقذة التي يجب أن نسعى جميعاً لإقامتها؛ حتى لا تبقى الأمة أشتاتاً مشتتة، بل يكون أمرها منتظماً.

ثالثاً: أقوال العلماء:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (4)

- يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ولابد لهم عند الاجتماع من رأس...

(1) سنن الترمذي (4/ 2165/465)، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ط2 . 1395 هـ – 1975 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، وصححه الألباني في إرواء الغليل (1813/215/6).

(2) سنن الترمذي (5/ 2863/148)، أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، ط2 . 1395 هـ – 1975 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1724/354/1)، .

(3) صحيح مسلم (3/ 1838/1468)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(4) فتاوى ابن تيمية (11 / 92)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً [1].

- فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون...، وإن كانوا قد زادوا أو نقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله ورسوله، فإن الحق سبحانه وتعالى ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان[2].

و يُفهَم من فتوى شيخ الإسلام:

1. **أنه مع التحزب من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.**
2. **أن الجماعة (الحزب) يجب أن تكون لها قيادة**؛ والدليل على ذلك قوله: " وأما رأس الحزب "، فالرأس يعني القيادة؛ ورأس الشيء أعلاه.
3. **أنه يحث على الاجتماع على أمر الله ﷻ ورسوله** ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وما أظن أن شيخ الإسلام ابن تيمية يريد بكلمته هذه، الجمود الفقهي وعدم الاجتهاد؛ ولكنه أراد أن يكون ذلك ضمن الضوابط الشرعية التي وضعها الحق ﷻ.
4. **أنه يحث على الاجتماع على أمر الله ﷻ ورسوله** ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وما أظن أن شيخ الإسلام ابن تيمية يريد بكلمته هذه، الجمود الفقهي وعدم الاجتهاد؛ ولكنه أراد أن يكون ذلك ضمن الضوابط الشرعية التي وضعها الحق تبارك وتعالى.
5. **أن التعصب الذي أراده شيخ الإسلام هو التعصب الأعمى الذي يعمي صاحبه**؛ فلا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، وكأنه يريد أن يقول: إن التحزب ليس معناه قبول الباطل ممن هو داخل الحزب، ورفض الحق ممن هو خارج الحزب؛ ولكن يجب أن تكون نظرته عادلة، وأنا أعتبر أن هذا هو عين الحق الذي يجب أن يحققه أفراد الحزب.

---

(1) فتاوى ابن تيمية (11 / 92)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

(2) نص حرفي لفتوى ابن تيمية لبيان أهمية الحزب، فتاوى ابن تيمية (11 / 92)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ/1995م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

6. **أن الهدف من إقامة الحزب؛ هو التعاون على البر والتقوى،** والتجمع من أجل التغيير والإصلاح و ليضع يده في يد كل من يحمل الرسالة؛ رسالة إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين.

وأما الذين يتركون الدعوة إلى الله، ويعتزلون العمل الجماعي، ويتخلون عن إقامة الحكم الإسلامي، فهؤلاء في نظر العلماء من أقل الناس ديناً... فأي دين؟ وأي خير؟ فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضَيع، ودينه يُتْرَك، وسنة رسول الله ﷺ يُرْغَب عنها، وهو بارد القلب، ساكن اللسان... وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم... فلا مبالاة بما يجري على الدين [1].

من هنا يتضح أنه يجب العمل على إيجاد جماعة إسلامية واحدة؛ يتحقق من خلالها إقامة حكم الله في الأرض؛ فمعظم هذه التكاليف جماعية، والفرد لا يستطيع أن ينهض بها وحده، فهذا الأمر، ما أطاقته الأنبياء حتى عُقدت عليه من السماء، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض، ... وهذا متى أمر به الرجل وحده أشاط بدمه وعرّض نفسه للقتل... وإذا قُتل الرجل لم يجترئ غيره أن يعرِّض نفسه... ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأموناً على دينه فلا يحول؛ أي يجب العمل معهم، فلا بد من قيادة صالحة مأمونة على دين الله وجند صالحين صادقين[2].

إن ما ورد يدلل على أهمية التحزب من أجل إقامة حكم الله في الأرض؛ بل ويؤكد على أهمية القيادة الأمينة الحريصة على هذا الأمر، وأن يُسمع لها ويُطاع، والشاهد: " فلابد من قيادة صالحة مأمونة على دين الله وجندٍ صالحين صادقين ".

(1) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (2 / 121)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ط1 . 1411هـ - 1991م، دار الكتب العلمية . بيروت.

(2) ورد قول أبي حنيفة في كتاب أحكام القرآن للجصاص (2 / 42)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، ط1 . 1415هـ/1994م، دار الكتب العلمية . بيروت.

الخلاصة:

بعد كل ما ورد من أوامر في القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ والتي تدعو إلى التحزب والتعاون من أجل إقامة حكم الله، وكذلك من خلال أقوال العلماء الأوائل، وفي ظل الواقع المرير الذي تعيشه أمة الإسلام بسبب تشرذمها وتشتتها؛ يتبين لنا **وجوب العمل من أجل إقامة دولة الإسلام**، وعلى أساس القاعدة الأصولية: " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "[1]، والتي استند عليها العلماء في بيان أهمية العمل الجماعي لإعادة الخلافة الراشدة.

ولنعلم أن "إقامة مجتمع إسلامي تحكمه عقيدة الإسلام وشريعته أمر واجب و لاسبيل إلى تحقيق هذا الواجب إلا بجماعة وأمة " [2].

إذن هي الجماعة المنقذة التي تعمل على إقامة دولة الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ونصرة هذا الدين، وتحرير أرضه، بل والتمكين لهذه الأمة ولهذا الدين.

---

(1) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (419)، تحقيق د.أحمد بن علي بن سير المباركي، ط2 . 1410 هـ – 1990 م.

(2) الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د. يوسف القرضاوي (8)، 1974 م، دار الرسالة . بيروت.



الفصـــل الثاني

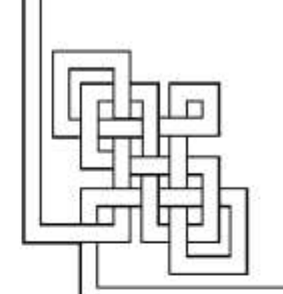
ضرورة الحزب أو الجماعة

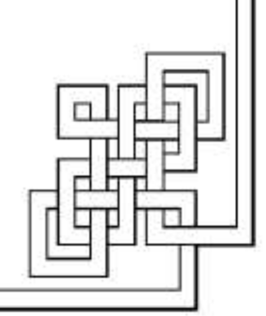
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الحزب من ناحية شرعية.

المبحث الثاني: الضرورة البشرية لوجود الحزب.

المبحث الثالث: شبهات وردود.





المبحث الأول
أهمية الحزب من ناحية شرعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مواجهة أعداء الإسلام.

المطلب الثاني: حماية الإسلام من إقصائه عن الحكم.

المطلب الثالث: تحكيم شرع الله.

المطلب الأول: مواجهة أعداء الإسلام

من خلال الواقع الذي نعيشه نجد صراعات قائمة هنا وهناك، وفساد وانحلال منتشر، وخاصة في الدول الغربية والتي تدعي الحضارة والتقدم.

ورغم معاناة هذه الدول من ذلك، إلا أنها حاولت وبكل السبل تسويقه إلى بلادنا الإسلامية من خلال الغزو الفكري، ولقد فطنت تلك الدول – بخبثها – أن الأمة الإسلامية تكون قوية في مواجهة أي غزو عسكري؛ من خلال توحدها على منهج الإسلام عقيدةً وعبادةً وأخلاقاً، فحاولت جاهدة نشر الأفكار المسمومة في بلادنا، وللأسف فإن تشرذم الأمة وتمزقها هو الذي أفسح المجال لهؤلاء أن يعيثوا فساداً في بلادنا، ومن خلال فئاتٍ – لها مصالح – تعين الأعداء؛ بل وتواليهم في محاربة الإسلام، وتسعى هذه الفئات جاهدة أن تحارب الإسلام بلافتات عديدة ورايات مختلفة.

من خلال كل ذلك أستطيع القول:

1. أن طبيعة الصراع بين الحق والباطل تفرض الجماعة.
2. أن ضخامة التحديات تفرض الجماعة.
3. أهمية الجماعة في حمل رسالة التغيير.

أولاً: طبيعة الصراع بين الحق والباطل تفرض الجماعة:

في الحديث عن الصراع بين الحق والباطل يجب أن نعلم أنه بدأ يوم أن خلق الله آدم وحتى يومنا هذا، مروراً بالأنبياء وأقوامهم ختاماً بمحمد ﷺ، فرسالة الأنبياء كانت تحمل مفهوم التغيير والإصلاح بإقامة العدل ونشر الفضيلة، ولاشك أن ذلك يتنافى مع أصحاب المصالح والأهواء ومن هنا تكون المواجهة ويبدأ الصراع.

ويبين الله مَنْ هم أعداء الإسلام وطبيعتهم حيث قال ﷻ : ﴿...**كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**...﴾ [الشُّورى: 13]، أنهم ضد التغيير؛ ولذلك في آيات كثيرة تحدث عنهم القرآن بقولهم عند كل جديد: ﴿...**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ [الزخرف: 23]،

وقولهم: ﴿. . .**بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**﴾، وكأنه يذم هذه الصفة ألا وهي الجمود.

وذكر صفة أهل الكتاب دون أن يذكرهم فقال تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...**﴾ [الشورى: 14]، فاستغنى بالصفة عن ذكرهم، بعد كل ما ذُكِر ظهر جليّاً خلوّ مركز القيادة البشرية من قائدٍ ثَبْتٍ مستيقن يعرف طريقه إلى الله؛ لذلك فقد أرسل الله محمداً ﷺ ووجه إليه الأمر أن يدعو وأن يستقيم على دعوته وألاَّ يلتفت للأهواء المضطربة حوله وحول دعوته المستقيمة[1]؛ فقال تعالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [الشُّورى: 15] [1].

من خلال ما سبق تبين لنا طبيعة الصراع؛ حيث إن الله ﷻ ذكر أشكال الباطل؛ لتكون أرض المعركة واضحة أمام أهل الحق، ويكون المضي – في حمل الرسالة – على هدىً وبصيرة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: 108].

فالمشركون بكل أيدلوجياتهم، علمانية، ماركسية، قومية، بل كل راية غير راية الإسلام يكبر عليهم أن يروا منهج الحق مهيمناً في المجتمع؛ لأنه يتنافى مع أهوائهم وشهواتهم ومصالحهم، وهذا يفرض وجود الجماعة المنقذة التي تحمل رسالة الأنبياء؛ لمواجهة مؤامرات الباطل بكل أشكاله، والعمل على إقامة الحق، داعيةً إلى الله على بصيرة، مستقيمةً على أمر الله دون انحراف، مستعلية على الأهواء والمصالح ومهيمنةً بالحق والعدل.

ثانياً: ضخامة التحديات تفرض الجماعة:

كان الحديث في البند الأول عن أشكال الباطل؛ وأن أهله لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الدين الذي يتعارض مع مصالحهم وأهوائهم، بل إن المستقرئ للتاريخ، بالإضافة إلى فقه الواقع يجد أنهم رغم اختلاف أيدلوجياتهم فإنهم يتآلفون ويتكاتفون؛ من أجل تحقيق هدف واحد بيّنه الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...**﴾ [الصَّف: 8].

ولقد تحدث القرآن عن تلك التحالفات وتلك الولاءات التي يقيمونها؛ من أجل محاربة الإسلام، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...**﴾ [الأنفال: 73].

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (3149/5)، مرجع سابق.

بل فصّل القرآن في الحديث عن تلك الولاءات؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾[المائدة: 51]، وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ويقبضون أيديهم...﴾ [التوبة: 67]، أي يأمرون بهدم القيم في المجتمع يأمرون بالمنكر وهو ما أنكره الشرع ونهى عنه واستقبحه العقل السليم والعرف الصحيح؛ كالكذب والخيانة ونقض العهد وخلف الوعد، وينهون عن المعروف وهو كل ما أمر به الشرع وأقره العقل والطبع؛كالجهاد وبذل المال في سبيل الله.(1)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11]، "وفي هذه الآية لفتة قرآنية وهي تقرير القرابة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب؛ فأهل الكتاب هؤلاء كفروا والمنافقون إخوانهم ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام"(2) فالمنافقون والمنافقات يتصفون بسوء الطوية ولؤم السريرة والغمز والدس والضعف عن المواجهة والجبن عن المصارحة(3) أما علاقتهم بأهل الكتاب فهي النصرة والتآمر لمحاربة الإسلام، وفي هذه الآية يبين الله ﷻ طبيعتهم الخسيسة وكيف أنهم يعِدُون ويؤكدون ولكن الله يشهد بكذبهم فهم أجبن من أن يواجهوا أهل الحق؛ ولذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13].

الملاحظ في هذه الآيات أن الله ﷻ ذكر عدة ولاءات في محاربة الإسلام، وكلها تندرج تحت مفهوم الولاء المذموم، ويتضح ذلك من خلال الأسس التي قامت عليها تلك الولاءات:

1. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.
2. البخل والشح وعدم الإنفاق.
3. النصرة من أجل محاربة دين الله.
4. الكذب.

ومن خلال الواقع نجد أن القوى المناوئة لا تكتفي بإقامة الولاءات في السر؛ بل أحاديثهم تفضح مؤامراتهم ومخططاتهم، ولا يستطيعون كتمان حقدهم على الإسلام والمسلمين، بل ورعبهم

---

(1) التفسير الوسيط، للزحيلي (884/1)، مرجع سابق.
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب_(3528/6)، مرجع سابق.
(3) المرجع السابق، (1673/3).

من عودته؛ فهذا أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952م يقول: " ليست الشيوعية خطراً على أوربا فيما يبدو لي فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة... إن الخطر الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي "[(1)].

وبعد هذا كله أيصح أن يكون موالاة بين هؤلاء كلهم لمحاربة الإسلام، واستئصال شأفته، ولا يكون هناك تنظيم وموالاة بين المؤمنين لمواجهة هذه التحديات ؟

وقد حذّر الله المؤمنين من مغبة عدم التنظيم وعدم الموالاة في قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: 73]، فالكافرون باختلاف أيدلوجياتهم يقفون فريقاً واحداً في محاربة الإسلام وأهله، فإن لم يتعاون المسلمون ويتناصرون ويوالي بعضهم بعضاً في مواجهة توالي الأعداء فبذلك يكونوا مشاركين في اضطهاد المسلمين واستقواء الأعداء.[(2)]

إذن هي ضخامة التحديات والتي تفرض الجماعة " وإذا نظرنا إلى القوى المناوئة للإسلام على اختلاف أسمائهم وأهدافهم ووسائلهم، وجدناهم يعملون في صورة جماعات وتكتلات وأحزاب وجبهات، ولا يُقبل **في ميزان الشرع لا العقل** أن يُقابل الجهد الجماعي المنظم بجهود فردية مبعثرة، وإنما يُقابل التكتل بتكتل مثله وأقوى منه، ويُقابل التنظيم بالتنظيم"[(3)].

ثالثاً: أهمية الجماعة في حمل رسالة التغيير:

بعد الحديث عن الانحلال والانحراف الذي وصلت إليه الحضارة العالمية المادية، وما وصلت إليه أمة الإسلام من ضعف وشرذمة وفساد على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والإعلامي، وأن ذلك بسبب بُعد الأمة عن مصدر قوّتها وعزتها –كتاب الله وسنة رسوله– وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، وكيف أن أهل الباطل يصلون الليل بالنهار؛ للتآمر على الإسلام وأهله، فلابد من عدة أمور:

– الوقفة الجادة من أهل الحق؛ لمواجهة الباطل ومؤامراته، ولذلك جاء الخطاب لسيدنا محمد ﷺ والدعاة من بعده: ﴿**فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...**﴾ [الشُّورى: 15]، مبيناً أهمية الدعوة إلى الله والاستقامة على أمر الله؛ لتحقيق ذلك – تحقيق الولاء لله وفي الله، والبراءة من كل

(1) انظر رسالة لم هذا الرعب كله من الإسلام / للأستاذ جودت سعيد / ص 22.
(2) انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا_(10/98، 99)، مرجع سابق.
(3) الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د. يوسف القرضاوي (225)، 1974 م، دار الرسالة . بيروت.

ولاء يتنافى مع الولاء لله-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 55، 56].

– أن الولاء بين المؤمنين هو الذي يعينهم على حمل رسالة التغيير، وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [التوبة: 71]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [الأنفال: 72].

هذه الآيات التي وردت في الحديث عن العلاقة بين المؤمنين –القائمة على التناصر والتعاضد والتكاتف– لهي دليل واضح على أهمية الجماعة؛ من أجل التغيير، وإصلاح المجتمع، ومن ثمّ النهوض والارتقاء، وذلك من خلال:

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
2. إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.
3. طاعة الله ورسوله، والعمل الجاد لإقامة حكم الله في الأرض.
4. الجهاد في سبيل الله لتحقيق العزة والكرامة والمنعة لهذه الأمة.

" فما على الدعاة إلى الله وشباب الإسلام اليوم إلا أن يحملوها...

- من أجل رد البشرية إلى المنهج الرباني والدين المعطاء
- من أجل إنقاذ العالم من المادية الطاغية، والإباحية الفاجرة.
- من أجل إظهار هذا الدين على الدين كله.
- من أجل التحدي الحضاري الحديث في جميع مجالاته؛ لإقرار ما ينسجم مع الإسلام، ونبذ ما يتنافى معه" [1].

نعم إنها رسالة التغيير والإصلاح التي عبّر عنها ربعي بن عامر حينما قال: "الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[2].

(1) سلسلة مدرسة الدعاة، د. عبد الله ناصح علوان (1 / 52)، ط7، 1431هـ 2000م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

(2) تاريخ الرسل والملوك، محمد جرير الطبري (3 /520)، ط2، 1387 هـ، دار التراث، بيروت.

التغيير الذي أصبحنا نراه واقعاً في الثورات العربية التي أزاحت الطواغيت، وبدأت تحت الخطى نحو النهضة، لا شك أن هناك تحديات لإجهاض تلك الثورات، ولكن هي سنة الله في الدعوات، وسنة الله في التغيير.

ولكن الله ﷻ وعد بإظهار هذا الدين في قوله تعالى: ﴿...**وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: 32].

ثم في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: 33]

فلابد لهذا الدين أن يظهر، ولابد لأهله أن يعزّوا، ولابد للكفر والشرك وأهله أن يذلوا، كيف لا؟ وقد بشّر رسول الله ﷺ في قوله: "**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**" [1].

نعم إنها بشرى رسول الله ﷺ في ظهور هذا الدين، وعزة هذه الأمة، ولكن من خلال الجماعة المنقذة التي تعمل ليلاً نهاراً وعلى كل صعيد؛ من أجل تحقيق التغيير والذي من خلاله ستكون مواجهة المؤامرات والتحديات.

(1) مسند أحمد مؤسسة الرسالة (28/ 154، 155)، قال شعيب الأرناؤطي: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المطلب الثاني : حماية الإسلام من إقصائه عن الحكم

إن الواقع المرير الذي تعيشه الأمة، تجسد في حديث رسول الله ﷺ: "**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ، عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ** " [1].

إن رسول الله ﷺ – والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوْحَى– لم يقل هذا الحديث للإعلام والإخبار فقط؛ وإنما كان الهدف استشعار الخطر، والاستعداد لمواجهة هذه المؤامرات، بل لتحرص الأجيال على الوقاية منها ما استطاعت.

والمتتبع لحال الأمة في هذا العصر، يرى أنه حدث فعلاً ما أنبأ به رسول الله ﷺ ونُقِضَتْ عُرى الإسلام على النحو التالي:

العروة الأولى:

لقد سعى الأعداء مع بداية القرن العشرين لإسقاط الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك، أسقطوا الخلافة " نقضوا الحكم "، وتم فصل السياسة عن الدين، وأُعلنت تركيا دولة علمانية، وبدأ عقد السياسة ينفرط دولة بعد دولة، حتى وصلت الأمة إلى ما نراه من ضعف وذلة.

العروة الثانية:

فصل الدين عن كل مناحي المجتمع من تعليم، وإعلام، وصحة؛ فأصبحت مناهج التعليم تُرَسِّخُ أفكاراً هدّامة في المجتمع المسلم، وباسم التربية الحديثة قللوا من شأن المعلم ومكانته، وجرّأوا المتعلمين على المعلمين، كذلك الإعلام فقد وَجَّهوه لهدم القيم والأخلاق في مجتمعنا الإسلامي.

العروة الثالثة:

الأسرة المسلمة: تُعَدُّ الأسرة الحصن الحصين في بناء الفرد والمجتمع بل وبناء دولة الإسلام؛ لذلك عمل أعداء الإسلام على نقض هذه العروة بكل الوسائل منها:

1. عرفوا خطورة رسالة المرأة في تربية الأجيال، وفي بناء البيت المسلم وتحصينه، فنادوا بتحرير المرأة لإخراجها من بيتها، ولَفْتِها عن رسالتها، وكانت المناداة؛ من أجل خروجها فقط متحررة من كل المبادئ والأخلاق.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (36 / 485 / 22160)، ونسبه الهيثمي في المجمع (7 / 281 / 12211) إلى أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حبان في صحيحه (15 / 111 / 6715): الإسناد كله صحيح، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير 905/2).

2. نادوا بالمساواة بين الرجل والمرأة؛ والذي جعل ركني الأسرة يقفان لبعضهما البعض أنداداً، بدل أن يكون هذا العش مبنياً على السكن والمودة، بل والتكامل بين الأدوار الذي يتحقق من خلاله أسرة مترابطة قائمة على شرع الله، على أساس الحقوق والواجبات.
3. على صعيد العلاقة بين الآباء والأبناء أعجزوا المربي عن أداء دوره؛ فأقنعوه بإطلاق هذا الجيل وعدم تقييده.

وفي نفس الوقت دخلوا إلى الجيل فأفسدوا عليه دينه وأخلاقه، زيّنوا له التمرد بأنه حرية شخصية، ودفعوه إلى المطالبة بحقوقه بكل الوسائل بعيداً عن واجباته، فأصبحت العلاقات الأسرية مُنْبَتَّة، وأصبح هذا الجيل تائهاً في كثير من الأحيان؛ لأنه افتقد التوجيه من الآباء والمربين.

العروة الرابعة:

لم يكتف أعداؤنا بنقض هذه العُرَى التي سبق ذِكْرُها، فدخلوا إلى الفرد نفسه؛ فأحدثوا انفصاماً في الشخصية المسلمة، فنجد من يصلي ويصوم، ومن يكون في بعض الأحيان في الصف الأول في المسجد، ولكن للأسف لا يتورع عن إطلاق بصره وسمعه، ولا يعرف حقوق زوجة، ولا بر والِدَين، ولا صلة رحم. والذي يقرأ بروتوكولات حكماء صهيون وكتابات الشيوعيين والمستشرقين وهم يخططون ويمكرون، يعلم مدى خطورة هذه المؤامرات، وهذا يُجسّد قوله تعالى: ﴿. . .**وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**﴾ [إبراهيم: 46].

جاء في البروتوكول التاسع: إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية والمساواة والإخاء...وبها سنمسك الثور من قرنيه... وإننا نُسَخِّرُ في خدمتنا أُناساً من جميع المذاهب والأحزاب، ومن رجال يرغبون في إنشاء الملكيات واشتراكيين وشيوعيين...وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقي من السلطة، يحاول أن يحطم كل القوانين القائمة؛ وبهذا التدبير تتعذب الحكومات.... ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفناً، بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها، ولكننا أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديلٍ فِعْلي للقوانين السارية من قبل؛ بل بتحريفها ووضع تفسيراتٍ لها لم يقصد إليها مشرعوها(1) وهذا غيضٌ من فيض؛ فالمؤامرات التي حيكت ومازالت تُحاك تفوق الحصر، وصدق الحق حينما قال: ﴿...**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**...﴾ [البقرة: 217].

---

(1) البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون، كتاب الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية_د صادق أمين ص23

إن هذا الواقع المرير الذي عانت منه الأمة لعشرات السنين؛ كان بسبب إقصاء الإسلام عن الحكم وعن المجتمع والأسرة، ولما انبرى أهل الحق يطالبون بإقامة حكم الله حاربوهم واعتقلوهم وشوّهوا سمعتهم، واستخدموا الإعلام وسيلة في التشنيع عليهم، وكل ذلك من أجل إقصائهم عن الساحة السياسية، بل والمجتمعية؛ليبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه لأهل الباطل يعيثون فساداً في بلادنا، ومن هنا تأتي أهمية الحكم بما أنزل الله، ولا شك أن هذه رسالة الحكام والأمراء، وهي" منحصرة في أصلين عظيمين هما: حراسة الدين من محظور تبديله وتغييره، وسياسة الدنيا بتنفيذ الأحكام وإقامة الصلوات، وجباية الخراج ونصب القضاة، وحماية ديار المسلمين، وتجهيز الجيوش، وبعث السعاة والولاة، وإنصاف المظلوم"[1].

إذن الإمارة هي السعي لإقامة حكم الله؛ من أجل إصلاح المجتمع على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتحقيق العدل، وتأدية الأمانات والحقوق، والله ﷻ يقول في هذا المقام: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: 58]،وهذا هو أساس الحكم في الإسلام، فالأمانة بكل مدلولاتها هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي والحكم بالعدل لم تعرفه البشرية إلاعلى يد الإسلام وإلا في عهد القيادة الإسلامية[2]، ومن هنا نعلم أن الإمارة واجبة بل قربة يُتقرب بها إلى الله تعالى[3] إذا قامت على الأساس الذي أراده الله من قيامها؛ أداء الأمانات والحكم بالعدل، ولقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية: أن "جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[4].

وأي معروفٍ أولى من إقامة حكم الله ﷻ، وتحقيق العدل، وتأدية الأمانات والحقوق إلى أهلها، وأي منكر أكبر من الذين ينادون بإسلام لا علاقة له بالحكم، وفي المقابل يحكمون الناس، ويشرِّعون لهم ما لا يشرِّع الله.

إذن إن لم يكن الحكام هم القائمون بهذا الأمر، أليس من الحق والعدل أن تنبري جماعة تأخذ على عاتقها هذا الأمر؛ لتحقيق قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104] ؟

---

(1) بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي ابن الأزرق (1 / 18)، تحقيق د. علي سامي النشار، ط1، وزارة الإعلام . العراق.

(2) الحسبة، (14)، تحقيق علي بن نايف الشحود، ط2، 1428هـ . 2007 م.

(3) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية (170)، مرجع سابق.

(4) الحسبة، (14)، تحقيق علي بن نايف الشحود، ط2، 1428هـ . 2007 م.

خاصة أن الله ﷻ حذر من الركون إلى هؤلاء الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[هود: 113]

ولقد حث رسول الله ﷺ الدعاة على تقديم النصيحة لولاة الأمور– وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– فقال ﷺ: " **وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ** "[1]، وفي حديث آخر قال: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**"[2].

رحم الله علماءنا، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم في مناصحة ولاة الأمور؛ ومنهم العز بن عبد السلام، أحمد بن حنبل، شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم.

بل إن المتتبع لسيرة رسولنا الكريم ﷺ وصحابته الكرام يجد أنهم كانوا يدفعون الرعية إلى هذا الأمر.

فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: " إنِّي وُلِّيتُ عليكم ولستُ بِخَيْرِكم، فإن أَحْسَنْتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني"[3].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمحمد بن مسلمة: " كيف تراني يا محمد ؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويا على جمع المال، عفيفاً عنه، عادلاً في قسمه، ولو مِلْتَ عَدَّلْناك، كما يُعَدَّلُ السَّهْمُ في الثِّقاف، فقال عمر رضي الله عنه: هاه، فقال: لو مِلتَ عدَّلْناك، كما يُعَدَّلُ السَّهْمُ في الثِّقاف فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مِلْتُ عدَّلوني "[4]

إذن هي المناصحة ثُمَّ التقويم ثُمَّ الجهاد؛ من أجل إقامة حكم الله ﷻ ولذلك عندما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أي الجهاد أفضل قال: " **كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ**"[5].

---

(1) مسند أحمد (14 / 399 / 8799)، تحقيق شعيب الأرناؤط وعادل مرشد، ط1، مؤسسة الرسالة، قال شعيب الأرناؤط: إسناده صحيح.

(2) صحيح مسلم (1 /55/74)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، مرجع سابق.

(3) سيرة ابن هشام، (2/ 661)، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، 1375هـ – 1955 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(4) الزهد والرقائق لابن المبارك (1 / 179 / 512)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية . بيروت.

(5) الأحاديث المختارة (8 / 110 / 123) إسناده صحيح، ورواه النسائي في سننه (7 / 161 / 4209)، كتاب البيعة، باب من تكلم بالحق عند الإمام الجائر، وقال الألباني: صحيح .

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أهمية إقامة حكم الله، ووجوب وجود الجماعة المنقذة؛ للعمل على حماية الإسلام من إقصائه عن الحكم، ومن ثم إنقاذ المجتمع من الفساد الأخلاقي والتعليمي والإعلامي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

فالإنقاذ لن يستطيع القيام به أفراد متناثرون؛ بل جماعة منظمة تضع الخطط الملائمة، وتوجه الأفراد كلٌّ حسب قدراته لتنفيذ هذه الخطط التي سيكون لها الدور الفاعل في النصر والتمكين، وعلى هذه الجماعة أن تسعى للسلطة؛ من أجل تحقيق قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج: 41] .

نعم هذا ما أراده الله للأمة الإسلامية من العزة والتمكين، ورغم كل المؤامرات التي حاكوها طوال هذه السنوات، إلا أننا بدأنا نستبشر خيراً، لقد قال الله تعالى: ﴿. . .**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال: 30].

المطلب الثالث: تحكيم شرع الله

إن تحكيم شرع الله هو أساس الرسالة المنوطة بالجماعة المنقذة، والتي اصطفاها الله ﷻ لتحقيق الاستخلاف.

قال تعالى: ﴿. . .**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 40].

وقال أيضاً: ﴿...**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام: 57]، أي أن السلطان والحكم والطاعة والعبادة لله وكل ذلك مقصورٌ عليه سبحانه بحكم ألوهيته؛إذ الحاكمية من خصائص الألوهية وبناءً على ذلك فالأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بشريعة الله ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعيته إنما مصدر الحاكمية هو الله [1] ومن هنا جاء السؤال الا ستنكاري في قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50]، متحدثاً عن الذين يعرضون عن حكم الله، ويرفضون الإذعان له.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1990/4)، مرجع سابق.

من خلال هذه الآيات يتضح أن الحاكمية خاصية لله وحده وهذا معلوم، والعلم بها لايكفي؛ ولكن يجب ترجمتها واقعا في حياتنا:

1. بقصر العبادة عليه والتمسك بهذا الدين القيم.
2. بتفويض الأمر إليه والتوكل عليه.
3. بالمحاسبة وهذا يدعو إلى استشعار مراقبة الله ﷻ خوفا من عقابه ورجاءً في عفوه.
4. مراقبة الله ﷻ بالفصل بين الحق والباطل. من خلال ما سبق يتبين أن: " استحقاق نفوذ الحكم فليس إلا لمن له الخلق والأمر... أما النبي والسلطان والسيد والأب والزوج، فإذا أمروا وأوجبوا لم يجب شيء بإيجابهم، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم[1].

فإذن الواجب طاعة الله، وطاعة من أوجب الله طاعته، وفي هذا المقام يقول الرسول ﷺ: "**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ** "[2].

ولنعلم أنّ: " أولى الناس أن يُحكم بينهم بما أنزل الله هم المسلمون، الذين أُنزل لهم الكتاب، وبُعث لهم الرسول، ولا يتم لهم إيمان إلا إذا رضوا بحكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[النور:51]"[3]

نعم هذا حال المؤمنين في الانصياع لأمر الله والنزول عند حكمه، وهذا هو الفيصل بينهم وبين المنافقين، فهؤلاء قال الله ﷻ فيهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: 60]، مبيناً عدم احتكامهم إلى شرع الله، ثم يصف حال المنافقين في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا**﴾ [النساء:61]

وبعد ذلك ينفي عنهم صفة الإيمان إن لم يطبقوا شرع الله، فقال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65]

---

(1) المستصفى، محمد الغزالي (66/1)، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، 1413هـ - 1993م، دار الكتب العلمية.

(2) صحيح البخاري (4/ 2957/50)، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتَل من وراء الإمام ويتقى به، مرجع سابق.

(3) السياسة الشرعية د.يوسف القرضاوي، (ص/246)، دار الرسالة. بيروت 1974 م.

وهنا يجب التنويه إلى أمر مهم؛ فالطاغوت ليس بالضروري أن يكون صنماً يعبدونه، ويحتكمون إليه؛ وإنما القوانين الوضعية البعيدة عن شرع الله، وكذلك الأهواء، قال تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾** [الفرقان: 43]، ثم العادات والتقاليد؛ إذا تنافت مع شرع الله، قال تعالى: **﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾** [الزُخرف: 23].

وبعد ما بيّن الفرق بين المؤمنين والمنافقين في الإذعان لأمر الله، يخاطب رسوله ﷺ في قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ...﴾** [المائدة: 48]، مطالباً إياه بأن يحكم بينهم بما أنزل الله، وحذّره من اتباع أهوائهم.

ولقد أكد رسول الله ﷺ على هذا المفهوم في قوله: " **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**"[(1)]، مبيّناً وجوب إقامة حكم الله ﷻ ولن يكون ذلك إلا بسلطة، إلا بأمير يطبق شرع الله ويسمع له ويُطاع من الرعية؛ حتى يصلح بهم أمر الدين والدنيا وبذلك يحققون العدل والأمن للبشرية وينشرون دين الله ويعلون كلمته ويرفعون رايته على ربوع العالم.

فالعلاقة بين الأمير والرعية يجب أن تكون قائمة على الاحتكام إلى شرع الله، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**[النساء: 58، 59].

" فالآية الأولى نزلت في ولاة الأمور وطالبتهم بتأدية الأمانات والحكم بين الناس بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية وطالبتهم بطاعة أولي الأمر... فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة "[(2)].

ويؤكد الطبري على هذا المفهوم مبيّناً أن الخطاب في تلك الآيات موجّه من الله ﷻ لولاة أمر المسلمين، بإقامة العدل بين الناس معتبراً أن الآية الثانية تدل على هذا المفهوم في قوله

(1) صحيح البخاري (4/ 2957/50)، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتَل من وراء الإمام ويُتَّقَى به، مرجع سابق.
(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (28 / 245) بتصرف، مرجع سابق.

تعالى: ﴿. . .أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ... ﴾، موصيا الراعي بالرعية، و مطالبا الرعية بالطاعة [1].

فالآيتان مترابطتان في المقام والمعنى، والله ﷻ لم يأتِ بهما متتابعتان، إلا لأنهما متكاملتان، ومع أن الأمر في الآية الأولى عام لكل المسلمين بأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وأن يعدلوا في الحكم بين الناس حتى في أمورهم العامة، إلا أنه أخص في ولاة الأمور، ويدلل على ذلك الآية التي تلتها: ﴿. . .يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾[النساء: 59].

فطاعة الله وطاعة الرسول مُطالَبٌ بها الحاكم والمحكوم؛ فإذا طبَّقها الحاكم أُضِيفَت طاعته إلى طاعة الله وطاعة الرسول، لأنه إذا حكم بما أنزل الله، وأعطى كل ذي حق حقه، وعدل بينهم وجبت طاعتهم له، وإن لم يفعل ذلك لا تجب طاعته، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: "**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**"[2].

وهنا أتساءل: من هم أولو الأمر الذين طالبنا الله بطاعتهم ؟ فإذا قالوا أبو بكر وعمر ومن تبعهم من الخلفاء، أقول: أيصح أن يكون في عصر الصحابة خلافة وتنصيب إمام– وهم خير القرون في تطبيقهم للإسلام وخشيتهم لله – ولا يصح ذلك في وقتِالأمة أحوج ما تكون إلى إقامة إمام يحكم بينهم بالعدل، ويصلح لهم أمور دينهم ودنياهم، ويسوسهم بما يرضي الله ﷻ ؟؟ ثم إن الله ﷻ شرع هذا الدين؛ من أجل أن يُحكَمَ به بين الناس، فقال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ، فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...**﴾ [الشُّورى: 15].

فإذا كانت رسالة الأنبياء إقامة الدين وتحكيم شرع الله؛ليكون الصلاح ويتحقق العدل؛إذن فلابد أن تكون جماعة وتكون لها قيادة تعمل على إعادة الأمة إلى مصدر عزتها وتلم شتاتها ومن ثم تكون الإمامة التي قال عنها الماوردي: " أنها موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "[3]. فماذا تعني إقامة الدين ؟ ومن الذي سيقيمه بين الناس إن لم تكن جماعة تعمل على

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (492/8)، مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري (9 / 63 / 7144)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، مرجع سابق.

(3) الأحكام السلطانية، (15/1)، دار الحديث . القاهرة.

تحقيق ذلك؟ فإقامة حكم الله، والحكم بين الناس بالعدل: " هما أساس الحكومة الإسلامية "[1]، والتي يجب العمل على إيجادها والوصول إليها لتحقيق الرسالة الربانية، وهي ضرورة بشرية تمليها على الإنسان فطرته، وطبيعة وجوده... كذلك هي فريضة دينية، ولقد أوجب الله على عباده أن يكون لهم ولي أمر واجب الطاعة عليهم؛ فهو خالقهم ويعلم ما يصلحهم و ما يفسد عليهم حياتهم[2].

من خلال ما سبق يتبين أهمية إقامة دولة الإسلام، وأهمية وجود إمام يحكم بالعدل، ويسوس الرعية، وهذا يؤكد على وجوب قيام الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها إقامة شرع الله، وتحكيمه؛ من أجل إقامة دولة الإسلام وتحقيق الاستخلاف.

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (5 / 136)، مرجع سابق.

(2) انظر: الخلافة الإسلامية وقضية الحكم بما أنزل الله، صادق شايف نعمان (17)، إشراف: مناع خليل القطان، ط1، دار السلام، القاهرة.

المبحث الثاني
الضرورة البشرية لوجود الحزب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الضرورة السياسية والعسكرية

المطلب الثاني: الضرورة الاقتصادية الاجتماعية.

المطلب الأول: الضرورة السياسية والعسكرية

قبل الشروع في الحديث عن الضرورة السياسية والعسكرية، لابد من معرفة معنى كلمة ضرورة في اللغة والاصطلاح، وهل هي تدل على أهمية وجود الجماعة المنقذة أم أن الأمر يفوق هذا المعنى ؟

أولاً: الضرورة في اللغة:

الضرورة اسم لمصدر الاضطرار، تقول حملتني الضرورة على كذا وكذا [1]، والاضطرار الاحتياج إلى الشيء [2].

ثانياً: الضرورة اصطلاحاً:

1. في اصطلاح الفقهاء:

تطلق إطلاقين؛ أحدهما: ضرورة قصوى تبيح المحرم سوى ما استثنى[3]، وأما المعنى الثاني: ضرورة دون ذلك، وهي المعبَّر عنها بالحاجة، إلا أنهم يطلقون عليها الضرورة توسعاً[4].

2. عند الأصوليين:

هي إحدى الكليات الثلاث التي ترجع إليها مقاصد الشريعة[5]؛ والتي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فُقِدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد و تهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[6].

ومن هنا تتبين الضرورة الشرعية والبشرية لقيام الحزب؛ وهذا المعنى هو المراد؛ للحديث من خلاله عن الحاجة الماسة لوجود الحزب؛ من أجل النهوض على الصعيد السياسي والعسكري وكذلك الاقتصادي الاجتماعي؛ لتحقيق حياة كريمة للفرد، وقوة وعزة وتمكين للمجتمع ومن ثَمّ الأمة.

---

(1) العين، الخليل الفراهيدي (7/7)، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(2) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي (428/1)، ط8، 1426 هـ - 2005 م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(3) السيوطي في الأشباه والنظائر ص 61، الدردير في الشرح الصغير ج 2 / ص 183، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (2/ 225).

(4) هو شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي.

(5) مقاصد الشريعة: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

(6) الموافقات للشاطبي، ج 2 / ص 17، التهارج: الفتن والقتل.

فإذا علمنا أن السياسة هي "تدبير أمور الناس، وشئون دنياهم بشرائع الدين"[1]، و أن "ولاية الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها، وأن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس"[2].فذلك يفرض وجود الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها تحقيق هذه الرسالة.

وإذا كان القرآن بيَّن أهمية الجماعة في مواضع كثيرة، فإنه أكد على أهمية العلاقة القائمة بين القيادة والجند في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ...**﴾ [النور: 62]، فالاستئذان في هذه الآية دليل على أهمية السمع والطاعة[3]، وفي ذلك دليل على أهمية العمل الجماعي المنظم الذي يوحد الجهود لتحقيق الأهداف... وأهمها إقامة الدولة الإسلامية العالمية التي تُمكّن لدين الله في أرض الله، وتحمي أرض المسلمين وأرواحهم وأعراضهم وتبلغ دين الله للناس كافة [4].

كيف لا نسعى لذلك ونحن نرى الذين يحيكون المؤامرات يتكتلون ويقيمون التحالفات، ويخططون لمحاربة الإسلام بكل السبل، وقد بيّن الله ﷻ هذه المفاهيم في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: 73]، وحذّرنا من الفتنة وانتشار الفساد إذا لم نحرص على مواجهة مؤامراتهم بالمثل.

الإعداد هو الطريق إلى تحقيق الهدف:

قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 60]

وقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 146]

---

(1) السياسة الشرعية، د.القرضاوي (32)، ط3، 2008م.

(2) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية (1 / 129)، مرجع سابق.

(3) انظر أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، فتحي يكن (15، 16) _مؤسسة الرسالة، ط/ 1981م _1401هـ.

(4) انظر: فقه الدعوة، مصطفى مشهور

ويقول رسول الله ﷺ: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**".[1] وفي ذلك تأكيد على أهمية القوة في حمل رسالة الإسلام، وتحقيق الهدف الرباني.

وهذا يستلزم تضافر الجهود، والتعاون الكامل بين العاملين في حقل الدعوة، ويستلزم سلوك طريق رسول الله ﷺ وصحابته في إقامة الدولة الإسلامية الأولى... وهذا الإعداد يكون بتحقيق قوة العقيدة والإيمان ثم قوة الوحدة و الأخوة ثم قوة الساعد والسلاح. [2]

إذن القوة ليست فقط القوة العسكرية ولكن الله ﷻ أراد لنا أن نُعدّ كل أنواع القوة بالإضافة إلى القوة العسكرية.

فنحن مطالبون بإعداد القوة العلمية، والعمل والإنتاج، بالإضافة إلى قوة العقيدة وقوة الأجساد. نعم هكذا يجب أن يكون أفراد الجماعة التي تأخذ على عاتقها حمل رسالة الإنقاذ في المجتمع.

فالإنقاذ يحتاج إلى ذكاء، وقوة، ونشاط، وسرعة، وحيوية، وتضحية، وهذه كلها مقومات ظاهرة، ولكن حتى يتم تحقيقها بالطريقة الصحيحة لابد أن تدعمها مقومات أخرى، وهي التي تتعلق بباطن الإنسان وعلاقته بخالقه الذي أوجده وحمّله الرسالة.

وإذا كانت هذه المقومات ظاهرها وباطنها ضرورية للفرد، فهي أكثر ضرورة للجماعة التي تأخذ على عاتقها التغيير في المجتمع، هذا التغيير الذي جسّده ربعي بن عامر في رده على رستم: " الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام "[3]، ولن يستطيع تحقيق التغيير إلا صاحب الإرادة القوية؛ تلك الإرادة التي نتحدث عنها هي الإرادة المستمدة من إرادة الله وليست خارجة عنها، والسلطان الذي من خلاله يكون إقامة حكم الله في الأرض ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: 41].

هذا هو الإنقاذ بعينه الذي ينقذ الناس بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ينقلهم من الذلة إلى العزة، من العبودية إلى الحياة الكريمة المنبثقة من العبودية لله، والتحرر من كل ما عداها،

---

(1) صحيح مسلم (4/ 2664/2052)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(2) انظر: فقه الدعوة، مصطفى مشهور (594/1)

(3) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري (3 /520)، ط2، 1387 هـ، دار التراث. بيروت .

الإنقاذ الذي ينقذ الناس من براثن الفساد والظلم والعدوان، ويحقق لهم العدل، فإن لم يحقق هذه الرسالة الجماعة المنقذة فمن يكون ؟؟.

نموذج واقعي في فلسطين

في الحديث عن الإعداد سيراً على منهج رسول الله ﷺ، وتطبيقاً لما ذكره البنّا لابد من ذِكْر مثالٍ حيٍّ في فلسطين اقتدى وأعدّ وأنجز، هذا النموذج هو الشيخ أحمد ياسين- رحمه الله- انتهج هذا المنهج في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس؛ فقد بدأ بغرس مفاهيم العقيدة، وربَّى عليها العناصر التي تنتمي لهذه الجماعة.

عشرين عاماً أمضاها الشيخ أحمد ياسين وهو يربي، رافضاً استعجال الخُطى في حمل السلاح والمقاومة، ولم يأبه بكل الانتقادات التي كانت توجه له وللجماعة أنهم لم يجاهدوا ولم يخططوا لتحرير فلسطين.

وقد كانت التنظيمات العلمانية والماركسية تحمل السلاح وتخوض الكفاح في تلك الآونة، لكن الشيخ أحمد ياسين كان مصراً على ترتيب الأولويات؛ لأنه كان معنياً بتربية العناصر على قوة الإيمان والعقيدة، والتي تستطيع من خلالها الاستمرارية، وتحمل العنت في مواجهة العدو، وقد تجلى أهمية هذا النهج في عدة أمور:

أولاً: في الانتفاضة الأولى حيث أخذت الجماعة على عاتقها المواجهة، وتعرّض عناصرها للاعتقال؛ ثبتوا وتحملوا التعذيب، فلو لم تُربَّى هذه العناصر على قوة العقيدة والإيمان لمَا ثبتوا هذا الثبات.

ثانياً: تجلّى مفهوم قوة الوحدة والأخوّة في الثبات، والمحافظة على قوة التنظيم وتماسكه بعد تعرض أفراده للاعتقالات والاغتيالات.

ثالثاً: ترتيب الأهداف والتدرج في تطبيقها؛ كان له دور في استمرارية العمل.

وها نحن نرى الثمرة في وضع نواة الإسلام، وبفضل الله تحققت قوة الساعد والسلاح " القوة العسكرية" وبلغت مداها، بالإضافة إلى القوة السياسية والعملية والأمنية... الخ.

فإن كانت " الركائز التي قامت عليها الجماعة المسلمة الأولى، وأدت من خلالها الرسالة في بناء دولة الإسلام هي: الإيمان والتقوى والأخوّة "[1]، فهذه ضرورية للجماعة المنقذة في عصرنا لتقوم بنفس الدور وتؤدي نفس الرسالة، لكن يجب أن نعلم ضرورة تحقيق قوة السلاح، والتي هي من الأهمية بمكان في تحقيق الاستخلاف.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (44/4)، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الضرورة الاقتصادية الاجتماعية

الاقتصاد في اللغة:

من القصد وهو التوسط والاعتدال[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: 19]، والقصد في الآية منزلة بين التفريط والإفراط وهذا المعنى أي التوسط في الأشياء والاعتدال فيها هو مضمون علم الاقتصاد.

الاقتصاد في الاصطلاح:

فالنظام الاقتصادي الإسلامي هو مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي يقوم عليها المال وتصرف الإنسان فيه.[2] وليس هناك في الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لا بد منها، للإنماء الاقتصادي كما تريد أن تقنعنا بها المذاهب القصيرة النظر... فينبغي أن نلتمس ذلك في الإسلام؛ لأنه ليس فردياً ولا جماعياً ولكنه يجمع بين الحسنيين... [3]، وقبل الحديث عن الضرورة الاقتصادية الاجتماعية للجماعة المنقذة؛ لابد من إطلالة على الواقع المرير الذي عاشته الأمة لمئات السنين، فقد عاشت مدمرة الاقتصاد؛ رغم امتلاكها لثرواتٍ لو استُثمرت استثماراً صحيحاً لما وجدنا فقيراً على صعيد الوطن خاصة، وأمة الإسلام عامة، ولكنه الاستعمار الذي استعمر هذه البلاد ردحاً من الزمن متعدياً على حقوقها السياسية ومقدراتها الاقتصادية، وللأسف لم يخرج من بلادنا إلا وقد صنع حكاماً، وتركهم يحققون أهدافه بعد خروجه من تلك البلاد.

فكان حاكم كل بلد هو الوصي على مقدرات هذا البلد، وبدل أن يتقي الله ﷻ ويقيم العدل، عاث فساداً كما شاء، واستثمر الأموال لمصلحته الشخصية ولبطانة السوء حوله، بل يتحكم في اقتصاد البلد بما يمليه عليه الأعداء فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- أمريكا تحدد لمصر كم تزرع من القمح حتى لا يكفي شعبها وتضطر لاستيراد القمح الأمريكي فأصبحت خزينة الدولة مثقلة بالديون، وآلاف الدونمات في مصر قاحلة لا يزرع فيها والمواطن المصري يشكو الجوع، والفلاح المصري مقهور، لا يستطيع أن يخدم وطنه بالطريقة الصحيحة.

---

(1) انظر المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون (738/2)، دار الدعوة.
(2) النظام الاقتصادي في الإسلام، د. شوكت محمد عليان (13)، ط1، 1421 هـ . 2000م .
(3) انظر: الإسلام أمام التطور الاقتصادي، جاك أوستري، الكتاب باللغة الفرنسية (61)، 1961م، نقلا عن كتاب التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبد الله ناصح علوان (24)، دار السلام . القاهرة، ط 6، 2001 م.

- دول البترول فتحت لأعدائنا المجال يتحكمون في صادراتنا ووارداتنا، أما الأموال الطائلة التي تمتلكها تلك الدول فبدل أن تُنْفَق على فقراء الأمة نجدها:
  - إما تنفق لمحاربة الأمة كما كان في حرب الخليج وغيرها.
  - وإما أن تدفع لرفع الضائقة المالية عن الدول التي تحارب الإسلام.
  - أو تنفق في مشاريع استثمارية في الخارج لخدمة اقتصاد الأعداء. كذلك انتشار الطبقية في بلادنا العربية والإسلامية، فئة قليلة من الناس تمتلك معظم الأموال وتتحكم في رقاب المواطنين، وباقي الشعب يعيش في معظم الأحيان تحت خط الفقر. هذا هو الحال الاقتصادي لأمة الإسلام.
- أما على الصعيد الاجتماعي- والذي هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الاقتصادي- فالحالة الاقتصادية المتردية لها أثر سلبي على الحياة الاجتماعية؛ فالعلاقات ممزقة بين أبناء المجتمع، ناهيك عن أبناء الأمة.
- فالمواطن همه كيف يوفر قوت يومه، وكيف يستطيع أن يسدد ديونه التي تحملها من القروض الربوية من أجل شراء سكن يؤويه وأسرته ويبقى مثقلاً بالديون طوال حياته فكيف لهذا أن يفكر بالمصلحة العامة أو يحمل هم الأمة وقد أصبح ناقما في كثير من الأحيان من خلال الطبقية الموجودة.
- ولا نغفل أن هذه الحالة الاقتصادية الاجتماعية المتردية لها دور في انتشار السرقات، وهذا يجعل المواطن لا يشعر بالأمان، كذلك انتشار التسول، فآلاف المتسولين المنتشرين في العالم العربي والإسلامي في الطرقات، منهم المحتاج بالفعل ومنهم من يدعي ذلك.
- هذه الأحوال لها دور في انتهاك الأعراض، ومساومة الأفراد من أجل الحصول على لقمة العيش.

هذا هو الوضع الاقتصادي الاجتماعي المراد وجوده؛ لتبقى الأمة ممزقة اجتماعياً، مدمرة اقتصادياً؛ حتى لا تلتفت الأمة إلى رسالتها الحقيقية؛ وهي إقامة دولة الإسلام التي أرادها الله أن تكون.

وهذا يبيّن أهمية ربط الضرورة الاقتصادية بالاجتماعية لوجود الجماعة المنقذة، فالإسلام هو صمّام الأمان لإنقاذ البشرية، ويحتاج إلى جماعة قائمة على التنظيم والتخطيط؛ ليكون لها دور في تحقيق الإنقاذ على الصعيدين (الاقتصادي والاجتماعي)، ومن ثمّ النهوض بالأمة والوصول

بها إلى العزة والتمكين، وإن المتتبع لآيات القرآن يجد العلاج الذي وضعه الحق تبارك وتعالى لتحقيق هذا النهوض:

قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَللهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، فنجد من خلال هذه الآية تحقيق العدالة الاقتصادية الاجتماعية فهذه العدالة وهذه المساواة لها دور فاعل في تحقيق الأمن الاجتماعي وكذلك في تحقيق الترابط والمودة بين أفراد المجتمع وهذه الآية لها أهميتها في وضع أسس وقواعد النظام الاقتصادي وكيف أن الله ﷻ أقر الملكية الفردية وفي نفس الوقت حدَّدها؛حتى لا يكون تداول الأموال بين الأغنياء دون الفقراء وهذا له دور فاعل في تحقيق الاستقرار الاجتماعي[1]، وقد جسَّد رسول الله ﷺ هذا المفهوم في قوله: "**تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**".[2] فإن لم تكن الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته هي الحريصة على تحقيق ذلك فمن يكون؟؟

ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن تُرغّب في الإنفاق وتحث عليه، منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، في هذه الآية حث على الإنفاق في سبيل الله بالترغيب بالثواب المحبب إلى النفس.

وقال تعالى: ﴿...وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]، مبيّناً ثواب الإنفاق في سبيل الله بالبركة في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة.

بل إننا نجد التخطيط في القرآن الكريم؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع من خلال التفاصيل التي وضعها في الغنائم، وكذلك من خلال الكفّارات، فإن كانت مالية فهي تحقق العدالة على الصعيد المالي، وإن كانت على صعيد تحرير الرقاب فهي تحقق العدالة في حق الحياة، ولهذا دورٌ فاعل في وجود الترابط والتلاحم بين أبناء الأمة.

ولقد جسّد الرسول ﷺ مبدأ العدالة في التوزيع؛ حينما وزع أموال بني النضير على المهاجرين دون الأنصار –عدا ثلاثة نفر منهم– لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم في مكة،

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب–(3524/6)، بتصرف_مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري (8/ 6011/10)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، مرجع سابق.

فحاجتهم إلى المال أكثر من غيرهم، أما الثلاثة نفر من الأنصار الذين خصهم الرسول ﷺ، فلفقرهم وحاجتهم فوضعهم الاقتصادي كوضع المهاجرين[1].

وبذلك قرر مبدأً اقتصادياً كريماً، يُعَدّ من أعظم المبادئ الاقتصادية؛ ألا وهو مبدأ العدالة في توزيع الثروات .

وهذا أبو بكر في حروب الردة يقول: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه " [2]، " ولم تعرف البشرية قبله حاكماً أو رئيس دولة يجيِّش الجيوش ويعلن الحرب لينتزع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء الأشحاء بحد السيف وقوة السلاح...."[3]

كل ما ورد من الهدي القرآني والنبوي، وما قام به رسول الله ﷺ وصحابته لهو دليل قاطع على أهمية تطبيق الشريعة في تحقيق التكافل الاقتصادي الاجتماعي، والاستقرار الأمني، و من ثمَّ النهوض والارتقاء بالمجتمع على الصعيد الاقتصادي وبذلك تصبح الأمة منتجة مستقلة اقتصادياً وهذا له دور في عزة الأمة ومهابتها بين الأمم.

وفي الحديث عن الإنتاج لابد من التأكيد على مراعاة الأولويات؛ فعلى صعيد الصناعة: "لا يجوز أن تقام صناعات للزينة وأدوات المكياج ونحن عالة على غيرنا في تصنيع السلاح"[4]خاصة أن استيراد السلاح مرتبطٌ بشروط تقف حائلاً دون عزة الأمة وتمكينها.

كل ما سبق يفرض وجود الجماعة المنقذة؛ والتي لها دور فاعل في:

- تحقيق العدالة بين الناس، وتوعية الناس إسلامياً بما لهم وما عليهم؛ على صعيد الفرد وعلى صعيد الجماعة.
- تحقيق الأمن الاجتماعي من خلال الارتقاء بالأفراد إيمانياً بعيداً عن الزنا والخمر والمخدرات والسرقة والجريمة.

---

(1) انظر عيون الأثر، ابن سيد الناس (2 / 74)، تعليق إبراهيم محمد رمضان، ط1، 1414هـ/1993م، دار القلم . بيروت.

(2) صحيح البخاري (7284/93/9)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، مرجع سابق.

(3) شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان، د.القرضاوي (58)، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1397هـ .

(4) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، للقرضاوي (313)، ط 3، مكتبة وهبة، 1429هـ . 2008م.

- الحرص على رفع المعاناة عن المواطنين من خلال تقديم المساعدات المالية والعينية لغير القادرين، وتوفير فرص عمل للقادرين حتى يكونوا إيجابيين لهم دور في الارتقاء والنهوض، كذلك المشاركة في حل مشاكلهم، ومن ثم تحقيق الاستقرار الاقتصادي الاجتماعي.

بمعنى أخصّ يجب أن تعمل هذه الجماعة جاهدةً؛ لإنقاذ الأمّة، بل إنقاذ العالم بأسره، فكما أن الإسلام هو صمام الأمان في إنقاذ البشرية، كذلك الجماعة – حاملة هذا الإسلام – لابد وأن تكون صمام الأمان للأمة؛ لإنقاذها على الصعيد الاقتصادي الاجتماعي والسياسي بل والإنساني.

المبحث الثالث
شبهات وردود

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشبهات التي تدعو إلى عدم التحزب

المطلب الثاني: رد المطاعن والاتهامات

المطلب الأول: الشبهات التي تدعو إلى عدم التحزب

إن المتتبع لمفهوم العمل الجماعي في القرآن الكريم وفي السنة، بل ومن خلال سيرة الرسول ﷺ يجد الحديث عن العمل الجماعي وأهميته والحث عليه، بل والتحذير من عاقبة البعد عن هذا الأمر، لما له دور في انتشار الفساد، وفي فتنة أبناء الأمة؛ بل وفي ذلة الأمة.

وقد وردت الآيات مبينة أهمية الولاء بين المؤمنين في بناء دولة الإسلام ومدافعة الباطل من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العبادات، والحث على الجهاد؛ من أجل إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين، فقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 71]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...**﴾ [الأنفال: 72]، كذلك فإن أحاديث عدة وردت عن رسول الله ﷺ تتحدث عن الجماعة وتحث على الانتماء إليها، ومن هذه الأحاديث، قوله ﷺ:

«... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة... ».[1]

بعد كل هذا نجد من يطعن في العمل الجماعي، ويثير الشبهات حوله، وبناءً على ذلك كان لابد من ذكر بعض الشبهات التي تُثار، وأسأل الله أن يوفقني في الرد عليها من خلال الآيات والأحاديث وأقوال المفسرين وفتاوى العلماء؛ لتزول الغشاوة وتتضح الأمور.

أولاً: تعريف الشبهة لغةً:

الشبهات في اللغة، أو الشُبَه: بضم الشين وفتح الباء بعدها، جمع شبهة وتُطلق الشبهة على عدة معانٍ:

المعنى الأول: تُطلق على الالتباس، ومنه شُبِّه بضم الشين وتشديد الباء مكسورة عليه وله، ولُبِّس بضم اللام وتشديد الباء مكسورة، والاشتباه: الالتباس، ومنه اشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز[2].

المعنى الثاني: تُطلَق على الاختلاط، ومنه اشتبه الأمر أي اختلط[3].

---

(1) سبق تخريجه في مقدمة الرسالة (د).

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (1 / 303)، المكتبة العلمية . بيروت.

(3) المعجم الوسيط (1 / 471)، مجمع اللغة العربية . القاهرة، دار الدعوة.

المعنى الثالث: تطلق على الشك ومنه اشتبهت المسألة عليه: أي شك في صحتها(1).

المعنى الرابع: المشكل ومنه المتشابهات أي المشكلات(2).

والملاحظ أن المعاني الثلاث الأولى هي أقرب إلى المعنى الذي نريده وهو بمعنى الشك أو الالتباس أو الاختلاط.

ثانياً: الشبهة في الاصطلاح:

عرّف الجرجاني الشبهة فقال: "ما لم يُتيقن كونه حراماً أو حلالاً"(3).

ويًنسب لعلي بن أبي طالب ﷺ القول: "إنما سُميت شبهة لأنها تشبه الحق"(4).

وعلى هذا فإن الذي يُطلق الشبهات فهو إما عن قصد، أو غير قصد يشكك في أمر التنظيم والتحزب، وهذا له دور في عزوف كثير من الشباب عن الانضمام والانتماء إلى الجماعة أو الحزب الذي يأخذ على عاتقه حمل رسالة الإسلام وإعلاء كلمة الله، والعمل من اجل إقامة دولة الإسلام.

الشبهة الأولى: بدعية العمل الجماعي:

البعض يتحدث بعدم شرعية هذه التجمعات ابتداءً في مرحلة الاستضعاف، وأن الجماعة والبيعة لا تكون إلا بعد التمكين ونصب الإمام مبيناً أن " البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة لولي المسلمين وسلطانهم، وأن ما دون ذلك من البيعات... كلها بيعات لا أصل لها لا في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا عمل صحابي ولا تابعي، فهي بيعات مبتدعة، وكل بدعة ضلالة... فهي خارجة عن حد الشرع" (5).

الأدلة التي أوردوها لتأكيد ما ذهبوا إليه:

1. أن الأحاديث التي وردت في لزوم الجماعة ووجوب البيعة... إنما يقصد بها الجماعة التي هي الأمة.

---

(1) المرجع السابق (471/1).

(2) انظر مختار الصحاح، زين الدين الرازي (1 / 161)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5 . 1420هـ / 1999م، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

(3) كتاب التعريفات (1 / 124)، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1403هـ –1983م.

(4) انظر الفتوح لابن أعثم (2 / 539) .

(5) انظر حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، د. بكر أبو زيد (126- 128)، ط1، دار الحرمين للطباعة . القاهرة، 1426 هـ . 2006 م.

2. حديث حذيفة بن اليمان حينما سأل الرسول ﷺ عن الجماعة ؟ فإن لم يكن جماعة ولا إمام ؟ قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها "[1].

3. الاعتبارات الأمنية وما يترتب على هذه التجمعات من التعجيل بضرب العمل الإسلامي، واستعداء خصومه عليه، مع ما يترتب على ذلك من الفتن وانكسار الدعوة وصد الناس عن سبيل الله.

الشبهة الثانية: هذا التحزب هو أساس نشأة الفرق الضالة:

يقول د. بكر أبو زيد[2]: " وأن هذه الفرق إنما صارت فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي من الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات... ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة؛ عاد ذلك على كثير من الشرعية بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً "[3].

الأدلة التي أوردها:

1. استدل بالآيات التي تدل على الاجتماع ومنها:

أ. قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾ [آل عمران: 103].

ب. وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ...**﴾ [آل عمران: 105]

ج. وقوله تعالى: ﴿**...فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...**﴾ [الأنفال: 1].

2. استدل بحديث رسول الله ﷺ والذي قال فيه: " **لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً** "[4].

3. و بحديث رسول الله ﷺ عن الفرق: " **وإن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله ؟ قال: " ما أنا عليه وأصحابي** "[5].

---

(1) صحيح البخاري (3606/199/4)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، مرجع سابق.

(2) هو بكر بن عبد الله أبو زيد، ولد عام 1365 هـ، وله مشاركة في التأليف في: الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة، طبع منها: فقه القضايا المعاصرة: (فقه النوازل) التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل. موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية http: //www.alifta.com

(3) حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، د. بكر أبو زيد (99)، مرجع سابق.

(4) صحيح البخاري (8 / 19 / 6064) كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، مرجع سابق.

(5) مسند أحمد (14/ 124)، ط1، مؤسسة الرسالة، قال شعيب الأرناؤط: إسناده حسن.

الشبهة الثالثة: العمل السري:

يقول د. بكر عبد الله أبو زيد: " التزم منهاج النبوة والكتاب والسنة علماً وعملاً ودعوة... والزم جماعة المسلمين وإمامهم المسلم في أي بلد – إن كان لهم إمام – بالسمع والطاعة في المعروف ما لم تر كفراً بواحاً عندك عليه من الله برهان... والعمل العمل على الجهر بحكمة ودراية بإعادة الحياة الإسلامية في المسلمين صافية من شوائب الشبهات والشهوات بعمل إسلامي ظاهر لا في السراديب المظلمة "[1].

المطلب الثاني: رد المطاعن والاتهامات

الرد على الشبهة الأولى:

أثناء قراءتي لما كتبه د.بكر أبو زيد متحدثاً عن جماعة المسلمين وإمامهم، وضرورة الانتماء إليها، وعدم الخروج عنها، معتبراً وجوب السمع والطاعة للحاكم في كل دولة، مُسْتَدِلاً بأحاديث الرسول التي تدعو إلى السمع والطاعة، وأن الانتماء إلى أي جماعة هو دعوة إلى شرذمة المسلمين وتفرقهم، حينها توقفت وسألت نفسي سؤالاً: أين جماعة المسلمين التي يتحدث عنها ؟ وأين الإمام الذي يجب مبايعته؟ وحتى تأتي تلك الجماعة التي يتحدث عنها هل سيبقى المسلمون مكتوفي الأيدي ينتظرون مجيء هذه الجماعة، وهذا الإمام الذي يتحدثون عنه ؟ وكيف ستُواجَه مؤامرات الأعداء المنظمة بدون عمل منظّم، وبدون جماعة ولها قيادة ؟؟؟؟

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: 104].دليل على أهمية إقامة الجماعة بل وجوب إقامتها كما بيَّن العلماء. بل الأمر جاء بتخصيص أمة من الأمة بكاملها في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...﴾[آل عمران: 104]

"فالأمة أخص من الجماعة، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بقية الجسد "[2].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال: 73]

فأعداء الإسلام لهم عشرات التنظيمات والحركات والواجهات التي يأتمرون من خلالها على الإسلام وأهله؛ فهم رغم اختلاف أيدلوجياتهم يتكتلون ويوالي بعضهم البعض لمحاربة الإسلام،

---

(1) حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، د. بكر أبو زيد (130)، مرجع سابق.

(2) تفسير المنار (4 / 36)، مرجع سابق.

والله ﷻ في الآية يحذر المؤمنين إذا لم يوالي بعضهم بعضاً، ويواجهوا تنظيم الأعداء بتنظيم إسلامي قوي يواجه مؤامراتهم أن ذلك سيكون له دور في نشر الفساد.

وإليكم بعض الأدلة من أقوال العلماء في شرعية العمل الجماعي:

بل الوجوب من خلال القاعدة الأصولية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[1]... والتي فيها الرد القاطع على هذه الشبهة:

- يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم البعض ولابد لهم عند الاجتماع من رأس[2].
- يقول الإمام الشوكاني تعقيباً على حديث رسول الله ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ** »[3]: " وإذا شُرع هذا لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض أو يسافرون، فإن شرعه لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار، ويحتاجون لرفع التظالم، وفصل التخاصم أولى وأحرى "[4]
- بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية استنبط منه حكم الوجوب قائلاً: " فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع... ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة"[5]

أما في أمر البيعة:

فلقد ورد الحديث عنها في مواضع مختلفة من القرآن الكريم:

1. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: 10].
2. وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 18].

---

(1) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (419)، مرجع سابق.

(2) مجموع الفتاوى ابن تيمية (390/28).

(3) أخرجه أبو داود في السنن (3 / 2608/36)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (2 / 3911/1145).

(4) إحكام الأحكام، ابن دقيق العيد، ج 2، ص 175.

(5) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية (169)، مرجع سابق.

3. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 12].

أما رسول الله ﷺ فقد ذكر البيعة في قوله ﷺ: " **وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** "[1]، والمتتبع لسيرة رسول الله ﷺ يجد أنه بايع الصحابة أكثر من بيعة كالبيعة على الإسلام... بيعة العقبة الأولى... بيعة العقبة الثانية، وهذا لضرب المثل لا للحصر، ولقد اقتدى الصحابة ﷺ برسول الله ﷺ فكانت بيعتهم لأبي بكر وعمر ﷺ ومَنْ بعدهم من الخلفاء، فإذا كان ذلك" في عهد أبي بكر وعمر ومن تبعهم من الخلفاء، أيصحّ أن يكون في عصر الصحابة خلافة وتنصيب إمام؟! وهم خير القرون في تطبيقهم للإسلام وخشيتهم لله، ولا يصح ذلك في وقتٍ الأُمَّةُ فيه أحوج ما تكون إلى إقامة إمام يحكم بينهم بالعدل ويصلح لهم أمور دينهم ودنياهم ويسوسهم بما يرضي الله ﷻ " [2]).

ولقد أفتى العلماء بشرعيتها فهاهو شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: " الذي يوجبه الله على العبد قد يوجبه ابتداءً كإيجابه الإيمان والتوحيد على كل أحد، وقد يوجبه لأن العبد التزمه وأوجبه على نفسه... كالوفاء بالنذر للمستحبات، وبما التزمه في العقود المباحة كالبيع والنكاح والطلاق ونحو ذلك إذا لم يكن واجباً، وقد يوجبه للأمرين كمبايع الرسول ﷺ على السمع والطاعة له، وكذلك مبايعة أئمة المسلمين، وكتعاقد الناس على العمل بما أمر الله به ورسوله "[3]

وكذلك الدكتور صلاح الصاوي: إن اجتماع الناس على طاعة، وتعاقدهم على الوفاء بها، ودعوة الناس إلى ذلك؛ إنما هو من جنس التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر؛ وذلك لينتظم بها أمر الدعوة، ويجتمع بها شمل العاملين للإسلام مبيناً أن لزوم الجماعة فريضة الوقت معتبراً أن ذلك فريضة تُخاطَبُ به التجمعات كما يُخاطَبُ به الأفراد....فإذا اجتمعت كلمة هؤلاء وانتظم أمرهم حول متبوع مُطاع صار اتباعهم فريضة مُحْكَمة وصار السعي من خلالهم لإقامة الدين واجباً مُتَعيِّناً لا حيلة لأحدٍ في دفعه [4].

---

(1) صحيح مسلم(1815/1478/3)، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة من الكفر.

(2) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (170)، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، (170)،

(4) انظر: الثوابت والمتغيرات (144، 145)، د.ط_د.ت.

والغريب أننا نجد د. بكر ترك الحديث عن العلمانية والماركسية وخطرها على أمتنا، ولم يتطرق للحديث عن الانتماء إلى أيٍّ من هذه الأحزاب، وكأن هذه الأحزاب لا مشكلة في الانتماء لها، ما دام المنتمي إلى تلك الأحزاب انتسب إلى الإسلام اسماً وصلى وصام، حتى لو قاتل لتكون راية العلمانية أو الماركسية هي العليا، ورسول الله ﷺ يقول: " **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** "[1].

لم يتحدث عن العقود و البيعات لهذه الأحزاب ولم يتحدث عن الولاء بالسمع والطاعة للحكام الذين لا يقيمون شرع الله.

وإنما عن الجماعات والأحزاب التي وضعت نصب عينها إقامة حكم الله و تعمل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، بل وإنقاذ الأمة من براثن الفساد الذي تعيش فيه على كل صعيد.

<u>الرد على موضوع الاعتبارات الأمنية:</u>

وما يترتب على هذه التجمعات من التعجيل بضرب العمل الإسلامي واستعداء خصومه عليه، أقول: لعلّ هذا دليل قاطع على أن هذه الجماعة اقتدت برسول الله وصحابته في مواجهة الباطل والتصدي له مهما كلّفها ذلك من تضحيات، والمستقرئ لسيرة الرسول ﷺ يرى كم تحمّل الرسول وصحابته من أذى؛ من أجل ترسيخ معنى لا إله إلا الله، وإعلاء كلمة الله، ثم إقامة دولة الإسلام، ولقد قالها واضحة للخباب بن الأَرَتّ حينما طلب منه الدعاء بالنصر... قال له: "**كان الرجل فيمن قبلكم يُحْفَرُ له في الأرض، فيُجْعَلُ فيه، فَيُجاءُ بالمِنشار فيُوضَع على رأسه فيُشَقُّ باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه**"[2]).

بل إن الحق تبارك وتعالى يقول: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ...**﴾ [النساء: 77].

وقال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 142]

(1) صحيح البخاري (123/36/1)، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، (3612/201/4)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وأيضاً حديث رسول الله ﷺ عندما سئل أي الجهاد أفضل ؟ قال: " **كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ** "[1]، وما ورد عن العلماء العاملين ماذا واجهوا من أجل تحقيق ما أراده الله؛ ابن تيمية... أحمد بن حنبل... العز بن عبد السلام.... الخ

إذن...المشكلة ليس فيمن يقيم الجماعة على هذه الأسس تأسياً برسول الله وصحابته؛ وإنما المشكلة في أمرين:

1. سطوة الحكام ومحاربتهم لمن يعمل لإقامة شرع الله وتحقيق الاستخلاف.
2. تخاذل الكثير من أبناء هذه الأمة؛ طلباً للراحة وخوفاً من الأذى.

ثم إن الذين يُسقِطون أحاديث السمع والطاعة التي ذكرها رسول الله ﷺ طاعة للأمير على طاعة الحكام الموجودين، وأن عدم طاعتهم هي سبب الفُرقة، وأنها خروج على الجماعة التي ذكرها رسول الله ﷺ:

أولاً: نسي هذا الفريق أن رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي رواه مسلم عن جدة يحيى بن حصين رضي الله عنه حيث قالت: قال رسول الله ﷺ: " **وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا** ".[2]، الشاهد في الحديث: " **يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ** "

ثانياً: السمع والطاعة للأمير لا تكون إلا في طاعة الله عز وجل، وهذا ما يؤكده رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ** ».[3] مؤكداً على عدم السمع والطاعة في المعصية.

فأين الذين ينادون بطاعة الحكام والالتزام بما يقولون من هذا الحديث؟! بل إنهم يعتبرون أن قول كلمة الحق –وما يتبعها من أذى يتعرض له الداعية– فلا تجب؛ حتى لا تسبب الفُرْقة.

(1) مسند أحمد (18830/126/31)، تحقيق شعيب الأرناؤط، ط1، 1421 هـ – 2001 م، مؤسسة الرسالة، قال شعيب الأرناؤط: إسناده صحيح.

(2) صحيح مسلم (3/ 1838/1468)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

(3) صحيح البخاري (9/ 7144/63)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

فالرسول ﷺ يقول: " ما أقام فيكم كتاب الله"، وكتاب الله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51] أين حكامنا من هذه الآية ؟.

والله ﷻ نهى في كتابه عن شرب الخمر فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، وقول الرسول ﷺ: " **لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا** "[1]... أين حكامنا من افتتاح حانات الخمور، بل أسواقهم الحرة ومطاراتهم وفنادقهم تعجّ بالخمور، فأين هم من إقامة حكم الله ؟.

بل الله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73].

أين حكامنا من تحقيق ذلك لمحاربة الفساد وإقامة دولة الإسلام ؟؟؟

وفي آية أخرى يقول الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾[الأنفال:39] فأين حكامنا من هذا المفهوم ؟ وماذا تعني وجود القواعد الأمريكية في بلادنا ؟.

ثم إن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي: " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** "[2]، فماذا تعني المعاداة ؟؟ أهي الاعتقال والتعذيب ؟ أم القتل والتشريد ؟

بل إن هؤلاء العلماء الذين ينادون بطاعة الحكام المطلقة بناءً على أحاديث رسول الله ﷺ نسوا حديث رسول الله ﷺ والذي يقول فيه: " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ** "[3].

والحديث الآخر: " **وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ** "[4].

---

(1) مسند أحمد مؤسسة الرسالة (9/10) قال شعيب: حديث صحيح بطرقه وشواهده، وقال الألباني (صحيح الجامع الصغير 907/2): صحيح.

(2) صحيح البخاري (6502/105/8)، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(3) صحيح مسلم (55/74/1)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

(4) مسند أحمد (14 / 399) قال شعيب: إسناده صحيح.

أين الذين ينادون بذلك من العلماء العاملين الذين كانوا يدخلون على الحكام، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويذكرونهم بالله ﷻ وعلاقتهم معه.

الرد على الشبهة الثانية:

1. الآيات التي ذكروها تدل على ضرورة توحد الأمة وعدم تفرقها، وهذا صحيح، ولكن يجب أن نعلم أن الله ﷻ بعد ذلك قال: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...** ﴾ و﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...**﴾، ولعلي هنا أذكر ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو شاء الله لقال: "أنتم"، فكنا كلنا، ولكن قال: "كنتم"، في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [(1)].

وإن دل هذا على شيء؛ فإنما يدل على تخصيص جماعة من دون الأمة، تأخذ على عاتقها حمل رسالة الإسلام على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وكلنا يعلم أن خاصة الأصحاب حملوا الإسلام بشموليته وتحملوا العذاب وصبروا وثبتوا في حمل رسالة الإسلام في وقت الاستضعاف، وجاهدوا بكل قوة في مرحلة الاستخلاف.

2. الرد على قولهم بأنها صارت فرقاً بخلافها للفرقة الناجية: إن الفرق التي ذكروها هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع والضلالة، ويؤكد على ذلك ما قاله أبو الفرج الجوزي: " فإن قيل هذه الفرق معروفة فالجواب: أنا نعرف الافتراق وأصول الفرق، وأن كل طائفة من الفرق، انقسمت إلى فرق وإن لم نُحطْ بأسماء تلك الفرق ومذاهبها، فقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية " [(2)].

وذكر القرطبي عن بعض أهل العلم قولهم: " أن أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة " [(3)].

وأقول لو كان المقصود من التفرقة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: 105] هو إقامة جماعة من دون الأمة، تأخذ على عاتقها الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لما قال الحق تبارك

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (ج 7/ص101 /7608)، مرجع سابق.

(2) تلبيس إبليس، (19/1)، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ/ 2001م.

(3) الجامع لأحكام القرآن، (160/4)، مرجع سابق.

وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾، بعد ذكر الاعتصام بصفة عامة هذه واحدة، أما الثانية: فالاختلاف في هذه الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: 105] أراد به الاختلاف في الأصول وليس على الفروع.

ويؤكد على ذلك الألوسي: " ثم هذا الاختلاف المذموم محمول كما قيل على الاختلاف في الأصول دون الفروع "(1).

خلاصة القول:

إذا قامت جماعة أو حزب على أساس الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تدعو إلى الله وهي مستقيمة على أمره، وتسعى لإقامة حكم الله ﷻ بعيداً عن الأهواء، وتعتبر نفسها جماعة من المسلمين، وتحمل الحق بسيرها على نهج رسول الله ﷺ، وماضية في الطريق حتى إقامة دولة الإسلام الكبرى، وتنادي كل المسلمين بالوحدة على منهج الله دون التوقف عند الاختلاف في بعض الفرعيات؛ من أجل الارتقاء بالفقه الإسلامي من خلال فقه الأولويات، والموازنات، والتعامل مع الثوابت والمتغيرات، بعيداً عن الجمود، قادرة على مواجهة التحديات،

فإن هذه الجماعة مطلوب من الجميع أن يؤيدها ويضع يده بيدها لأداء رسالتها، لا مواجهتها والوقوف عائقاً في طريقها

الرد على الشبهة الثالثة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]

أي "إذا بلغهم خبر من أخبار سَرِيَّة غازية أَمِنَتْ من الأعداء بالظفر والغلبة، أو أيِّ خبرٍ من ناحية المركز العام للسلطة أذاعوا به أي بثوه بين الناس وأشاعوه بينهم (2) وكلمة الأمن في الآية تدل على أهمية السرية محافظة على أمن الأفراد؛ بل ونجاح الخطط، ولقد أكد على ذلك رسول الله ﷺ في قوله: " **اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ لَهَا**"، وهذا ضروري للجماعة المنقذة التي تحمل رسالة التغيير في المجتمع؛ وخاصة في ظل تكتل الشرق والغرب وتآمرهم للقضاء عليها في مهدها.

---

(1) روح المعاني، الألوسي (240/2)، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1415هـ.

(2) تفسير المنار محمد رشيد رضا، (242/5)، مرجع سابق.

ولقد تعامل الرسول ﷺ بالسرية في صدر الدعوة من خلال الاتصال الفردي بناءً على الثقة وحفاظاً على السرية والكتمان، وتعامل بها كذلك في العصر المدني في بناء الدولة.

وإذا قيل قد كانت قريش على الشرك وتحارب الإسلام، ولكننا اليوم في بلاد إسلامية تبيح الصلاة وإقامة الشعائر، فما الداعي للسرية؟ فالجواب: إذا كان المجتمع القرشي مشركاً، ففي هذه الأيام نحن نعيش في مجتمع يحمل اسم الإسلام؛ ولكنه في الواقع إما يعمل تحت راية العلمانية أو الماركسية أو القومية، ولا يحمل روح الإسلام، بل ويحارب من يحملون الإسلام الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه بشموليته وتكامله بكل ما تحمل هذه الكلمة من مفهوم.

كذلك فإن هذه الجماعة التي انتهجت السرية في مرحلة معينة للمحافظة على أفرادها، وليأخذوا دورهم في بناء دولة الإسلام، هؤلاء هم من نشروا الدعوة والفكر الإسلامي الصحيح من خلال كتاباتهم ومحاضراتهم وبرعوا في توضيح مناهجهم وخططهم، بل هم أول من صدحوا بكلمة الحق عند سلطان جائر، وهم أول من قام بتوعية الناس بخطورة المناهج الدخيلة على أمة الإسلام، ولولا ذلك لانتشر الفساد... ثم بعد ذلك نجد من يقول سراديب مظلمة ؟؟!



الفصل الثالث
خصائص ومواصفات الجماعة المنقذة

وفيه خمسة مباحث:

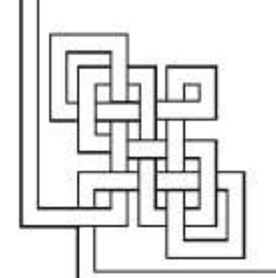
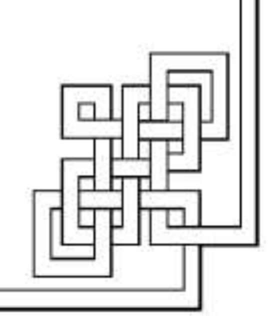
المبحث الأول: الربانية.

المبحث الثاني: التميز.

المبحث الثالث: الشمولية والتكامل.

المبحث الرابع: التوازن.

المبحث الخامس: المرونـة.

الفصل الثالث

خصائص ومواصفات الجماعة المنقذة

بعد الحديث عن الجماعة المنقذة وأهميتها من الناحية الشرعية في إقامة حكم الله ﷻ، ومن الناحية البشرية في إصلاح أحوال الأمة، والذي هو مهمة هذه الجماعة، التي اصطفاها الله لحمل رسالته، ونصرة دينه، لابد من التعرف على مواصفات هذه الجماعة ومميزاتها، وخاصة أن آيات كثيرة في القرآن الكريم تحدثت عن هذه المواصفات نذكر منها للمثل لا للحصر:

1. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: 54].

2. وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...**﴾ [الفتح: 29]

معظم المفسرين ربطوا بين الآيتين في بيان صفات القوم الذين يأت بهم الله حينما يتولى الكثير عن نصرة دينه، وإقامة شريعته، وعلى رأس هذه الصفات " **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**" والباحث في آيات القرآن يتبين له الصفات التي توجب محبة الله ﷻ منها[1]:

1- ﴿...**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: 195] .

2- ﴿...**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: 222] .

3- ﴿...**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة: 7].

4- ﴿...**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8].

5- ﴿...**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159].

6- ﴿...**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**] [آل عمران: 146].

7- ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصّف: 4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(135/3، 136)، انظر تفسير أبي السعود(51/3)، فتح القدير الشوكاني (59/2).

8- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

لاشك أن تحقيق هذه الصفات التي يحبها الله ﷻ لا يستطيع أن يقوم بها أي أحد، ولا يستطيع أن يصبر عليها أي أحد، ولا يستطيع أن يَصْدُق في تطبيقها أي أحد، بل لا يستطيع الإنسان تحقيقها بمفرده، بل لابد من العمل الجماعي المنظم الذي يوحد الجهود لتحقيق الأهداف.

وعلى رأس تلك الأهداف هو إقامة دولة الإسلام التي تمكن لدين الله، وتحمي أرض المسلمين وأرواحهم وأعراضهم، وتبلغ دعوة الله إلى الناس كافة.

و لابد لهذه الجماعة أن تكون ربانية، واضعة أمامها أهدافاً سامية، مواكبة لمتطلبات العصر قادرة على التغيير في كل مجال، محققة لشمولية الإسلام، كمنهاج حياة متكامل، قادرة على تحقيق التوازن في حياة الفرد وحياة الجماعة، رافعة للواء الحق، باذلة كل جهدها لإعلاء كلمة الله، مضحية بالغالي والنفيس، ماضية في طريقها، متجاوزة كل العقبات، ببصيرة وحكمة داعية إلى الله، لسان حال من ينتمون إليه يرددون ما قاله الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، محققة للشورى بين أفرادها، ﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشُّورى: 38]؛ ليكون بإذن الله الرأي الصواب، وبعد ذلك سيكون التقدم والرقي والنهضة على كل صعيد.

إذن هي الجماعة المنقذة التي تحمل رسالة الإسلام لبناء دولة الإسلام، فلا بد لها من خصائص ومميزات تعينها على أداء الرسالة بما يرضي الله ﷻ.

وسأتناول بإذن الله تعالى، هذه الصفات من خلال المباحث الآتية:

- الربانية.
- التميز.
- الشمولية والتكامل.
- التوازن.
- المرونة.

المبحث الأول
الربانية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الثقة بالله.

المطلب الثاني: الاعتصام بكتاب الله.

المطلب الثالث: الصدق.

المطلب الرابع: الصبر.

المطلب الخامس: العدل.

المبحث الأول

الربانية

إن الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لقيادة البشرية وأستاذية العالم، لا بد وأن تكون ربانية؛ كيف لا؟ وهي المُسْتَخْلَفة في الأرض لتحكيم شرع الله.

قال تعالى: ﴿...**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[آل عمران:79]

وقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 146]، معظم المفسرين أن الربانيين هم أرباب العلم، واحدها ربان، وهو الذي يربّ الناس بتعليمهم وإصلاحهم والقيام بأمرهم. (1)

والملاحظ في الآية الأولى، أن الربانية رسالة الأنبياء يوجهون الناس لتحقيقها وتجسد ذلك في قوله تعالى: ﴿. . .**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: 79]، أما الآية الثانية، فتحدثت عن أنصار الأنبياء وأعوانهم والمؤيدين لهم والحاملين رسالتهم.

والربانية تعني:

أ. أن يذعن الإنسان لأمر الله وحكمه، وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[النساء: 65].

ب. أن أحكام هذه الشريعة وأنظمتها ومبادئها ليست من صنع البشر.. وإنما شارعها صاحب الخلق والأمر في هذا الكون. (2)

وعلى هذا تنقسم الربانية إلى قسمين:

- **أولًا: ربانية الغاية والوجهة.**
- **ثانيًا: ربانية المصدر والمنهج**(3).

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (543/6)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (53/2)، فتح القدير، الشوكاني (407/1)، التفسير الوسيط، للزحيلي (207/1)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا (286/3).

(2) مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، (24/2)، مرجع سابق

(3) انظر الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، (7-52)، ط1 . 1397 هـ . 1977 م، مكتبة وهبة . القاهرة.

أولًا: ربانية الغاية والوجهة:

وتتجسد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأنعام161-163].

إنها الربانية الحقيقية، إنها شرف الانتساب إلى الله وابتغاء مرضاته، وهذا ما يعنيه الشعار الذي يردده المسلمون "الله غايتنا"، وهذا ما يتحقق في صلاتنا وألسنتنا تلهج بقوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ [الفاتحة: 4]

ومن أجمل ما قرأت في الربانية:

"في القلب شعثٌ لا يلمّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه.. وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له." (1)

ما أحوج الفرد وما أحوج الجماعة المنقذة –التي وضعت نصب عينها حمل رسالة الله وإعلاء كلمته وإظهار دينه– إلى تحقيق هذه المفاهيم في أفرادها وفي نفسها لتحقيق قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۚ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 146-147].

ثانيًا: ربانية المصدر والمنهج:

والتي تتجسد في الشعار الذي ردده المسلمون "القرآن دستورنا"، فالعقيدة الربانية ذات أصل رباني ومصدر إلهي، أرسى أصول الأخلاق والآداب ورسم الإطار الكامل للتشريع في مجالات الحياة المختلفة. (2)

وحينما يستشعر الإنسان أن الله الذي خلقه وصوّره هو الذي شرع له وجعل هذا التشريع هدىً ونوراً وشفاءً ورحمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية (156/3)، مرجع سابق.

(2) كتاب الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. عبد الرحمن الكيلاني وآخرون (184)، دار المناهج، عمان، الأردن ط1، 1419 هـ. 2000م.

فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، وفي قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾** [النساء: 174]،

فهذا الشعور بلا شك، بل إن هذه المعرفة وهذا العلم سيدعو الإنسان إلى" الاحترام وسهولة الانقياد" [1]، كيف لا، وهو يستشعر قمة الكرامة وقمة العزة في انقياده لأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأهمية هذه الخاصية للجماعة المنقذة فقد تم تقسيمها إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: الثقة بالله.

المطلب الثاني: الاعتصام بكتاب الله.

المطلب الثالث: الصدق.

المطلب الرابع: الصبر.

المطلب الخامس: العدل.

(1) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي (48)، ط1 . 1397 هـ . 1977 م، مكتبة وهبة . القاهرة.

المطلب الأول: الثقة بالله

إن الثقة بالله لمن الضرورة بمكان للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله ﷻ لحمل رسالته وإعلاء كلمته.

فجماعة منوط بها تحقيق الاستخلاف لهي بحاجة ماسة إلى استشعار الثقة بالله ﷻ من أجل النصر والتمكين. "فالثقة بالله منزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين وهي خلاصة التوكل على الله." (1) والثقة التي تبرز في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا...**﴾ [آل عمران: 146]

الثقة التي برزت في الجماعة المؤمنة يوم أحد بعد الهزيمة يوم أن دعاهم الرسول ﷺ فاستجابوا فقال فيهم الحق تبارك وتعالى: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران171-173]

فاستحقوا على هذه الثقة قوله تعالى: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: 174].

قوله تعالى: (**فَزَادَهُمْ إِيمَانًا** ﴾أي فزادهم يقينا إلى يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم.. وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه ﴿ **حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾(2)

إنها صورة رائعة؛ صورة المؤمنين الواثقين بالله الموقنين بنصره رغم الهزيمة التي حلت بهم، ولكنها العقيدة الراسخة، لكنها الربانية التي تحققها الجماعة المؤمنة في مواجهة العدو ودحض مؤامراته.

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية (142/2)، مرجع سابق.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (405/7)، بحر العلوم، للسمرقندي (266/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (115/2)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (1/ 157)، التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، (1/ 310)، ط10 . 1413 هـ، دار الجيل الجديد . بيروت.

"هذه الصورة الهائلة كانت إعلاناً قوياً عن ميلاد هذه الحقيقة الكبيرة.. صورة التوكل على الله وحده وعدم المبالاة بمقولات الناس"[1]، نعم إنها الثقة والقوة والطمأنينة التي يجب على الجماعة المنقذة أن تربي أفرادها عليها ليكون لهم الدور الفاعل في تحقيق الرسالة المنوطة بهم ألا وهي إنقاذ البشرية من الويلات، ولن تستطيع الجماعة تحقيق ذلك الإنقاذ إلا من خلال الثقة بالله والتوكل عليه.

ولا بد حين الحديث عن الثقة بالله؛ من معرفة أنها تعني التوكل لا التواكل، التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، "فالواثق بالله فعل ما أمره الله به، ووثق بالله في طلوع ثمرته وتنميتها وتزكيتها كغارس الشجرة وباذر الأرض.. فالثقة إنما تصبح بعد بذل المجهود." [2]

وهذا الذي كان مع صحابة رسول الله ﷺ حين دعاهم للجهاد استجابوا رغم الآلام ورغم الجراح وانطلقوا يجاهدون في سبيل الله ومن ثم كانت الثقة بالله فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

أهمية الثقة بالله في الدعوة:

فالشعور بمعية الله ضروري في طريق الدعوة للفرد وللجماعة؛ ولهذا جاء الخطاب الرباني في هذا المجال في مثلين:

أ- موسى وهارون -عليهما السلام-.

ب- محمد ﷺ.

المثل الأول: موسى وهارون عليهما السلام:

قال تعالى مخاطبًا موسى وهارون عليهما السلام وآمرًا لهما بالدعوة إليه: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه: 43-46]. "أي إنني معكما بالنصر والمعونة والتأييد والحفظ."[3]

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (520/1)، مرجع سابق.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (123/2)، مرجع سابق.

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (2 / 1522)، مرجع سابق.

فقول الله ﷻ لهما إنني معكما إشعار لهما بمعيته، فهي القوة وهي الثقة.. "إنني معكما.. إنه القوي الجبار الكبير المتعال.. إنه معهما وكان هذا الإجمال يكفي، ولكنه يزيدهما طمأنينة ولمسًا بالحس للمعونة ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾.. مع الطمأنينة الهداية إلى صورة الدعوة." [1]

فكانت رسالتهما إلى فرعون استنقاذ بني إسرائيل والعودة بهم إلى عقيدة التوحيد وهل هذا إلا رسالة الجماعة المنقذة في الدعوة لله؛ لاستنقاذ الأمة بكاملها بل البشرية من الويلات التي تعيشها من جراء بعدها عن الله ومن ثم العودة بها إلى عقيدة التوحيد.

المثل الثاني: سيدنا محمد ﷺ:

يأتيه الخطاب في قوله تعالى﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدَّثر 1-3].

الدعوة تكليف ليس بالسهل وأمانة ليست بالبسيطة، والدعوة ليست وعظًا وإرشادًا فحسب؛ ولكنه التغيير الذي جاء به محمد ﷺ وستحمله الجماعة من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، إنها إقامة دولة الإسلام على شرع الله، "إنه النداء العلوي الجليل، للأمر العظيم الثقيل.. نذارة هذه البشرية وإيقاظها وتخليصها من الشر في الدنيا ومن النار في الآخرة وتوجيهها إلى الخلاص قبل فوات الأوان.. ثم يوجه الله رسوله إلى تكبير ربه ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾.. وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ومتاعبها بهذا الشعور فيستصغر كل كيد وكل قوة وكل عقبة." [2]

وهذه التوجيهات التي جاءت في بداية سورة المدثر كما أنها كانت "ضرورية ونافعة للنبي ﷺ بعد بدء الوحي، تشتمل على البدء بالإنذار وتكبير الله وتطهير نفسه وقلبه والترفع عن محقرات الأخلاق.." [3] من التمنن واستكثار العمل واستعجال الثمرة، فإنها كذلك ضرورية لكل من حمل الرسالة من بعده ﷺ.

وهذا من الضرورة بمكان للجماعة المنقذة التي أخذت على عاتقها حمل رسالة الإسلام وتحقيق الاستخلاف أن تستشعر ذلك في مواجهة الابتلاءات والعوائق التي تواجهها في طريق الدعوة.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (4/ 2337)، مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (6/ 3754)، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (1280/15)، دار الفكر العربي . القاهرة.

(3) الوسيط للزحيلي (3/ 2769).

الثقة بالله من أعظم أسباب النصر والتمكين:

وقد وضح ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ . .**﴾ [البقرة249–251].

فالجماعة المنقذة مطالبة بهذا الكم من الثقة بالله وبتأييده وبنصره بعد أخذ الأسباب كلها، حتى تتحقق لها الغلبة والنصر..

" فالفئة المؤمنة ذات الموازين الربانية الواثقة بلقاء الله تستمد صبرها كله من اليقين بهذا اللقاء، وتستمد يقينها كله من الثقة بالله.. تغلب في النهاية لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار"[1]؛ الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وختمهم بمحمد ﷺ والتي من أجلها أنزل الكتب وختمها بالقرآن، هذه الغاية هي إظهار دين الله "هي الصلاح في الأرض، هي التمكين للخير بالكفاح مع الشر"[2]، وأظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: 251].

وهل الإنقاذ إلا بإنهاء الفساد من الأرض وتمكين الصلاح؟! وهل الإنقاذ إلا في نشر الخير والنماء فيكون الارتقاء وتكون النهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويسود الأمن والأمان؛ الذي تفتقده البشرية بعُلُوِّ الباطل وإفساده في الأرض.

إذن هي الثقة بالله التي تعين الجماعة المنقذة على حمل رسالتها في إنقاذ البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، ظلمات الفساد والباطل والانحراف والظلم، إلى نور الهداية والطاعة والخير والصلاح.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 269)، والتفسير الوسيط، للزحيلي (2/ 389).

(2) المرجع السابق، سيد قطب (270/1).

المطلب الثاني: الاعتصام بكتاب الله

لقد تم الحديث في المطلب الأول عن الثقة بالله، وأثرها في انطلاقة المسلم بقوة لأداء دوره بما يرضي الله ﷻ، و كذلك في الجماعة المنقذة لتؤدي دورها في الارتقاء والنهضة وتحقيق النصر والتمكين.

ولنعلم أن الثقة بالله لا بد وأن تقترن بالعمل، وليس أي عمل؛ وإنما المنبثق من الفهم الدقيق لكتاب الله والتدبر له ومن ثم التمسك به وترجمته عملياً في حياة الفرد والجماعة.

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾ [آل عمران: 103] إنه الاعتصام بكتاب الله؛ "والذي في اتباعه النجاة والسعادة، وفي مخالفته الشقاء"[1].

الاعتصام طريق الهداية:

قال تعالى: ﴿. . .**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: 101] أي: "ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته، فقد وُفِّقَ لطريقٍ واضحٍ وحُجَّةٍ مستقيمة غير مُعْوَجَّة، فيستقيم به إلى رضا الله، وإلى النجاة ومن عذاب النار والفوز بجنته." [2]

وسواء أكان الخطاب موجه إلى صحابة رسول الله ﷺ أو إلى الأمة على الإطلاق؛ فالنتيجة واحدة وهي الهداية إلى الإسلام، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى مؤكدًا على هذا المفهوم: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: 15-16].

إذن هو النور الذي أرسل الله به محمد ﷺ لهداية الأمة وخاصة الذين يحرصون على مرضاة الله فهؤلاء يعصمهم الله من الزلل ويهديهم إلى سبيل الرشاد، وبذلك تنكشف الظلمة وتنجلي الغمة بنور الوحي وبصيرة الإيمان ومعرفة اليقين، فكلما اعتصمنا بكتاب ربنا اعتصامًا حقيقيًا عن وعي وإدراك.. فإن ذلك هو الطريق إلى النصر والتمكين.

والاعتصام الحقيقي يكون بعدم طاعة أهل الكتاب؛ فالله يريد لهذه الجماعة المنقذة التي اصطفاها لقيادة البشرية أن يكون لها نظامها الخاص المنبثق من كتاب الله، "فلا تطيع أهل الكتاب

---

(1) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (76/19)، مرجع سابق.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (61/7)، بحر العلوم للسمرقندي (1/ 234)، مفاتيح الغيب، الرازي (309/8)، ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (65/2)، تفسير المراغي (4/ 16)، .

ولا تتلقى عنهم ولا تقتبس مناهجهم.. لأن ذلك يحمل معنى الهزيمة الداخلية والتخلي عن دور القيادة الذي أنشئت من أجله الأمة الإسلامية وخاصة أن أهل الكتاب يحرصون كل الحرص على حرف هذه الأمة عن عقيدتها." [1]

الاعتصام هو طريق الوحدة والقوة:

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، فالاعتصام بحبل الله هو الأصل وبه يكون الاجتماع والاتحاد، وسواء كان المقصود بحبل الله القرآن أو الجماعة، "فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع وبه نتحد، لا بجنسيات نتبعها، ولا بمذاهب نبتدعها.. ثم نهانا عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع والاعتصام، لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة"[2]، وهذا دليل على أن الاعتصام هو طريق الوحدة والعزة والقوة.

فأذا كان الاعتصام والتمسك بعهد الله ونهجه ودينه هو الركيزة الأولى التي تقوم عليها الجماعة المسلمة، فإن الركيزة الثانية هي الأخوة في الله على منهج الله لتحقيق منهج الله[3]، وهذا ما يجب أن تكون عليه الجماعة المنقذة، لتقوى شوكتها وتكون لها مكانتها المهابة وكل ذلك من أجل إقامة شرع الله في الأرض وإعلاء كلمته وإظهار دينه.

الاعتصام طريق التميز (للجماعة المنقذة):

ولا شك أن التميز الذي أردناه هو ما تتميز به الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لقيادة البشرية فهي جماعة متميزة باعتصامها بالله وكتابه، وإتباع مرضاته، وإقامة منهجه..

وقد وضح ذلك في عدة أمور:

أ. عدم طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100].

"وهذا خطاب للجماعة المسلمة وتحذير وتنبيه وتوجيه وبيان خصائص الجماعة المسلمة وقواعد منهجها وتصورها وحياتها وطبيعة وسائلها...لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشئ في

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، باختصار، (1 / 438)، مرجع سابق.
(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (4/ 17) مرجع سابق.
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 442) .

الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة ظاهرة". [1] ولذلك جاءها النهي أن تنتصح أو تقبل منهم رأيًا أو مشورة[2] فهم لا يحملون لهذه الأمة إلا الغل والحسد وتبين ذلك في قوله تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بعد ما تبين لهم الحق...﴾** [البقرة: 109].

ب. التميز بالقرآن وبرسول الله ﷺ:

وفي ذلك قال تعالى: ﴿. . .**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ [المائدة: 15].

وقال تعالى: ﴿...**وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**...﴾ [آل عمران: 101]. "فالإسلام منهج ذو خصائص متميزة في التصور الاعتقادي، وفي التشريع المنظّم لأمور حياتنا كلها، ومن ناحية القواعد الأخلاقية." [3]

فهذا القرآن تميزت به الأمة، إذن لابد أن تتميز به الجماعة المنقذة التي حملت رسالة إنقاذ البشرية، فمنهج متميز يحتاج إلى جماعة متميزة تحمله، وأما التميز بالرسول ﷺ فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَفِيكُمْ رَسُولُهُ** ﴾، فالخطاب وإن كان بلفظ الخصوص لأصحاب رسول الله ﷺ ولكن لايمنع أن يكون عاماً لجميع الأمة؛ "لأن آثاره وعلاماته، والقرآن الذي أتي به فينا فكأن رسول الله فينا وإن لم نشاهده." [4]

وتميز الجماعة بالرسول أنه كان ترجمة لهذا القرآن فمثل القدوة للأمة ومن ثم القدوة للجماعة المنقذة، قال تعالى: **﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾** [آل عمران: 159]، **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: 107]، وهذه الرحمة ترجمها قوله تعالى: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ...﴾** [البقرة: 151] فهذه رحمة في الدنيا من الشقاء، ورحمة في الآخرة من العذاب.

---

(1) المرجع السابق سيد قطب (1/ 438)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (2/ 64).
(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (60/6)، مرجع سابق.
(3) المرجع السابق، سيد قطب (1/ 221).
(4) بحر العلوم، للسمرقندي (1/ 234)، مرجع سابق.

ج. التميز بقيادة البشرية وحمل رسالة التغيير:

إن الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لقيادة البشرية وميّزها بمنهج خاص وأمرها بعدم التلقي من غيره وبيّن لها أن الاعتصام به هو طريق الهداية وهو الطريق المستقيم، كذلك بيّن لها طبيعة الرسالة المطلوبة منها لإعلاء كلمته وإظهار دينه في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]، فهذا هو طريق القيادة وهذه هي رسالة التغيير، وإنقاذ البشرية من براثن الفساد وويلات اتباع الأهواء والشهوات.

وسواء كانت "الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو رسالة هذه الأمة إلى سائر الأمم أو بين أبنائها"[1] فهي رسالة الجماعة المنقذة – رسالة التغيير– التي تميزت بها هذه الجماعة "لإقامة منهج الله في الأرض ولتغليب الحق على الباطل والمعروف على المنكر"[2]، هذه الرسالة هي التي من أجلها اصطفى الله هذه الجماعة لقيادة البشرية، وميزها بذلك.

إذن هو الاعتصام بالله، والاعتصام بكتابه، الطريق إلى الخير كله وإلى الصلاح كله وإلى قيادة البشرية كلها.

نخلص إلى:

1. الاعتصام طريق الهداية ﴿. . .**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: 101]
2. الاعتصام طريق الوحدة والقوة ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾ [آل عمران: 103]
3. الاعتصام نعمة من الله ﷻ ومنّة ﴿. . .**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...**﴾ [آل عمران: 103]
4. الاعتصام هو طريق التميز وأنه هو الطريق إلى التغيير ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]

فحريٌ بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لقيادة البشرية وإظهار هذا الدين وتحقيق الاستخلاف أن تحرص على أن تكون دومًا معتصمة بالله، ساعية إلى مرضاته، حريصة على إقامة منهجه في الأرض.

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (4/ 24)، مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب(1/ 444)، مرجع سابق.

المطلب الثالث: الصدق

لأهمية الصدق في حياة الفرد وحياة الجماعة جاء الأمر الرباني للمؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين؛ فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] أي مع جماعة الصادقين؛ والصادقون هم المعتصمون بالصدق والإخلاص في جهادهم إذا جاهدوا، وفي عهودهم إذا عاهدوا".[1]

فالتقوى ضرورية للفرد حتى يستطيع أداء دوره في حمل رسالة الإسلام، وبالتقوى يستطيع إعلاء كلمة الله ورفع راية الحق ونصرة الدين، ولكن لا يستطيع القيام بهذه التكاليف وحده، ولذلك جاء الأمر الرباني ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ لأهمية الجماعة التي تتسم بالصدق في كل أمورها، وأهمية الانتماء إلى هذه الجماعة والعمل من خلالها.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الصدق ورد ذكره خمساً وخمسين مرة، وإن دلّ هذا على شيء فيدل على أهمية الصدق وثمرته في الدنيا والآخرة.

ولقد بيّن الله تعالى مَنْ هم الصادقون وما هي الأعمال التي قاموا بها ليستحقوا هذه الصفة:

أ. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

ب. وكذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

ج. وفي آية البرّ أيضًا قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

الملاحظ في الآيات السابقة أنها تذكر الأعمال التي استحق الصادقون من خلالها أن يوصفوا بذلك، وحريٌ بالجماعة المنقذة أن تحرص على تحقيق هذه الأعمال لتستحق أن تُوْصَف بهذه الصفة التي ذكرها الله في كتابه الكريم ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: 8].

(1) تفسير المنار محمد رشيد رضا ج 11/ص58.

ومن خلال الآيات التي ورد ذكرها متحدثة عن الصدق والصادقين نستلهم عدة معانٍ:

أ. الصدق شرط من شروط لا إله إلا الله:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **أَلَمْ ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۞ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[العنكبوت: 1-2].

أي وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله، من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بِعَدُوِّه؛ ليعلم صدقه من كذبه[1]، فالإيمان ليست كلمة تُقال.. وإنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، .... ولا يثبت إلا الصادقون[2]، وفي هذا المقام قال رسول الله ﷺ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**"[3]

ب.الصدق يعني اليقين:

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: 15]

أي "المؤمنون الكمّل الذين آمنوا بالله ورسوله ﴿ **لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾، أي لم يشُكُّوا، ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حالٍ واحدة وهي التصديق المحض." [4]

اليقين الذي لا يخالطه شك ولا ريبة، اليقين بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وبما عند الله ﷻ ، "فهذا التصديق المطمئن الثابت المستيقن.. هو الدافع إلى العمل والجهاد وبذل الغالي والنفيس"[5] لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته.

ج.الصدق دليل المحبة:

من خلال الأعمال التي ورد ذكرها في الآيات والتي هي دليل على صدقهم، نستنبط أنه لن يستطيع البذل والتضحية بالنفس وبالمال وبكل ما يملك إلا الذي يحب الله ورسوله ويسعى إلى

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري _(8/19)، تفسير القرآن العظيم ابن كثير(263/6).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب_(3349/6)، مرجع سابق.

(3) صحيح البخاري (128/37/1) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهة ألا يفهموا.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (390)مرجع سابق.

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب (60/ 3349)، مرجع سابق.

مرضاة الله وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿. . .وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله...﴾ [البقرة: 165]، "حبًا مطلقًا من كل موازنة، ومن كل قيد.. أشدّ حبًا من كل حب يتجهون به إلى سواه." [1]

نعم... هكذا يجب أن يكون الحب الحقيقي لله ولرسوله وللجهاد في سبيله ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، والصادق هو الذي يقدم كل هذا في سبيل الله ويكون حب الله ورسوله والجهاد في سبيله أولوية بالنسبة له. "وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل.. كلا إنما نريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب."[2]

و مطلوب من المسلم أن يسخر كل هذه الأشياء في سبيل الله في خدمة هذا الدين لإعلاء كلمة الله، ونصرة دين الله والتمكين لهذا الدين..

إنه الصدق في الحب الذي يدفع المحب للبذل والتضحية؛ من أجل مرضاة المحبوب، كيف والمحبوب هو الله ﷻ ؟!!

ولابد الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته، أن تحقق ذلك وخاصة أن الله ﷻ في حديثه عن المحبة يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رضي الله عنهمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

"وشأن المؤمنين أنهم لا يوادّون أعداء الله... أي لا يجتمع في قلب واحد إيمان كامل مخلص مع موادّة الكفار"[3]، وكأن الرسالة في هذه الآية ليست فقط للأفراد ولكن للجماعة حتى تفلح فيجب أن يكون حب الله تعالى فوق كل حب؛ لأنه تعالى هو المتصف وحده بكل ما شأنه أن

---

(1) المرجع السابق، (1/ 154).
(2) المرجع السابق، (5/ 3044).
(3) الوسيط للزحيلي (3/ 2619)، مرجع سابق.

يُحَبَّ من جمالٍ وكمالٍ وبِرٍّ وإحسان... وقد أغنى الله المؤمنين الصادقين عن كل ما فقدوا أو خافوا أن يفقدوا...والله ولي المؤمنين. [1]

والباحث عن الصدق ومواطن الصدق في القرآن يجدها كثيرة:

أ. الصدق في النية والإخلاص:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..** ﴾ [البينة: 5]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: 11].

أي: إنما أُمِرْتُ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له"، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ:

" **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..**"[1]، مؤكداً على أهمية الصدق في النية لقبول العمل.

ب. الصدق في التوبة:

قال تعالى: ﴿ **لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: 117]، وقال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: 118].

هذه الآيات تؤكد على أهمية التوبة بل والصدق فيها ودليل ذلك أن الله أتبع هذه الآيات مباشرة بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119]، أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله [2] والصدق في التوبة هو أساس يُبْنَى عليه باقي أنواع الصدق.

ولعل في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة مؤتة ثم صدقوا في توبتهم عبرة للجماعة المنقذة أن تحرص على تربية أفرادها على الصدق ليكونوا ربانيين ولهم دور في عزة الأمة وتمكينها.

---

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (208/10 – 209)، التفسير الواضح (869/1)، السعدي (332/1)، تفسير المراغي (83/10).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

ج. الصدق في الولاء:

هو "القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق في النفوس".[1] "فالقرآن يربي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ولرسوله ولعقيدته وجماعته المسلمة"[2] قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: 14]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [المائدة: 55]، أي "ليس لكم أيها المؤمنون ناصر ينصركم إلا الله تعالى ورسوله وأنفسكم –بعضكم أولياء بعض– وفي ذلك إثبات لنصر الله وولايته ولنصر من يقيم دينه من الرسول والمؤمنين الصادقين"[3] ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾، إذن هي الجماعة المنقذة التي تحرص على تحقيق الولاء لله ورسوله بل والصدق فيه وتربي أفرادها على ذلك ليستحقوا نصر الله والاستخلاف في الأرض والتمكين.

د. الصدق في المعاملات:

حين الحديث عن الجماعة المنقذة والتي يجب أن تتحرى الصدق في كل أمورها فلابد من معرفة أهمية الصدق في المعاملات في أداء الرسالة المنوطة بها بدءاً بالصدق مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...** ﴾ [الأحزاب: 23] ولم يتوقف الوفاء بالعهد على علاقتهم بالله بل جاء الأمر الرباني للأفراد والجماعة فقال تعالى: ﴿... **وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: 34].

وأكد القرآن على الصدق في الشهادة وقول الحق قال تعالى: ﴿ **وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...** ﴾ [الأنعام: 152].

وفي أداء الأمانة قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون: 8].

---

(1) طريق الدعوة في ظلال القرآن أحمد فائز، ج1، ص58.
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (907/2).
(3) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (365/6).

هذه الأمثلة التي ذكرت دليلاً على أهمية الصدق في المعاملات، فإن لم تحرص الجماعة المنقذة على ذلك فمن يفعل ؟؟؟ وخاصة أن رسالتها بناء دولة الإسلام فلآبد وأن تبنى على أساس متين.

هـ. الصدق في طلب العلم:

قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: 18]، فالشهادة على وحدانية الله لا يستطيع أن يشهد بها أي أحد، و لا يستحق أن يؤديها إلا من اصطفاه الله، واختصه بصفاتٍ سامية؛ يكون من خلالها عدلا يصلح للشهادة، وقد ذكر الله ﷻ أولي العلم بعد الله وملائكته تشريفاً لهم وبياناً لمكانتهم وعلى رأس الصفات التي يتصف بها هؤلاء الصدق، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: "**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** "[1]، ويلتمس تأتي هنا بمعنى يطلب طلباً أكيداً مرة بعد مرة[2]، وفي هذا دلالة على الصدق في طلب العلم، ولقد أثنى الله على أهل العلم في قوله تعالى﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [الرعد: 19].

الذي نخلص إليه أن الصدق في كل شيء هو أساس نجاح العمل، وأساس مرضاة الله و السعادة في الدنيا والآخرة، فعلينا أن نحرص على تحقيق كل معاني الصدق في أنفسنا وأن نبذل قصارى جهدنا في العمل مع الصادقين، هذه الجماعة المنقذة التي أخذت على عاتقها حمل رسالة الإسلام وتحقيق منهج الله في الأرض والانطلاق به إلى كل الناس للنهضة بهم والارتقاء على كل صعيد.

---

(1) في ظلال القرآن سيد قطب 907/2.. رواه مسلم 2074/4، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (مرتضى الزبيدي)، تحقيق مجموعة من المحققين _دار الهداية، (68/1).

المطلب الرابع: الصبر

إن مقام الصبر من العبادات يساوي مقام الرأس من الجسد؛ لأنه هو الذي يعين على الاستمرار، ولذلك ليس من الغريب أن يرد ذكره في القرآن ما يزيد على المائة مرة، وهو من الأهمية بمكان للأفراد وللجماعة المنوط بها حمل رسالة الإسلام وأدائها بما يرضي الله.

أولاً: الصبر في اللغة: الحبس والكفّ والإمساك في ضيق. (1)

وهو حبس النفس عما تنازع إليه(2)؛ ولذلك سمي شهر رمضان شهر الصبر.

و أعلى مقامات الصبر وأرقاها هو حبس النفس على ما يرتضيه الشرع والعقل. (3)

ثانياً: الصبر اصطلاحًا: فهو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله. (4)

حكم الصبر:

قال الإمام ابن القيم: "إن الصبر واجب بإجماع الأمة"

أ. لأن الله أمر به في كثير من الآيات وأصل الأمر إفادة الوجوب.

ب. أنه نهى عن ضده، فقال تعالى: ﴿...**فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ [الأنفال: 15]، فإن تولية الأدبار هي ترك الصبر والمصابرة.

ت. أن القرآن الكريم رتّب عليه خيري الدنيا والآخرة، فلا يفوز الإنسان بمحبوب، ولا ينجو من مكروه إلا بالصبر، وما كان كذلك كان تحصيله واجبًا. (5)

أما د. القرضاوي فقال:

معقبًا على قول ابن القيم: " وهذا صحيح بالجملة لا في التفصيل.. فالصبر عن المحرمات واجب.. وعن المكروه مستحب.. وكذلك الصبر على الواجبات واجب.. وعلى

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (474)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط1 . 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (276)، ط3 . 1414 هـ، دار صادر . بيروت.

(2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج الجوزي (387/1)، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط1 . 1404هـ – 1984م، مؤسسة الرسالة . لبنان . بيروت.

(3) مجاز القرآن، معمر بن المثنى (64/1)، تحقيق محمد فؤاد سركين، 1381 هـ، مكتبة الخانجى – القاهرة.

(4) التعريفات للجرجاني (1/ 147)، ط1، 1403هـ –1983م، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية (130/1) بتصرف، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3 . 1416 هـ – 1996م، دار الكتاب العربي . بيروت.

المستحبات مستحب." [1] وأرى أن هذا أقرب إلى ما يقتضيه العقل والشرع.

فهذه الأحكام التي وردت دليل على أهمية الصبر وحتى نعلم أن الصبر من أعلى مقامات العلاقة مع الله ﷻ، بل إن الصبر اسم من أسماء الله الحسنى وهو "الصبور"، وهذا شرف لمن حرص على الاتصاف به وحريٌ بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله ﷻ أن تحرص على ذلك، كيف لا وجاء الأمر الرباني بذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200].

الصبر في القرآن:

لقد ورد الصبر في القرآن الكريم بمفهومين:

1. صبر محمود: وهو صبر المؤمن.
2. صبر مذموم: وهو صبر الكفّار، وهذا قسمين:

أ. صبرهم في محاربة الإسلام والاستمرار في العناد.

ب. صبرهم في الآخرة على عذاب النار. [2]

ولا بد في الحديث عن الصبر أن نتطرق إلى صبر الأنبياء والذي مثّل لنا فيه الأنبياء قدوة، ومن خلال القرآن تبين أن صبر الأنبياء كان قسمين:

القسم الأول: الصبر على الابتلاء والرضا بقدر الله.

القسم الثاني: الصبر في الدعوة إلى الله وإقامة حكمه، وهذا أشد، وهو صبر أولي العزم من الرسل وهذا الذي تحتاجه الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالة الدعوة إلى الله وحمّلها رسالة الاستخلاف وأمانة القيادة لهذه البشرية، ولا شك أن جماعة هذه رسالتها ستواجه عوائق وابتلاءات ومؤامرات، ولها في أولي العزم من الرسل خير قدوة في الصبر، ختامًا بمحمدٍ ﷺ والذي قال فيه الحق تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21] ولقد جاءه الأمر بالصبر في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...**﴾ [الأحقاف: 35].

---

(1) انظر: كتاب الصبر في القرآن، د.يوسف القرضاوي (29_31)، ط1410/3هـ-1989م، مكتبة وهبة، القاهرة.

(2) انظر: المرجع السابق، (33، 34).

ولنعلم أن القصص القرآني قد تحدث عن صبر الأنبياء في الدعوة إلى الله، وكيف صبروا على كيد أقوامهم ومؤامراتهم؛ للوصول بهم إلى التوحيد وإلى الصلاح وإنقاذهم من براثن الفساد ومن ثم مرضاة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: 34]، "فكانت هذه تسلية من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه"[1] بل اعتبرها أبو السعود "أنها ليست تسلية فقط وإنما افتنانٌ في تسليته ﷺ." [2]

وأقول: فإذا كان رسول الله ﷺ، وهو المؤيد بالوحي كان بحاجة إلى تسلية وتعزية بالاقتداء بمن قبله من الرسل، وأُمر بالصبر كما صبروا، فالجماعة المنقذة اليوم أكثر حاجة وضرورة لهذه التسلية والتعزية والاقتداء برسول الله ﷺ، والصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فالرسالة واحدة، والطريق واحدة، والمؤامرات واحدة، والعدّة هو الصبر المقترن بالتقوى، فهي المعين على تحقيق الصبر والمصابرة والمرابطة، ولذلك ورد الأمر بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200].

وهذا الخطاب أحوج ما تكون إليه الجماعة المنقذة ليكون لها الدور الفاعل في مواجهة المؤامرات وتحقيق الإنجازات وتكون قادرة على التحدي، وكل ذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة.. وأعتبر أن الرباط هو أعلى مقامات الصبر فهو الرباط على حدود الله، وحبس النفس على ما يرتضيه الشرع والعقل؛ "فالصبر هو زاد الطريق، إنه طريق شاق حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء، بالإيذاء والابتلاء." [3] ولا شك أن تحقيق هذا المستوى من الصبر يحتاج قبله إلى تحقيق الصبر على الأهواء والشهوات، والصبر على الطاعات.

أما المصابرة أن لا يكون أعداء الإسلام أصبر من المؤمنين؛ وشبهها سيد قطب كأنها رهان وسباق بين أهل الحق وأهل الباطل، وأنه مطلوب منهم مقابلة الصبر بالصبر والدفع بالدفع والجهد بالجهد والإصرار بالإصرار [4].

---

(1) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (11 / 336)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (250/3).
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (127/3)، مرجع سابق.
(3) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 551)، .
(4) المرجع السابق (552).

والمرابطة: الإقامة في مواقع الجهاد، وفي الثغور المعرضة لهجوم الأعداء، وفي معنى الصبر والمصابرة والمرابطة؛ لاحظت شبه إجماع من المفسرين[1] على معان متقاربة.

ولعلي هنا في مفهوم المرابطة أقول: – مع تقديري للعلماء– أن الأساس المرابطة في الجهاد ولكن ذلك لا ينفي أن تحمل المرابطة مفهومًا أشمل؛ فكلٌ منا على ثغرٍ من ثغور الإسلام.

- فالمرابطة على حدود الله أساس في حمل الرسالة وتمكين الأمة وعزتها.

ولكن كما المجاهد مرابط على حدود الوطن، فكذلك الطبيب والإعلامي والمدرس والاقتصادي والسياسي والمحامي، إذا ارتبط كل ذلك بتقوى الله واستشعار مراقبته، ولذلك قال الله تعالى معقبًا ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ لأن التقوى هي التي تعين على تحقيق الصبر والمصابرة والمرابطة على حقيقتها، وما أجدر أن تحقق الجماعة المنقذة هذه المفاهيم في أفرادها وفي نفسها لتؤدي رسالتها التي اصطفاها الله لها.

المطلب الخامس: العدل

في الحديث عن الربانية يجب أن نعرف أن العدل صفة أساسية من صفات الجماعة المنقذة لتؤدي رسالتها المنوطة بها على أكمل وجه؛ فبدون العدل يكون الجور والظلم والتنازع والتناحر، وحينها لن تستطيع الجماعة المنقذة أداء رسالتها في تحكيم شرع الله ﷻ، ولقد أمر الله بالعدل في آيات كثيرة وإن دل هذا على شيء فيدل على اهتمام القرآن بهذه الصفة ليعم الأمن والسلام في العالم، ولقد جاءت كلمة العدل في القرآن الكريم بمعان كثيرة و مختلفة.

أولاً... العدل في اللغة: الإنصاف والحق وهو عكس الجور والظلم[2].

ثانياً... العدل في الاصطلاح: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، و بمعنى آخر الاعتدال والاستقامة[3] وهذا هو الأرجح.

---

(1) انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا (261/4)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (162/1)، التفسير الوسيط، للزحيلي (277/1)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (156/2)، الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (460/1)، مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (9/ 474).

(2) انظر كتاب نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين، أبو الفرج بن محمد الجوزي (439/1)، مرجع سابق.

(3) التعريفات للجرجاني (147/1)مرجع سابق.

وإذا أردنا تقسيم العدل نجده ينقسم إلى قسمين:

1. العدل المطلق: وهو عدل الله ﷻ والذي لا يشوبه ظلم.
2. العدل بين الناس –العدل البشري– والذي أمر به الله.

فالعدل المطلق ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا...**﴾ [الأنعام: 115]

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...**﴾ [النساء: 40]؛ أي" أن الله سبحانه وتعالى متصف بكل كمال، ومُنَّزه عن كل نقص، ومن النقص الظلم، ومن الظلم أن يُنقص أحد من أجر عمله شيئاً ولو كان بسيطاً جداً "[1].

﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**﴾ أي: " لقد تمت كلمة الله سبحانه صدقاً فيما قال وقرّر، وعدلاً فيما شرع وحكم، ولم يبق بعد ذلك قولٌ لقائل في شريعةٍ أو حكمٍ أو عادةٍ أو تقليد، والله سبحانه هو الذي يعلم حقيقة العباد... وهو صاحب الحق في وضع هذا الميزان، وصاحب الحق في وزن الناس به "[2].

" والكلمة تُطلق على الجملة والطائفة من القول، وإن المراد بالكلمة هنا القرآن ... والشاهد الذي أردناه في الآية " صدقاً وعدلاً " العدل المطلق الذي يتعلق بالله ﷻ، وأما تمامه عدلاً فمن حيث كونها جزاء للكافرين المعاندين للحق بما يستحقون، وللمؤمنين المهتدين بما يستحقون "[3].

ومن المفسرين من اعتبر أن العدل في الأمر والنهي، وأن كل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه [4].

و في الحديث القدسي: (**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**)[5].

---

(1) التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (376/1)، ط10 . 1413 هـ، دار الجيل الجديد . بيروت، والتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الظاهر (55/5)، 1984م، الدار التونسية للنشر . تونس، والتفسير الوسيط للزحيلي (321/1)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (179/1)، وتفسير المراغي (43/5)، وتفسير المنار (87/5) .

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (1195/2، 1196) باختصار.

(3) التحرير والتنوير_ محمد الطاهر، (20/8) 1984 م، الدار التونسية للنشر_ تونس، تفسير المنار_محمد رشيد رضا، (11/8)، والتفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (655/1).

(4) التفسير الوسيط للزحيلي (597/1)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي(270/1) .

(5) صحيح مسلم (6664/16/8)، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، دار الجيل . بيروت.

أما العدل البشري: ولا يكون عدلاً إلا إذا كان نابعاً من حكم الله ﷻ وهو درجات:

أ- عدل الأنبياء:

قال تعالى ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى...**﴾[ص:26].

وقال تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾[الحديد:26].

وقال تعالى ﴿...**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة: 42].

ففي قوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً...**﴾ [ص: 26].

"وصيةٌ من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بالحق المُنَزَّل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله "[1]، مع أن الخطاب كان موجهاً لداوود، إلا أنه قدوة وأسوة لمن يأتي بعده ويرثه في حمل الرسالة وتحقيق الاستخلاف.

" فهي الخلافة في الأرض والحكم بين الناس بالحق وعدم اتباع الهوى... واتباع الهوى وفيما يخص نبي – هو السير مع الانفعال الأول وعدم التريث و التبيين "[2].

وللعلم فإن حكم داوود كان صحيحاً، لكنه استعجل في إصدار الحكم قبل سماع إقرار المدعى عليه؛ ولذلك جاءه الخطاب في الآية:

﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فيضلك...**﴾ [ص: 26]، أي كن عادلاً.

والواضح من الآية أن الأمر جاء بمعنى اتباع أهواء الناس دون علم، لا باتباع أهوائهم هم عصمهم الله عن ذلك، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...**﴾ [المائدة: 49].

وفي قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾ [الحديد: 25]، أي" بالمفصَّلات من البيان والدلائل، ﴿**وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾ بالأحكام

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (53/7).
(2) في ظلال القرآن- سيد قطب (3018/5).

و الشرائع، (والميزان) بالعدل "[1]، والهدف من إرسالهم هو:

"إقامة نظام المجتمع القوي المتين الفاضل بالكتاب الإلهي والعدل، وصلابة الموقف وازدهار الصناعة"[2].

والملاحَظ أن المقصود ليس فقط عدل الأنبياء؛ ولكن العدل الذي يجب على كل من يحمل رسالتهم؛ من أجل إحقاق الحق الذي تقوم عليه دولة الإسلام، وهذا هو المطلوب من الجماعة المنقذة اقتداء برسول الله ﷺ الذي أمره الله ﷻ بالحكم بالعدل في قوله تعالى: ﴿... **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة: 42].

كيف لا تحرص الجماعة على ذلك والعدل صفة يحبها الله ﴿... **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة:42]

وقد وردت محبة الله للمقسطين في أكثر من آية في كتاب الله وفي هذا حث على تحقيق العدل، " فهذه الآية أمرتنا بالعدل في الحكم حتى مع اليهود؛ على عدائهم وفساد أخلاقهم.... ومع ذلك فلا نحكم بينهم إلا بالعدل "[3] والملاحظ أن سعيد حوى -رحمه الله- قال: "أَمَرَتْنا" مع أن الخطاب كان موجهاً للرسول ﷺ وإن دل هذا على شيء فيدل على أننا مطالبون بتحقيق العدل اقتداء برسول الله ﷺ من أجل نصرة هذا الدين وإعلاء كلمة الله.

ب- العدل في الحكم (عدل الإمام):

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ...**﴾ [النساء: 5].

" في هذه الآية خطاب لولاة الأمور بأداء الأمانة إلى من وُلُّوا أَمَرهم في فَيْئِهم وحقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية والقسم بينهم بالسوية[4].

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (201/22).
(2) انظر الوسيط للزحيلي (2601/2، 2602)، مرجع سابق.
(3) جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى (400)، ط4، 1412 هـ، 1992 م، مكتبة وهبة.
(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري، (8/ 493)، مرجع سابق.

وهذان هما: "جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة"[(1)]، فإذا حكم بالعدل وجبت طاعته وهذا ما ورد في قوله **تعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: 59]

فأضيفت طاعة أولي الأمر إلى طاعة الرسول"[(2)]، لاشك أنها واجبة ما أقاموا حكم الله وحكموا بالعدل ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى كتاب الله ورسوله.

وقد يظن ظانٌّ أن هذا الكلام يعني الجمود الفقهي وعدم الاجتهاد، وهذا مردود؛ لأن إسلامنا يدعو إلى الاجتهاد ما لم يكن نصا للوصول إلى الحق وقد قال الرسول في ذلك: " **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا اجتهد ثم أخطأ فله أجر**" [(3)] فالإسلام مع الاجتهاد ما لم يكن مجانباً للحق ومنبثقاً من هوى، ولذلك قال تعالى: ﴿...**فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ [ص: 26].

" أي ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه فتجور عن الحق.... فتكون من الهالكين "[(4)].

فضل العدل في الحكم وأثره في الرعية:

1. العدل الشامل من القواعد التي تصلح فيها الأمة حيث أنه يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتتعمر به البلاد وتنمو به الأموال ويأمن به السلطان[(5)].
2. العدل له دور في تحقيق مقاصد الشريعة؛ فالعدل بين الناس جميعاً وتحقيق الإخاء بينهم وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم وكذلك دينهم وأخلاقهم، هو الهدف من التشريع الإسلامي.[(6)] ومن هنا نعلم أن هذه التكاليف منوطة بالجماعة المنقذة وهذا "هو خلقها؛ أداء الأمانة إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل على منهج الله وتعليمه"[(7)].

---

(1) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية (246/28)، مرجغ سابق.
(2) انظر المرجع السابق (361/35)، .
(3) صحيح البخاري (7352/108/9)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب وأخطأ، دار طوق النجاة.
(4) جامع البيان الإمام الطبري، (493/8)، مرجع سابق.
(5) أدب الدين والدنيا، الماوردي (139/1)، 1986 م، دار مكتبة الحياة.
(6) انظر: شريعة الإسلام، خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان، د. يوسف القرضاوي (20)، ط2 . 1397هـ، المكتب الإسلامي . بيروت.
(7) في ظلال القرآن، 688

ج- العدل في الإصلاح بين الناس:

وضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات: 9].

فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل... فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما[1]

وفي هذا المعنى ورد حديث رسول الله ﷺ: " **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** " [2].

"وتقييد الإصلاح بالعدل لأنه مظنّة الحيف (الظلم) لوقوعه بعد المظلمة وقد أكد على ذلك حيث قيل (وأَقْسِطوا)، أي فاعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون "[3].

إن العدل في الإصلاح بين الناس له أهميته العظمى في إشاعة المودة والأخوة و الأمن والسلام، وهذا دور ولي الأمر أو الإمام فإن لم يكن هو القائم بذلك؛ فهي الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لإنقاذ البشرية، وهل العدل وتحقيقه في الإصلاح بين الناس إلا جزء من هذا الإنقاذ؟ بعيدا عن الظلم والجور والتفكك؟ "وهذه قاعدة تشريعية لصيانة المجتمع... وقاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق، ثم لإقرار الحق والعدل والفلاح " [4].

د- العدل في الشهادة:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ...**﴾ [النساء: 135]، وقال أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: 8]،

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (292/22).

(2) صحيح البخاري (2443/128/3) كتاب المظالم والغصْب، باب: أَعِنْ أخاك ظالما أو مظلوما، دار طوق النجاة.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي _ (120/8).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (3343/6).

" تبدأ الآية بنداء الجماعة المؤمنة إلى النهوض بتكاليف دورها وإقامة العدل بين الناس... العدل الذي تتعامل فيه الجماعة مع الله مباشرة متخلصة من كل عاطفة أو هوى أو مصلحة"[1].

نعم... إنه العدل في الشهادة، في قول كلمة الحق بعيدا عن الهوى والعواطف مهما كانت القرابة ومهما كانت المصلحة، فتقوى الله وقول الحق من أجل مرضاته أهم من كل هذه المصالح، وعلاقتنا بالله ﷻ أهم من كل العلاقات، وهل رسالة الإنقاذ للبشرية إلا قائمة على ذلك؟؟!

وقوله تعالى(قوَّامين) صيغة مبالغة تدل على العناية بإقامة القسط وتحريه بالدقة التامة حتى يصبح ملكة راسخة في النفوس، فيكون العدل متحققا في كل أمور حياتهم؛ ليكونوا أعدل الأمم محققون قوله **تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** [الأعراف: 181] [2]. من خلال ما سبق يتبين أهمية العدل في كل الأمور "وبالأخص في الحكم بين الناس والقضاء في الخصومات وأداء الشهادات أمام القاضي وغيره... دون تفرقه بين غني ولا فقير، ولا عالم ولا جاهل ولا بين مسلم وغير مسلم... إلخ "[3]، ومن عدل في هذه الأمور– وهي الأشق في مجاهدة الهوى والعاطفة والمصلحة– استطاع أن يحقق العدل في الأمور الحياتية و التي تعتبر أهون بعد ذلك ومن هذه الأمور: العدل بين الزوجات، والعدل بين الأولاد، بل والعدل مع النفس في عدم ظلمها بالشرك ولا بالقتل.

نخلص إلى أن العدل واحد من فرائض الله سبحانه وتعالى، " به يتحقق الأمن الاجتماعي للإنسان في الإطارين الفردي والجماعي، في الأسرة والعمل والدولة وسائر ميادين العمران "[4].

إذن هي الربانية المطلوب من الجماعة المنقذة تحقيقها في أفرادها وفي المجتمع، بتحقيق العدل الذي أراده الله في الحكم بين الناس وفي الإصلاح وفي الشهادة بل في كل أمور الحياة .

(1) المرجع السابق، (774/2).
(2) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (371/5)، مرجع سابق.
(3) الوسيط، د. وهبة الزحيلي (394/1)، مرجع سابق.
(4) انظر الإسلام والأمن الاجتماعي، د. محمد عمارة (92،89)، دار الشروق.

المبحث الثاني
التميز

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية.

المطلب الثاني: العالمية.

المطلب الثالث: الوعي.

المطلب الرابع: التخطيط.

المطلب الخامس: التنظيم.

المطلب السادس: التربية.

المبحث الثاني

التميز

لا شك أن جماعة رسالتها بناء دولة الإسلام وتحقيق الاستخلاف أن تصبو إلى التميز في كل أمورها، فالتميز عماد الحضارات؛ وَأَوْلى الحضارات بالتميز هي حضارة العلم والإيمان.

ولقد لخص سيد قطب مفهوم التميز لأمة الإسلام في نقاط:

1. تميز التصور والاعتقاد.
2. تميز القبلة والعبادة.
3. تميز الاهتمام وتميز الكيان.
4. تميز الهدف.
5. تميز الراية. (1)

وعند الحديث عن التميز من خلال القرآن الكريم نلاحظ:

- أن الله ﷻ ميّز آدم بالعلم وأسجد له الملائكة، ووضح ذلك في قوله تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾** [البقرة: 31]، **﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ...﴾** ﴿البقرة: 33].
- بل ميّزه قبل خلقه حينما قال تعالى: ﴿. . .**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...**﴾ [البقرة: 30﴾.
- ثم ميّز ذريته فقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** ﴿الإسراء: 70﴾.
- وميّز الأنبياء من بني آدم فقال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...﴾** [مريم: 58].
- وميّز بعض الأنبياء على بعض فقال تعالى: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾** [البقرة: 253] وقال تعالى: **﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾** [الإسراء: 55].

---

(1) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 129)، مرجع سابق.

- وميّز محمد ﷺ ووضح ذلك في قوله " :ﷺ**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ طَيِّبَةً وَطَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**" [1].
- وميّز أُمَّته عن باقي الأمم فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...**﴾ [آل عمران: 110]، وبيّن سبب تميّزها فقال تعالى: ﴿. . .**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...**﴾ [آل عمران: 110﴾، وقال تعالى في مفهوم التميّز لهذه الأمة: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...**﴾ [البقرة: 143].

وحتى يستمر تميز الأمة وتميز رسالتها؛ فلا بد من وجود جماعة متميزة تسعى إلى تحقيق التميز في أفرادها وفي مجتمعها وفي أمتها بل وفي العالم أجمع.

إذن هي الجماعة المنقذة التي تميزت عقيدة وعبادة وأخلاقًا وراية وأهدافًا وكيانًا.

- فالعقيدة: شهادة أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله (الله غايتنا، والرسول قدوتنا).
- والتصور والعبادة: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 162]
- والكيان المتميّز: في هيبته وعزّته، قوّته وعلمه، في أخلاقه، ووضح ذلك في **قوله:** ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ...**﴾ [الفتح: 29]، متميزون في كل شيء؛ في عبادتهم، في عزتهم، في قوتهم، في ترابطهم مع بعضهم البعض... الخ.
- والهدف: إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [الصَّف: 9]
- والقِبلة: قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ...**﴾ [البقرة: 143]، ثم قال تعالى ﴿. . .**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...**﴾ [البقرة: 144]،

تميز القبلة يعني تميز الرجال الذين يعمرون بيوت الله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآَصَالِ**﴾ [النور: 36].

(1) صحيح البخاري (335/74/1)، كتاب التيمم، ط1، 1422 هـ، دار طوق النجاة.

الجماعة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه، أن القبلة ليست مجرد مكان وإنما رمز للتميّز والاختصاص[1].

- والراية: راية متميزة بعيدًا عن أي تحيّز لشرق أو غرب، قال تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾ ﴿النور: 35﴾ .

الراية التي من أجلها تحمل رسول الله ﷺ الأذى، والتي من أجلها وقف في وجه عشيرته قائلًا: "**وَاللَّهِ يَا عَمِّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ** " [2].

الراية التي تحمل من أجلها بلال العذاب، بل والتي استشهد دونها عبد الله بن أم مكتوم وقُطّعَتْ أوصاله وبقيت مرفوعة، الراية التي رفعها صلاح الدين في حطين وحرّر بيت المقدس، الراية التي رفعها البنا **{في مواجهة الرايات المختلفة منها الشرقية ومنها الغربية، فرفع علم الإسلام السياسي الذي يجمع الأمة حوله}** [3] وحقق قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**...﴾ [الأنعام: 153]، إذن هي راية متميزة ترفعها جماعة متميزة ألا وهي الجماعة المنقذة.

وحتى يتحقق التميز فلابد للجماعة المنقذة أن تتميز في الوسائل للوصول إلى الأهداف التي قامت من أجلها، وهذا استدعى الحديث عن التميز من خلال ستة مطالب وهي:

المطلب الأول: الوسطية.
المطلب الثاني: العالمية.
المطلب الثالث: الوعي.
المطلب الرابع: التخطيط.
المطلب الخامس: التنظيم.
المطلب السادس: التربية.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 129)، مرجع سابق.

(2) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، (326/2)، ط2، 1387 هـ، دار التراث، بيروت، والبدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (148/4)، مكتبة الثقافة الدينية . بور سعيد، والكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير (662/1)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1417هـ / 1997م، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان.

(3) في آفاق التعاليم، سعيد حوى، ط2، 1401 هـ – 1981 م، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن – عمان.

المطلب الأول: الوسطية

من البديهي عند الحديث عن الأمة الوسط ومظاهر الوسطية التي تميزت بها، أن تُذْكَر الجماعة المنقذة والتي هي أوْلى مَنْ يتصف بهذه الصفة تطبيقاً لشرع الله وعملاً بمنهاجه؛ لتستحق الشهادة على الناس في الدنيا، وتكون شاهدةً عليهم في الآخرة كجزءٍ من هذه الأمة التي اصطفاها الله.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم المتحدثة عن الوسطية ومظاهرها يجدها كثيرة، كيف لا ؟ وهو المنهج الوسط للأمة الوسط(1).

وفي مقدمة تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...** ﴾ ﴿البقرة: 143﴾،وقد تعددت آراء المفسرين في بيان معنى الوسط، فالإمام الطبري ومجاهد بيَّنا أن الوسط هنا بمعنى العدول أي " أهل توسط واعتدال "(2).

أما ابن كثير فقد اعتبر" أن الوسط هو الخيار والأجود، مستدلاً بأن رسول الله ﷺ كان وسطاً في قومه أي أشرفهم نسباً، وأن الصلاة الوسطى هي أفضل الصلوات، وكذلك أن هذه الأمة لما جعلها الله وسطاً خصّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب" (3).

ولقد جمع محمد رشيد رضا بين المعنيين في قوله: " إن الوسط هو العدل والخيار وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير "(4).

والمُلاحَظ أن الأمة بوسطيتها قد جمعت بين كل هذه المعاني؛ ولذلك استحقت أن تكون شاهدة على الناس، " فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين "(5).

وفي قوله تعالى: ﴿ **لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ** ﴾ بعض المفسرين، منهم الطبري ذكروا: أن الشهادة تكون في الآخرة، وأن هذه الأمة ستكون شاهدة للأنبياء على أقوامهم(6)، واستدلوا بحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: "**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ**

---

(1) الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط، د. يوسف القرضاوي، (4)، المكتب الإسلامي.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، (142/3)، وتفسير مجاهد (215/1).

(3) انظر تفسير القرآن العظيم- (327/1)، مرجع سابق.

(4) تفسير المنار (2/ 4)، مرجع سابق.

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب (130/1)، مرجع سابق.

(6) انظر: المرجع السابق للطبري (145/3)، وتفسير مجاهد (215/1)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (455/1).

بَلَّغْتَ ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ، فيُقَالُ: لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ، فيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ" ﴿...وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [البقرة: 143] [1]، وفي هذا دلالة على أن هذه الأمة ستكون شاهدة على الأمم يوم القيامة ولا يتنافى ذلك مع شهادتها في الدنيا؛ ويدل على ذلك الحديث الذي رواه عكرمة بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: " **كنا مع النبي ﷺ فمُرَّ عليه بجنازة فأُثنِى عليها بثناءٍ حسن، فقال: وجبت، ومُرَّ عليه بجنازة أخرى فأُثنِى عليها دون ذلك، فقال: وجبت، قالوا: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض فما شهِدتم عليه وجب**"[2]، فهذا دليل على الشهادة في الدنيا قبل الآخرة.

ومن هنا تأتي أهمية الوسطية للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لتحمل رسالة الإسلام وتقيم العدل بين الناس وبذلك تستحق أن تكون شاهدة عليهم؛ فالجماعة حينما تحقق الوسطية تكون قادرة على إعطاء الأفراد حقوقهم والارتقاء بهم، وقادرة على أداء دورها المنوط بها في إعلاء كلمة الله ورفع راية الحق خفاقة عالية.

وحتى تتحقق الوسطية في الجماعة فيجب على كل فرد منها أن يحرص على تحقيق الوسطية في حياته، ليكون إنسانا سوياً قادراً على الارتقاء بنفسه وأداء واجبه نحو بيته ومجتمعه من خلال العلاقات والارتباطات الواجب عليه أداؤها ومن ثم يكون قادراً على خدمة الجماعة وأداء دوره نحوها.

وفي الحديث عن مظاهر الوسطية لابد من معرفة أن هناك مظاهر تخص الفرد منها:

أولاً: التوسط في العقيدة:

وردت في قوله تعالى: **﴿اهدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ۞ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ ۞ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: 6-7].

إن الله ﷻ أراد من الفرد أن يكون متوازناً في عقيدته فلا هو المتشدد المفرط في تشدده ولا هو المقصر المضيّع للحدود، بل حذّر الله من الغلوّ في قوله: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ. . .﴾** [المائدة: 77]، وأيضاً بيّن عاقبة الذي يفرّط ويتجاوز فقال تعالى: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**

---

(1) صحيح البخاري (6/ 21 / 4487)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً".

(2) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الثناء (1932/49/4)، ط2، 1406 هـ – 1986 م، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب، وقال الألباني (صحيح الجامع الصغير 1139/2): صحيح.

﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: 78]، فلا غلوّ وتشدد ولا تفريط واعتداء.

ثانياً: التوسط في العبادات:

إن المتتبع للآيات التي تحدثت عن الوسطية في العبادات يجدها تحمل معاني اليسر والتخفيف من باب ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: 286]، وسعَها أي " طاقتها "[1]، وبمعنى آخر: " فلا يضيق عليها ولا يجهدها "[2]، فنجد أن الله تعالى تعامل مع النفس البشرية بما يتوافق مع الفطرة، حتى لا تَمَلّ، ولكن دون ركون إلى الحياة الدنيا.

في الصلاة:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا...﴾ [الإسراء: 110]، "أي لا ترائي بها في العلانية ولا تُخْفِها في السر "[3]، ومن المفسرين من قال: " لا تجعل صلاتك في مكان غيظاً للمشركين، ولا تُسرْ عن أصحابك فتخفي عنهم "[4].والثاني هو الأرجح وخاصة في بداية الدعوة حتى لا يكون ذلك سببا لبطش المشركين بهم.

في الصوم:

قوله تعالى: ﴿. . .يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... ﴾ [البقرة: 185]، أي " أن ييسر عليكم بوضعه عنكم الصوم في السفر والمرض " [5].

في الحج:

قوله تعالى: ﴿. . .فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ [البقرة: 196].

في الزكاة:

قوله تعالى: ﴿. . .كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141].

---

(1) تفسير التستري (44/1)، ط1، 1423 هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون.
(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (129/6)، مرجع سابق.
(3) تفسير مجاهد (443/1)، مرجع سابق.
(4) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (129/7)، تحقيق د. مجدي باسلوم، ط1، 1426 هـ – 2005 م، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.
(5) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (254/1)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، 1408 هـ – 1988 م، عالم الكتب . بيروت.

"أي لا تنفقوا أموالكم وصدقاتكم على غير الجهة التي افترضت عليكم"(1)، أو "لا تعطوا كلَّه حتى يبقى لعيالكم شيء"(2)، ومن المفسرين من اعتبر أن النهي عن الإسراف لا يكون في الزكاة؛ لأنها معلومة محدودة(3).

ثالثاً: التوسط في الإنفاق:

قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾[الإسراء: 29]

أي اسلك بين الأمرين طريقاً وسطاً "(4)، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما خلقان مذمومان؛ولذلك أمر الله ﷻ بالتوسط (5)، بل وأثنى على الذين يتوسطون في الإنفاق، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: 67].

وهذه صفة من صفات عباد الرحمن: "الاعتدال في الإنفاق، أي ترك الإسراف والتقتير"(6)، وعدم تحقيق هذا الاعتدال يحدث اختلالاً في المجتمع، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع وكذلك التقتير؛ لأن فيه حبس المال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله، فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية(7)؛ ولذلك أثنى الله ﷻ على الذين يتوسطون بين الأمرين، وهذه سمة أساسية للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله ﷻ لعمارة الأرض وبناء دولة الإسلام.

رابعاً: التوسط في الأخلاق:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان: 18-19]، أي لا تعرض بوجهك عمن تكلمهم؛ تكبراً

---

(1) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (298/2).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي (378/1).

(3) انظر الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب (2212/3)، ط1، 1429 هـ - 2008 م، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

(4) لطائف الإشارات، القشيري (345/2)، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر.

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (329/20).

(6) الوسيط للزحيلي، (1812/2)

(7) انظر: في ظلال القرآن _سيد قطب، (2579/5).

واستحقاراً ولكن ألن جانبك وابسط وجهك[1] وإن كان هذا ضروري للفرد وخاصة من يمثل القدوة؛ فهو أكثر ضرورة للجماعة المنقذة أن تحرص عليه وتحققه في أفرادها؛ ليكونوا نبراسا، فالمشية القاصدة الهادفة الماضية في بساطة وانطلاق دون تلكؤ ولا تبختُر، والغض من الصوت دليل أدبٍ وثقة واطمئنان [2] وهذا قمة التميز لهذه الجماعة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته، ولقد وردت أحاديث عن الرسول ﷺ تؤكد ذلك المفهوم:

نورد منها قوله ﷺ: " **ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخُيَلاءِ، وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ: الْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ**"[3]

وهل بعد ذلك في الوسطية في الأخلاق من كلام؛ بل إن رسول الله ﷺ أراد منا تحقيق الوسطية في الحب، فقال: " أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما "[4].

خامساً: التوسط في المظهر:

قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...** ﴾ [الأعراف: 31]، "فاللباس زينة للإنسان وستر لعوراته الجسدية، وإن الفطرة السليمة تنفر من التعري وتحرص على الستر، "[5] وهذا من الحياء الذي تميَّز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، كذلك يجب أن نعلم أن "القرآن يدعو لكل فضيلة ومدنية وتحضر ونظافةٍ ومروءة من الطيب والسواك والثياب الساترة...وكان هذا الأمر بارتداء الثياب والتزين سبباً لارتقاء العرب وانتقالهم من مظاهر القبلية المتوحشة إلى أرقى مظاهر المدنية والحضارة"[6]، وها نحن نرى رسول الله ﷺ يؤكد على ذلك بقوله: " **إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، ولِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ، ولا التَّفَحُّشَ**"[7].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري_(143/20_146)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير_(338/6)، الوسيط للزحيلي_(2027/3).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب_(2790/5)، بتصرف، مرجع سابق.

(3) شعب الإيمان (2/ 203)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (412/4) حديث رقم: 1802.

(4) سنن الترمذي (1997/360/4)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، قال الألباني (صحيح الجامع الصغير 97/1): صحيح.

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب_(1275/3).

(6) الوسيط للزحيلي، (650/1).

(7) مستدرك الحاكم (4 / 203 / 7371)، كتاب اللباس، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1411 ه – 1990م، دار الكتب العلمية . بيروت.

سادساً: التوسط في الوعظ والإرشاد:

قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل: 125]، أي بالرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف، أي وسطا بين الترغيب والترهيب، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة كذلك مراعاة أحوال المُخاطَبين وظروفهم [1] ولقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يحقق ذلك في صلاته وفي خطبته فكما ورد عن جابر: " **كنت أصلي مع الرسول** ﷺ، **فكانت صلاته قصدا وخطبته قصداً**"[2] وكذلك ما ورد عن ابن مسعود لما طلب منه الناس وقد أعجبهم حديثه أن يُذَكِّرهم في كلِّ خميس فقال لهم: " **إنما أتخوَّلُكم بالموعظة كما كان رسول الله** ﷺ **يتخوَّلُنا بالموعظة مخافة السآمة علينا**"[3]

فإذا كان هذا له دور في تميز الأفراد فهو أكثر ضرورة و أهمية للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله واختارها لتحقيق الاستخلاف وعمارة هذا الكون؛ لتستحق أن تكون شاهدة في الدنيا تقيم العدل وتحكم بالقسط، وتكون شاهدة في الآخرة على باقي الأمم كجزءٍ من هذه الأمة.

ولقد تميزت هذه الأمة بأنها:

أمةٌ وسطٌ في التصور والاعتقاد، وسطٌ في التفكير والشعور، وسطٌ في التنظيم والتنسيق، وسطٌ في الارتباطات والعلاقات، وسطٌ في المكان والزمان. [4]

فهذا التميز للأمة يفرض تميز الجماعة المنقذة فتكون مؤهلة لقيادة البشرية من خلال إقامة العدل؛ مُحقِّقةً للوسطية بين التقليد والاجتهاد متعاملةً مع الثوابت كما المتغيرات، وفي المقابل لها تصوراتها ومنهاجها فلا تتبع كل ناعق بدون تفكير وبدون دليل، أما مكانها فقلب العالم، وأما تميزها الزماني؛ فعلى تتابع الأجيال، كيف لا ؟؟! وهي التي اختارها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته.

تنويه: يجب أن نعلم أن الوسطية لا تعني التساهل والتنازل عن الكثير من ثوابت الإسلام أو التفريط في أمور الدين كما يظن البعض؛وإنما نحرص على أن نكون الأجود والأعدل كما أراد الله لنا.

---

(1) انظر: الكشاف للزمخشري، (644/2)، في ظلال القرآن_سيد قطب، (2202/4).

(2) صحيح مسلم (866/591/2)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(3) المرجع السابق، (2821/2172/4)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة.

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (131/1)، مرجع سابق.

المطلب الثاني: العالمية

أثناء الحديث عن تميز الجماعة المنقذة لا بد من معرفة أن هذا التميز منبثق من تميز الرسالة التي اصطفاها الله لحملها ألا وهي رسالة الإسلام، ومن هذه المميزات التي تميزت بها رسالة الإسلام: "**العالمية**" وسر التميز في عالمية الرسالة يتضح في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107].

فهذه الرحمة التي ذكر الله ﷻ تعني قمة الإنقاذ للبشرية...

1. فالرحمة هي انتشالهم وإنقاذهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام.
2. ومن الظلم والطغيان إلى عدالة الإسلام.
3. ومن التشتت بين المناهج الأرضية القاصرة، إلى الاجتماع حول المنهاج الرباني الكامل، والاستظلال في ظله في أمن وأمان.

الرحمة المنضبطة بضوابط خالق البشر جميعهم العليم الخبير بما يصلحهم ويصلح لهم، ثم بعد ذلك الإنقاذ في الآخرة من عذاب جهنم إلى مقيم في الجنة.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، أي أن" من آمن بالله واليوم الآخر كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِيَ مما أصاب الأمم من الخسف والقذف" [(1)]، وفي قولٍ آخر: "يخبر تعالى أن الله جعل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم؛ فمن قَبِلَ هذه الرحمة وشَكَرَ هذه النعمة سَعِد في الدنيا والآخرة ومن ردَّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة"[(2)].

والراجح أن الرحمة تنال المؤمنين وغير المؤمنين، فالمؤمنون ينالون سعادة الدنيا والآخرة، ويورثهم الله الأرض ليحكموا فيها بالعدل، ويدخل في ظل الحكم بالعدل؛ المسلم وغير المسلم، والعدل رحمة، بل إن الإسلام حينما يحكم يحترم حقوق الإنسان، في الحرية، في التملك، في العيش بكرامة، على ألاَّ يكون غير المسلم مُحاربًا، وعلى ألاَّ يعتدي أحد –من خلال هذه الحرية وهذه الحقوق – على حقوق غيره لا بالغصْب ولا بالقتل.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري (18/ 552)، مرجع سابق.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (384/5)، مرجع سابق.

عالمية الرسالة تفرض عالمية الجماعة:

إن رسالة الإنقاذ للبشرية تحتاج الكثير من الجهد "فهي رسالة تشمل الزمان كله والمكان كله، والمسلمون مكلفون بهداية الفكر الإنساني والقلب الإنساني في كل موقع من دنيا الناس..، وهذه الرسالة تكلف أمتنا كثيرًا، وقد نهض الصحابة والتابعون بهذا العبء فكانوا امتدادًا لإشعاع النبوة الخاتمة". (1)

وهذا يؤكد وجوب قيام الجماعة المنقذة التي تحمل الإسلام بعالميته، وتحرص على نشر تلك الرسالة في كل مكان في العالم ولا يكفي الوعظ والإرشاد كما يظن البعض؛ بل تحرص على العمل من أجل التغيير، وإذا بدأ التغيير على حقيقته في بؤرة من الأرض سيكون له أثر في الانتشار في كل مكان، وفي هذا المعنى يقول د. وهبة متحدثًا عن عالمية الرسالة:

"وليس هذا مجرد إخبار، بل إنه أمر لنبيه بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع الإلهي".(2)

وهذا دليل على أهمية العمل لنشر الرسالة، فالْحَضُّ عملٌ وإشهارٌ للدعوة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...** ﴾[الأنعام: 19] والإنذار هو الدعوة والعمل بها.

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: 33].

فالإنذار والإظهار كله يحتاج إلى جهد وعمل، من أجل إظهار هذا الدين على كل ما سواه من علمانية، وماركسية، وقومية، وأي راية غير راية الإسلام، والعمل على إعلاء كلمة الله ونشرها على ربوع العالم، "وإن الصباح العريض الذي بزغ مع رسالة محمد ﷺ سوف يظل وحده النور الذي يغمر العالم ويملأ الأفق إلى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والأحياء"(3)

فمن الذي سيكون له دور في تحقيق هذه الأمور والقيام بهذه التكاليف، إن لم تكن الجماعة المنقذة التي وردت مواصفاتها في كتاب الله، وأخذت على عاتقها حمل هذه الرسالة وإنقاذ البشرية من الفساد، بل والصدق في تطبيقها؛ لتكون هذه الجماعة بتطبيقها نبراسًا ومثلًا يُحْتَذى به،

---

(1) انظر كتاب سر تأخر العرب والمسلمين للشيخ محمد الغزالي (77)، .

(2) الوسيط للزحيلي (1/ 736)، ط1، دار الفكر . دمشق، 1422 هـ.

(3) عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق من كتاب الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر، الشيخ محمد الغزالي (153)، ط1، دار نهضة، مصر.

أينما ذهبت، وأينما كانت فروعها وأفرادها، فالمصداقية في التطبيق يكون له دور في مصداقية الدعوة وإقناع الآخرين بها.

وهذه العالمية "تفرض على خلفاء محمد – لو كانوا صادقين في هذه الخلافة – أن يترجموا حقائق الدين، وأحكامه السياسية والاجتماعية، ومبادئه الروحية والخلقية، ويذهبوا بها في آفاق الأرض، ليشرحوا صدورًا ويهدوا عقولًا". (1)

فالترجمة العملية في التطبيق وتمثيل القدوة الحسنة والانتشار بهذه الترجمة في كل مكان –وهذه هي رسالة الجماعة المنقذة –سيكون لذلك أكبر الأثر في التعريف بالإسلام، بل ودخول الناس في دين الله أفواجًا كما حدث أيام الرسول ﷺ وصحابته، وتكرر ذلك أيام صلاح الدين الأيوبي وأثر ذلك في الفتوحات وفي عزة الأمة.

المطلب الثالث: الوعي

في الحديث عن تميز الجماعة المنقذة لابد من ذِكْر سمة أساسية مطلوبٌ من الجماعة أن تحرص على تحقيقها في نفسها وأفرادها ومجتمعها وأمتها، ألا وهو الوعي.

وإنه لمن الخطورة بمكان أن تفقد الجماعة الوعي بثقل الأمانة التي اصطفاها الله لحملها وأدائها من أجل تحقيق الاستخلاف، فهذا الوعي هو الذي يدفع الجماعة إلى العمل، وهو الذي يدفعها إلى التميز.

أهمية الوعي:

" إن الخطر الحقيقي على هذا الدين ليس كامناً في أن يكون له أعداء أقوياء واعون مدربون بقدر ما يكمن في أن يكون له أصدقاء سذّج مخدوعون "(2).

فالوعي ضروري في مواجهة المؤامرات، وغيابه وفقدانه له أثر سلبي من هذه الناحية، ولنعلم أن لفظ الوعي ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾ [الحاقَّة: 12]، ولكن وردت الآيات الكثيرة تتحدث عن معاني الوعي، مثل: البصيرة، الفقه، العقل، التفكُّر.

كذلك ورد ذِكْرُ الأدوات التي من خلالها يتحقق الوعي عند الإنسان، وتتسع مداركه، ألا وهي: السمع، البصر، الفؤاد، بل إن الله ﷻ في آيات كثيرة يحث على التفكير واستخدام العقل في

---

(1) سر تأخر العرب والمسلمين، الشيخ محمد الغزالي (40)، مرجع سابق.

(2) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب (1649/2)، مرجع سابق.

الحكم، والمتتبع للآيات التي تتحدث عن الوعي يجد أن القرآن وصف أصحاب العقل الواعي " بأولي الألباب " في ستة عشر موضعاً، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام القرآن بالعقل، بل والتركيز على استخدامه في الوعي والإدراك.

قال تعالى: ﴿**فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران].

الشاهد هنا: ﴿**لِأُولِي الأَلْبَابِ**﴾، و﴿**وَيَتَفَكَّرُون**﴾، و﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا**﴾.

﴿**لِأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ " أي أصحاب العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها "[(1)].

﴿ **وَيَتَفَكَّرُون**﴾ " أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته "[(2)].

وقال تعالى: ﴿ . . . **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة: 219]، وهي دعوة إلى التفكر في آيات الله ﷻ، وأكثر المفسرين على أن المعنى " لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها، فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة فترغبوا فيها "[(3)].

ولا شك أن هذا الوعي سيكون دافعاً للإنسان كفرد إلى الطاعة، والبعد عما يغضب الله، وكذلك فهو ضروري للجماعة المنقذة؛ لأن في تفكرها بآيات الله يجعلها ترجوه وتخافه، وتحرص على تحقيق ما يرضيه في كل أمورها.

وفي ذلك قال الثعلبي: " جائز أن يكون الخطاب للجماعة، وجائز أن يكون خطاباً للنبي لأن خطابه مشتمل على خطاب أمته "[(4)].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (184/2)، مرجع سابق.

(2) المراغي (162/4)، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي (161/1)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (153/2)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (54/2)، الطبري (475/7)، انظر الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل (452/1، 453).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (254/1)، الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل (263/1)، مفاتيح الغيب، الرازي (403/6)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (138/1)، تحقيق يوسف علي بديوي، ط1، 1419 هـ . 1998 م، دار الكلم الطيب . بيروت، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (153/2).

(4) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (153/2).

ولأهمية الوعي للإنسان والجماعة نجد أن الله ﷻ يذم الذين عطلوا وسائل الإدراك مثل: أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، فشبههم بالأنعام بل فضّل الأنعام عليهم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف: 179].

بل ويعجب من فعلهم ذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ [الحج: 46].

ونتوقف هنا لنعرف سبب الذم الذي ورد في القرآن الكريم في حق الذين يعطلون أدوات الإدراك التي أنعم الله عليهم بها.

"فقد أفسدوا استعداداتهم الفطرية للتلقي والاستجابة، فلم يفتح الله عليهم ما أغلقوا هم من قلوبهم وما أفسدوا من فطرتهم"[(1)]

ويوضح أ. محمد رشيد رضا ذلك في قوله: "لأن هذه المشاعر والقوى خُلقت لهم فأفسدوها على أنفسهم لعدم استعمالها فيما خلقها الله تعالى لأجله في سن التمييز ثم التكليف" [(2)]. ووصَفَهُم بأنَّهم كالأنعام لا يفقهون معنى الحياة الرُّوحية واللذات المعنوية والسعادة الأبدية، ولا يفقهون أسباب النصر على الأعداء فلذلك لا يحققونها ويضرب مثلاً لذلك أنهم لا يفقهون سبب إنفاق الأنصار الأبرار بأنه الإيمان الصادق فيقولون لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله ﷺ [(3)].

والذي أراه: أن الله ﷻ ذمّهم؛ لأنهم لم يشكروا الله على النعم التي أنعم عليهم بها، من سمعٍ وبصرٍ وفؤاد، وما يترتب على ذلك من معاصي تتعلق بأشخاصهم؛ فتكون سبباً في شقائهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا...**﴾ [طه: 124]، كذلك ما يكون لذلك دور وتأثير على المجتمع بل وعلى الأمة من إثارة بلبلة وشائعات، وتحقيق الهزيمة لهذه الأمة وخاصة إذا وجدوا من يسمع لهم أو يلقى لهم بالاً، أما في الثناء على الذين يستخدمون نِعم الله في التفكر والإدراك فيقول تعالى واصفاً إياهم: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**﴾ [الفرقان: 73]، أي "حرصوا على استماعها وأقبلوا على تلقيها بآذانٍ صاغية وأبصارٍ مُتَفَتِّحة."[(4)] وبهذا استحقوا ثناء الله ﷻ عليهم.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (1494/3)، مرجع سابق.

(2) تفسير المنار، (521/9)، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق بتصرف، (9، ص352- 358).

(4) الوسيط للزحيلي، (1815/2)، مرجع سابق.

"فإن تلاوة القرآن تتطلب يقظة القلب وحضور الوعي وتذوق المعاني وشهود المتكلم سبحانه "[1]، وبذلك يتحقق الإيمان المبصر الواعي الذي يدفع الفرد والجماعة للعمل الجاد من أجل عزة الأمة وتمكينها.

وإن المتتبع لمفهوم الوعي في القرآن؛ يجد أن الله ﷻ لم يتوقف عند الثناء أو الذم بل يبين آياته في الكون وقدرته، ويستحث أصحاب العقول للتفكر واستخدام عقولهم وتحكيمها وقد وضح ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 59-64].

"وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة، يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس؛ فيجعل الكون كله إطاراً للمنطق الذي يأخذ به القلوب، ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتحكم منطقها الواضح، ويصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون، وأغوار النفس "[2].

ومن هنا نفهم أن القرآن اتخذ حوار العقل طريقاً لإنارة الفكر والفهم.

وبالعودة إلى قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، نجد أن القرآن تحدث عن سفينة نوح وما سبقها من الحديث عن قوم موسى وقوم لوط، ثم قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ "فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة"[3]، ووضح ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [يوسف: 111].

وإن القصص القرآني – بالنسبة للأجيال– لمن الأهمية بمكان لأخذ العبرة والعظة واستقاء الحكمة؛ بل "إن هذا القرآن ينبغي أن يُقرأ، وأن يُتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يُتَدَبّر على أنه توجيهات حيَّة، تتنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم ولتنير الطريق إلى المستقبل، وحين

(1) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى (276/1).
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2661/5)، مرجع سابق.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (578/23) مرجع سابق .

نقرأ القرآن بهذا الوعي سنجد كلماته وعباراته وتوجيهاته حية تنبض وتتحرك وتشير إلى معالم الطريق[1].

وهذا دليل على أهمية معرفة الأمة بتاريخها لتستطيع الاستمرارية في إقامة الحضارة، فالحضارة إن لم ترتبط بالماضي وتستقي منه الحكمة في إدارة الحاضر واستشراف المستقبل فلن تقوم لها قائمة، وهذا يأتي تحت بند الوعي التاريخي المطلوب من الجماعة المنقذة أن تحققه لأداء رسالتها.

- وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ [يوسف: 108].

" أي على هدى من الله ونور نعرف طريقنا جيداً ونسير فيها على بعد وإدراك ومعرفة فهو اليقين البصير المستنير"[2]

فهذه الآية تبين أهمية الوعي في الدعوة إلى الله، فالوعي بطبيعة الطريق، وغاية الوجود ضروري للفرد حتى يحقق المُراد من وجوده، وحريٌّ بالجماعة المنقذة أيضاً أن تحرص على ذلك.

أما في معرض الحديث عن الوعي وأهميته في التميُّز في الدعوة، وفي النصر والتمكين إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على الوعي نورد ما قاله الصلابي[3] عن أسباب الانتصار في حطين: سنة الإعداد، والأخذ بالأسباب، وسنة التدرج وبُعد نظر صلاح الدين وحنكته السياسية وإخلاصه لله وتطبيق شرع الله في دولته وأهمية الوعي الجغرافي في فقه الصراع وإدارته.

كل ذلك كان له دور في تحقيق الانتصار... لقد أبرزت هذه المعركة أهمية الوعي الكامل بضرورة توظيف معطيات الموقع الجغرافي[4].

ومن خلال ما سبق لاحظنا عدة أمور:

1. الوعي طريق إلى التميز.
2. أهمية الوعي في تحقيق النصر والتمكين.

---

(1) المرجع السابق، سيد قطب (261/1) .

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (2034/4)، مرجع سابق.

(3) هو علي محمد محمد الصلابي، ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ / 1963 م، صدرت له عدة كتب من أهمها: عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، الوسطية في القرآن الكريم، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

(4) انظر صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس- علي محمد محمد الصلابي (520)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط 1، 1429هـ 2008م.

3. أهمية الوعي في بناء الحضارة (حضارة العلم والإيمان).
4. أهمية ودور الوعي في مواجهة المؤامرات.
5. أهمية ودور الوعي ودوره في نجاح الدعوة إلى الله.
6. الوعي وأهميته في الوصول إلى مرضاة الله والفوز بالجنة.

إذاً حريٌ بالجماعة المنقذة أن تحقق الوعي في أفرادها وفي نفسها الوعي الكافي الذي يعينها على أداء رسالتها في إنقاذ البشرية دنيوياً وأخروياً.

المطلب الرابع: التخطيط

لابد لنا أثناء الحديث عن التميز الذي حظيت به الجماعة المنقذة – والتي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته – من التطرق إلي بندٍ مهمٍ في أداء تلك الرسالة وفي حياة تلك الجماعة ألا **وهو** التخطيط؛ وذلك لأهمية التخطيط في مواجهة المؤامرات، فأعداؤنا يخططون ليل نهار؛ لمحاربة الإسلام واستئصال شأفته، وهذا يفرض على الجماعة المنقذة أن تضع الخطط اللازمة لإنقاذ البشرية من براثن الضلال والفساد، على الصعيد الأمني والعسكري والاقتصادي والسياسي والدعوي... الخ، كيف لا؟ والقرآن الكريم زاخرٌ بالأوامر والنواهي التي يتضح فيها هذا المفهوم، وكفانا مثلاً قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ...**﴾ [الأنفال: 60].﴿**مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ أي ما أطقتم أن تعدوه من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم[1].

ومعظم الأقوال أن القوة قوة السلاح، ولذلك أوردوا حديث رسول الله ﷺ: " **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ** "[2]

(1) انظر جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (31/14)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (3699/4)، بحر العلوم للسمرقندي (29/2)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (371/3)، الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (232/2)، مفاتيح الغيب، الرازي (499/15)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (65/3)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (654/1)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (80/4).

(2) صحيح مسلم (1917/1522/3)، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

ولقد أضاف محمد رشيد رضا مفهوم القوة الأمنية إلى العسكرية في قوله: " والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها، إذا فاجأها العدو على غرة، قاومه الفرسان لسرعتهم وحركتهم وقدرتهم على الجمع والقتال، وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها"[1].

والذي أراه أن الله أراد من الجماعة أن تعد كل أنواع القوة –من علمية وسياسية واقتصادية وإعلامية إلى غير ذلك من أنواع القوة –بما فيها العسكرية، وفي نفس الوقت وجّهَهَا إلى القبول بالسلام علي شروط القوة وهي عزيزة قوية فقال تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ...**﴾ [الأنفال: 61].

فنجد التخطيط في السلم والحرب وهذا مرونة في التخطيط، حيث أن القرآن معني بالعلاقات بين الدول، وتحقيق الترابط الاجتماعي داخل المجتمع المسلم بل والمجتمع العالمي؛ لذلك أفسح المجال للإبداع في اتخاذ القرار بناءً على دراسة وتخطيط حسب ما تحتاجه المرحلة.

وحريٌّ بالجماعة المنقذة أن تحقق ما أراده الله ﷻ، لتعيد للأمة الإسلامية هيبتها، ولا مانع أن تحرص على إقامة العلاقات على أساس القوة.

و في الحديث عن التخطيط سأقتصر على بعض الأمثلة التي تبين أهمية التخطيط في تحقيق النصر وفي التمكين، بل ضرورة التخطيط من أجل تحقيق الأهداف:

1) قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وقومه (التخطيط الدعوي).

2) قصة سيدنا يوسف في حل الأزمة الاقتصادية (التخطيط الاقتصادي).

3) قصة ذي القرنين و(التخطيط الجهادي والأمني).

أولاً: قصة سيدنا إبراهيم والتخطيط الدعوي:

قال تعالي: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 83–96].

---

(1) تفسير المنار (53/10) .

اعتبر د.وهبة أن الحوار بين سيدنا إبراهيم وقومه؛ كان نوعاً من التوبيخ لمنهجهم في عبادة الأصنام في قوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾، وأما في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أنه كذب ابتغاء مرضاة الله؛ لأمرين:

أ. أنه لم يكن يريد مشاركتهم في أعيادهم.

ب. كان ينوي تنفيذ خطته في تحطيم أصنامهم [(1)].

وقد أكد ذلك الآيات التي وردت متحدثة عما قام به في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ولقد جاء التفصيل لهذه الخطة في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 57-67]

ولقد كان الهدف من هذه الخطة؛ الوصول إلي إثبات خطئهم في عبادة الأصنام ومن ثَمّ هدايتهم وتوجيههم لعبادة الله الواحد القهار.

ومما يؤكد علي مفهوم التخطيط في هذه القصة ما ذكره سيد قطب:

" بعد أن يئس من استجابتهم له وأيقن بانحراف فطرتهم؛ الانحراف الذي لا صلاح له، اعتزم أمرا، وانتظر هذا اليوم الذي يبعدون فيه عن المعابد والأصنام لينفذ ما اعتزم " [(2)]

الكلمات الدالة علي التخطيط: اعتزم أمراً – انتظر– لينفذ ما اعتزم.

فالعزم على أمر؛ هو بداية التخطيط، والانتظار يحتاج إلي صبر؛ حتى يحقق الهدف (التنفيذ) وهي مرحلة تلي التخطيط، وسيدنا إبراهيم وضع هدفاً وهو إقناعهم بمنهج الله وهدايتهم إليه واستخدم عدة وسائل:

1- التظاهر بالمرض حتى يصرفهم عنه.

2- تحطيم الآلهة (الأصنام) كنوع من الاستفزاز والحث علي الحوار.

---

(1) التفسير الوسيط، (2178/2)، بتصرف.

(2) في ظلال القرآن، (2995/5)، مرجع سابق.

3- الإقناع بالحجة من خلال استخدام الأدلة الحسية، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[الصافات:95].

4- تعريفهم بالله من خلال قدرته وآياته في الكون، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96].

ولقد نجح إبراهيم في استدراجهم للحوار، ولكنَّ باطلَهم أعماهم عن سماع الحق فتآمروا عليه، وتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا...﴾ [الصافات: 98].

ومن الملاحظ أن سيدنا إبراهيم بعد أن استنفد الوسائل في هدايتهم ووصل معهم إلي طريق مسدود تركهم ومضى؛ ليكمل مسيرته الدعوية؛ وهذا من التخطيط، فالمطلوب منّا الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، أما النتائج فليس بالضروري أن تتحقق علي إطلاقها، فقد قال الحق تبارك وتعالى مبيناً ذلك: ﴿. . .وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ...﴾ [آل عمران: 20].

وهذا اليقين يدفعنا إلي التفاؤل والمضيّ بعيداً عن الإحباط واليأس، وهذا ضروري للجماعة المنقذة في مسيرتها الدعوية، كذلك "فإن استيعاب سنة التدرج يعين الدعاة على التعامل الصحيح، ولا بد للدعاة الذين يعرِّفون الناس بالإسلام أن تكون لهم قدرة على التخطيط والتنظيم وحسن الإدارة"[1].

ثانياً: قصة سيدنا يوسف والتخطيط الاقتصادي:

وما زلنا مع التخطيط في القرآن، وقصة سيدنا يوسف، وكيف كان لتخطيطه أثر في التمكين له، ولشعب مصر، وإنقاذ البلاد من الهلاك وقد كانت بداية التخطيط حينما طُلِبَ منه تأويل الرؤيا التي رآها ملك مصر فوضع الخطة والتي بينها القرآن في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 47-50].

كانت هذه الخطة التي وضعها سيدنا يوسف للملك بناءً على الرؤيا، وكان لهذه الخطة دور في خروجه من السجن، وهذا ما بيّنه الإمام ابن كثير في قوله:

(1) كتاب تبصير المؤمنين بنفقة النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين مصر، القاهرة، ط1، 1422هـ 2004م. ص418.

"هذه الرؤيا من ملك مصر ربما قدّر الله تعالى أنها كانت سبباً في خروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما"(1).

والملاحظ أنه لم تكن الخطة الاقتصادية فقط هي السبب في خروجه معززاً مكرماً، بل ما تبعها من تخطيط، فقد أحكم سيدنا يوسف الخطة حينما قال الملك (**ائْتُونِي بِهِ**)، فرفض الذهاب وأراد أن يستثمر ذلك في تبرئة نفسه من التهمة التي أُلصقت به ظلماً، ووضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 50].

فعدم تلهفه على الخروج –مع أنه كان قد أمضى مدة ليست بالبسيطة– يُعتبر من التخطيط في دفع الشبهة عن نفسه، وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا: "وفي هذا التريث والسؤال فوائد جليلة في أخلاق يوسف وعقله وأدبه... منها:

1. الدلالة على صبره وأناته.
2. عزة نفسه وحفظ كرامتها.
3. وجوب الدفاع عن النفس وإبطال التهم".(2)

ومما يؤكد على أن ما فعله يوسف كان جزءاً من التخطيط ما قاله سيد قطب: "نجد يوسف السجين الذي طال عليه السجن لا يستعجل الخروج حتى تتحقق قضيته، ويتبين الحق واضحاً في موقفه، وتُعَلن براءتُه على الأشهاد" (3).

إذن التخطيط لم يتبين في وضع الخطة الاقتصادية فقط، بل أيضاً في الحرص على السمعة والسيرة ودحض الشبهة، ثم في اختيار المهنة والتخصص الذي يُمكِّنُه من تنفيذ الخطة التي وضعها وإنجازها، وكان لهذا دوره في التمكين له وللدعوة وللأسرة النبوية كلها بعد ذلك.

فلما عرض عليه الملك أن يكون مستشاره اختار أن يتولى الأمر الاقتصادي المالي﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 55]. ولابد من التنويه أن "يوسف لم يكن يطلب

(1) تفسير القرآن العظيم، (392/4)، مرجع سابق.
(2) تفسير المنار، 12/ 265، 266، مرجع سابق.
(3) في ظلال القرآن، 4/ 1994، مرجع سابق.

لشخصه... إنما كان حصيفاً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها، لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة"[1].

لقد كان للتخطيط دورٌ في التمكين، ولم يتوقف التخطيط بل استمر بعد التمكين "وكان ذلك واضحاً في استدراج إخوته وأسرته للمجيء إلى مصر"[2]، ومن هنا تظهر أهمية التخطيط في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة المنقذة التي أُوكلت لها مهمة الاستخلاف في الأرض.

ثالثاً: ذو القرنين والتخطيط الجهادي الأمني:

إن المتتبع لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم، يلاحظ مفهوم التخطيط الجهادي والأمني فيها، وخاصة خطته في بناء السد:

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾ [الكهف: 93-95]، ثم بدأ بتنفيذ الخطة في قوله: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ [الكهف: 96-97].

لقد كان التخطيط واضحاً في هذه القصة، كذلك تبين من خلالها" مدى المكابدة التي عاناها ذو القرنين لإكمال السد بتأمين المواد الأولية، وإقامته على التخطيط الدقيق والأسس العلمية السليمة من جهة، وأن المكابدة لم تكن فقط في إقامة السد؛ بل دفع غارات المفسدين في الأرض الذين يحاولون منعه من إقامة السد...." [3] ؛ فكان نموذجاً للحاكم الصالح، " يُمَكِّنُه الله في الأرض و يُيَسِّر له الأسباب... و لكنه لا يتجبر ولا يتكبر ولا يتخذ من الفتوحات طريقا للمغنم المادي ولا استغلال الأشخاص والجماعات؛ إنما ينشر العدل في كل مكان ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح وإحقاق الحق"[4] فكان له الدور البارز في مقاومة الفساد الخُلُقي والفوضى الاجتماعية وغرس أصول الإيمان والحق والخير وذلك؛من أجل الدعوة إلى الله ﷻ[5]. ولعلي هنا أستطيع استنباط أمور من خطة ذي القرنين كان لها دورٌ في نجاح الخطة:

---

(1) المرجع السابق– 4/ 2005.
(2) الوسيط للزحيلي (113/2).
(3) مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم الناشر، دار القلم ط4، 1416هـ 2005م.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (2293/4).
(5) الوسيط للزحيلي (1453/2) بتصرف.

1) على رأس أسباب النجاح هو التوكل على الله بدأ بقوله: ﴿**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي**﴾ وأنهى بقوله: ﴿**هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي**﴾.

2) أن الخطة انبثقت من قراءة الواقع وبُنِيتَ على أساس الاحتياج.

3) نزاهة الحاكم أو الأمير أو الداعية حينما عرضوا عليه الأجر ولم يقبل، وقد وضح هذا في قوله ﴿**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾. أي خيرٌ من الأجر الذي ستعطوني إياه.

4) حسن الإدارة والتنظيم من خلال طلب المشاركة في العمل؛ وهذا له دور فاعل في إنجاح الخطة ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾، وهذا إيعاز من ذي القرنين لدور الجنود في عون القائد في تحَمُّل أيِّ مهمة تُوكَل إليه.

تنويه:

من خلال الأمثلة السابقة تبيّن لنا أهمية التخطيط؛ من باب الأخذ بالأسباب، مع إرجاع الفضل إلى الله ﷻ، والخشية من عدم قبول العمل وقد تجلى ذلك في:

أ. في قول إبراهيم عليه السلام حينما اعتزل قومه بعد بذل كل الأسباب: ﴿...**وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [مريم: 48].

ب. قول يوسف: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: 101]

ج. قول ذي القرنين بعد أن أتم بناء السد: ﴿...**هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ [الكهف: 98].

وهذا دليل على أهمية التخطيط المرتبط بالتوكل على الله ﷻ ؛ وقد وضح ذلك جلياً في تخطيط رسول الله ﷺ للهجرة واتخاذ كل الأسباب ثم يقول لأبي بكر رضي الله عنه: " **مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**" [1] وقوله: ﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: 40]. وفي ذلك يقول سعيد حوى: "إن من تأمل حادثة الهجرة، ورأى دقة التخطيط فيها والأخذ بالأسباب يدرك أن التخطيط المُسَدَّد بالوحي في حياة الرسول ﷺ كان قائماً وإن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف

(1) صحيح البخاري (3653/4/5)، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم

الإلهي في كل ما طولب به المسلم".[1]، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أهمية التخطيط في الإسلام.

إنه حقا لتميز!! وأي تميز للجماعة المنقذة حينما تخطط وتحسن الإدارة من أجل الارتقاء، وتحقيق مهمة الإنقاذ لهذه الأمة، على الصعيد الاقتصادي والسياسي والأمني والجهادي والدعوي والإعلامي والتعليمي وكل ذلك لن يتحقق إلا بوضع خطط محكمة، والعمل على تنفيذ هذه الخطط بدقة من خلال وضع برامج تدريبية و ابتداع الوسائل المناسبة واختيار الأنسب من الأشخاص للتنفيذ، كل هذا مع ضرورة الاستعانة بالله والتوكل على الله –سيراً على درب الأنبياء ختاماً بسيدنا محمد ﷺ ومن استن بسنته–؛ لتصل إلى تحقيق أهدافها التي اصطفاها الله من أجلها ألا وهي إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين وتحقيق الاستخلاف.

المطلب الخامس: التنظيم

إن التنظيم أساس في إسلامنا، كيف لا؟ والكون كله قائم على التنظيم، فتعاقب الليل والنهار، ودوران الشمس والقمر والنجوم... إلى غير ذلك.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم المتحدثة عن الكون وتنظيمه؛ يقف مشدوهًا أمام قدرة الله العظيمة وآلائه الجسيمة، وشيء طبيعي أن يكون أمر الإنسان كجزء من هذا الكون قائماً أيضًا على هذا المفهوم.

وإذا كان الحديث عن الجماعة المنقذة؛ فمن البديهي أن تكون كل أمورها قائمة على التنظيم، وبالتالي لن تستطيع أداء رسالتها التي اصطفاها الله لحملها إلا بذلك؛ والأمثلة كثيرة في القرآن ولكن سيقتصر الحديث على مثلين يتّضح من خلالهما مفهوم التنظيم أيّما وضوح:

المثل الأول: سورة النمل وقصة سيدنا سليمان.

المثل الثاني: سورة الصف.

أولًا: سورة النمل:

وضح مفهوم التنظيم في تلك الآيات على النحو التالي:

1. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...﴾ [النمل: 15]، يعني علم القضاء، والعلم بكلام الطير والدواب.[2]

---

(1) الأساس في السنة، (357/1)، ط1، 1409 هـ – 19891م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

(2) بحر العلوم للسمرقندي (575/2)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (148/6)، وتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، للماتريدي (104/8)، تحقيق د. مجدي باسلوم، ط1 . 1426 هـ، 2005 م، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

وهذان العلمان ضروريان للقيادة، فعلم القضاء للحكم بالعدل، والعلم بكلام الطير والدواب له دور في تحقيق العدل؛ وهذا ما يسمونه في أيامنا هذه بعلم اللغات، وفي قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ [النمل: 16] دليل على شرف العلم وإنافة محله، وتقدم حملته وأهله ". [1]

2. قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾ [النمل: 16]، التوارث أو بمعنى آخر تفويض السلطة، فالميراث الذي ورد ذكره في الآية " هو ميراث النبوة والعلم والملك"[2]، وهما أساس الملك الذي كان استجابة لدعوة سليمان في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي...**﴾ [ص: 35]، ودلّ على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿...**وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...**﴾ [النمل: 16]، يعني أُعطينا علم كل شيء؛ النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح[3].

3. قوله تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ [النمل: 17﴾.

حُشِر أي جُمِع، واختلف الناس في مقدار جند سليمان...، والصحيح أن ملكه كان عظيمًا ملأ الأرض وانقادت له المعمورة، "يوزعون" أي يرد أولهم إلى آخرهم ويُكَفّون.[4]

ولا شك أن ذلك من التنظيم حيث أن للحاكم أناس ينظّمون ويرتّبون ولا يُتْرَكون يموجون في كل مكان، "وحتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى، فهو حشد عسكري منظم؛ يطلق عليه

---

(1) الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3 / 353)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (312/10)، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة . القاهرة، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (12/4)، ط5، 1424 هـ . 2003 م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (19 / 437)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (801/1)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط1 . 1415 هـ، دار القلم . الدار الشامية، دمشق . بيروت، =والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (253/4)، ط1 . 1422هـ، دار الكتب العلمية . بيروت.

(3) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (576/5)، وتفسير القرآن، للسمعاني (81/4)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (156/4).

(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (438/19)، وبحر العلوم للسمرقندي 576/2، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (801/1).

اصطلاح الجنود؛ إشارة: إلى الحشد والتنظيم"[1]، وأعتبر أن التنظيم يجب أن يكون في كل أمور الجماعة وليس فقط في الحشد العسكري.

4. قوله تعالى: ﴿. . . قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18﴾، وهذا دلالة على التنظيم حتى عند الأمم الأخرى، ولقد ظهر هنا دور القيادة (النملة)، فما قامت به دليل على وعيها الأمني وإحاطتها بما يدور حولها؛ لتحقيق الحماية لمن تقودهم، ولذلك تصرفت في الوقت المناسب قبل وقوع الخطر.

وهذا من الضرورة بمكان للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لقيادة البشرية وإنقاذها من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة أن تحرص عليه؛ لحماية أفرادها وحماية المجتمع واستشعار الخطر قبل وقوعه.

"وفي قصة النملة إيقاظ للعقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النُّظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها وجمعها لهم؛ ليشير إلى كيفية سياستها وحكمتها وتدبيرها لأمورها، وأنها تفعل ما يفعل الملوك وتسوس كما يسوس الحكام".[2]

وهذا فيه عبرة وعظة للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإظهار دينه، أن يكون أمرها قائم على التنظيم الدقيق والحذر الدائم، وإنها لحكمة بالغة ودرس عظيم تلقيه "النملة" – أضأل مخلوقات الله – على الإنسانية في أحسن أحوالها وأعدل أزمانها، إذن فالحذر، ودخول المساكن وإلا... فالهلاك المحقق. [3]

5. قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[النمل: 20]، في هذه الآية عدة دلالات:

أ- متابعة القيادة للجند (وتفقّد).

ب- في قوله: ﴿ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ...﴾، دليل على إحاطة القيادة ومعرفتها بالجنود وهذه تحتاج إلى بصيرة وعينٍ ناقدة.

ج- في قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، دليل على ذكاء القيادة في طرح موضوعٍ يريد الإجابة عليه من الحضور.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب _(2636/5)، مرجع سابق.
(2) تفسير المراغي (129/19).
(3) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، بتصرف (10/ 230).

د- أن الهدهد كان متميزًا وله دوره ولهذا كان لغيابه أثر، فقد كان مهندسًا، يدل سليمان عليه السلام على الماء، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض، ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض، فإذا دلّهم عليه؛ أمر سليمان الجانّ فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء.[1]

وهل بعد ذلك من دلالة على التنظيم، فالتخصصات كانت واضحة وتوزيع المهام، الهدهد مهندس ودوره معرفة مكان الماء في الأرض وتقدير المسافة وينتهي دوره عند ذلك، يأتي الأمر من القيادة لآخرين بأخذ دورهم في حفر الأرض واستخراج الماء. وإن كانت هذه معجزة لسليمان فهي دروس لنا، وهكذا تكون الجماعة المنقذة حريصة على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وتوزيع المسئوليات، وهذا له دور في توفير الوقت والجهد، ومن واجبات ولاة الأمور تفقُّد أحوال الرعية وتفقُّد العمَّال ونحوهم بنفسه. [2]

6. قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 21]، وضح مفهوم التنظيم في تلك الآية بمعنى المحاسبة وعدم التساهل الذي يؤدي إلى تراخي الجنود عن القيام بمهماتهم؛"وليعلم الجميع أنه غائب بغير إذن، وحينئذٍ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم حتى لا تكون فوضى... وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند".[3]

7. قوله تعالى: ﴿...أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...﴾، دليل الإيجابية الواضحة في العلاقة بين القائد والجند شجعت الهدهد أن يوضح حجته؛ فقوة الأسلوب والثقة العالية، وروح المبادرة التي تميز بها الهدهد بأداء مهمة لم يكلّف بها ولكن أملاها عليه شعوره بالمسئولية وفهمه لدوره، ﴿...وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾، وسرد القصة..

وهذا درس لأفراد الجماعة المنقذة أن يكون كلٌّ منهم يشعر بالمسئولية في حمل الرسالة ولا ينتظر القيادة أن تحيط بكل شيء، أو ينتظر فقط أمر القيادة لتنفيذه؛ بل وجوده في المجتمع يجعله يطّلع على أمور لم تطّلع عليها القيادة؛ فإن كان سليمان وقد أوتي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، يقول له جندي صغير وهو الهدهد: ﴿... أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...﴾ ، فماذا ننتظر من القيادة العادية وليس معها معجزات ولا خوارق؟!

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 184)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (199/7) بتصرف.
(2) انظر: التحرير والتنوير _محمد بن عاشور(245/19).
(3) في ظلال القرآن سيد قطب (2638/5)، مرجع سابق.

8. الوعي الذي تميز به الهدهد وهذا ضروري في التنظيم، أنه لم يتصرف إلا بعد إبلاغ القيادة، حيث أن القيادة أقدر على استنباط الأمور ووضع الوسائل، قال تعالى مبينًا هذا الأمر: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...**﴾ [سورة النساء: 83].

وقد لوحظ أن" نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء الأتقياء من الناس". [1]

الخلاصة:

من خلال الآيات التي تحدثت عن مفهوم التنظيم لمسنا ما يلي:

أولًا: علاقة سليمان وجنوده:

أ. التنظيم والترتيب، في قوله تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ...**﴾ و ﴿**...فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾.

ب. المتابعة، في قوله تعالى: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ...**﴾.

ت. المحاسبة، في قوله تعالى: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا...**﴾.

ث. الإيجابية والمبادرة عند الجند، في قوله تعالى: ﴿**...أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...**﴾.

وفي نفس الوقت لم يتجاوز دوره، ولم يتدخل في الحل إلا بعد الرجوع إلى القيادة.

ثانيًا: علاقة النملة بجنودها:

أ. أخذ الحيطة والحذر ومراقبة الأجواء المحيطة لتحقيق الحماية لمن تقودهم.

ب. توجيه الأمر في الوقت المناسب وبالصيغة المناسبة، وكان التوجيه مصحوبًا بخطة واضحة: ﴿ **ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**﴾.

ث. توضيح الأسباب التي دعتها إلى ذلك: ﴿**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾، وهذا يكون دافعًا للاستجابة.

(1) المرجع السابق (2636/5).

ثالثًا: علاقة بلقيس بجنودها:

أ. العلاقة قائمة على الشورى ومن بداية الأمر؛ حتى تكون الصورة واضحة أمامهم ﴿**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل: 29-32].

ب. حكمة القائد في طرح ما يريد، وإقناع من أمامه بطرحه: ﴿... **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا...**﴾ [النمل: 34].

ت. لما قالوا لها: ﴿**الْأَمْرُ إِلَيْكِ**﴾ كانت صاحبة الرأي السديد، والثقة وعدم التردد: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل: 35]، وهذا مثلٌ يُحْتَذى به في "الدبلوماسية الرشيدة، وإعمال الفكر والأناة".(1)

هذه القصص الثلاثة الواردة في سورة النمل؛ لهي دلائل واضحة على التنظيم وحسن الإدارة، فحريٌ بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله ﷻ لحمل رسالته وإظهار دينه أن تتمثل هذا الأمر، وتتخذ القصص القرآني دليلًا لها في مسيرتها، والملاحظ في الأمثلة التي ذكرت؛ أنها مواقف مختلفة في الأداء لكن كان نهايتها النجاح.. وهذا الاختلاف سيكون نموذجًا رائعًا لهذه الجماعة التي اتسمت بالمرونة بين الثوابت والمتغيرات حتى لا تجمد على نوع واحد أو نموذج واحد فالخيارات متعددة والاحتياجات العصرية تفرض تغييرًا ومناورة ولكن على أسس واضحة.

ثانياً: سورة الصف:

لقد تميزت الجماعة المسلمة الأولى بالتنظيم وحريٌ بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته بذلك.

وإن المتتبع لأمور الإسلام كلها من صلاة وصيام وحج وزكاة وجهاد يجدها كلّها قائمة على التنظيم والانضباط، "فلقد نظّم الإسلام المجتمع تنظيمًا دقيقًا على أسس متينة وأخلاق ومبادئ رصينة؛ لتكون الأمة كتلة واحدة متراصّة".(2)

وبما أن التنظيم مرتبط بالتخطيط – وهو جزءٌ لا يتجزأ من الإدارة؛ بل إن التخطيط بدونه يصبح ضرباً من الخيال– لذلك جاء العتاب الرباني للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ**

---

(1) الوسيط للزحيلي (1873/2)، مرجع سابق.
(2) المرجع السابق (2645/3).

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: 2]، مستنكراً عليهم ذلك وآمراً إياهم بوحدة الصف في القتال ومواجهة الأعداء داعياً إلى العمل المطابق للقول مبيناً أثره في الترابط وأن عكس ذلك يهدم الثقة ويزعزع بنية الأمة ويشيع تصورًا كئيبًا على عدم الصدق في الإيمان، وصحة الاعتقاد؛بل وضعف الفكر وانعدام التخطيط للمستقبل.[1]

الشاهد: انعدام التخطيط في المستقبل سببه عدم تنفيذ الخطط وهذا ما يتنافى مع التنظيم..

"فالنظام أساس بنيان الأمة"، [2] والله يحب النظام في كل شي؛ بل يحب من يطبقون النظام فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4]،

كيف لا يحبهم ؟ "وهم يقاتلون في سبيله وابتغاء مرضاته، يقاتلون بنظام ودقة وحكمة.. مع الوحدة والاجتماع التام على الكلمة ومقابلة العدو بقلوب راسخة رسوخ البنيان المحكم الشامخ."[3]

وهل هذا إلا معنى التنظيم في الإدارة، إن كان في القتال أو في أي أمر من الأمور، الهدف منه ترسيخ البنيان في بناء دولة الإسلام؛ فالإسلام "كان يبني أمة.. لتقوم على أمانة دينه في الأرض ومنهجه في الحياة ونظامه في الناس.. فالمسلم لا يُبْنَى فردًا إلا في جماعة، ولا يُتصَوَّر الإسلام قائمًا إلا في محيط جماعة منظّمة ذات ارتباط وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها".[4]

إذن هي الجماعة المنقذة المنظَّمة في كل أمورها؛ القادرة على تحمُّل الصعاب؛ من أجل إعلاء كلمة الله و تحقيق الاستخلاف، وما وجدتُ أروع من وصف الرسول ﷺ لهذه الجماعة في قوله ﷺ: " **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** "[5]، نعم هكذا يجب أن تكون الجماعة: "بنيان تتعاون لبناته وتتضامّ وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها وتسدّ ثغرتها؛ لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها".[6]

---

(1) انظر: المرجع السابق (3/ 2645).
(2) تيسير التفسير 328/3 لإبراهيم القطان المتوفى 1404 هـ.
(3) التفسير الواضح – محمد محمود الحجازي (666/3) .
(4) في ظلال القرآن سيد قطب (6/ 3555)، مرجع سابق.
(5) صحيح البخاري (1/ 103 / 481) كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.
(6) المرجع السابق، سيد قطب_(6/ 3555).

هذا هو مفهوم التنظيم الذي يعني توزيع الأعمال والمهمات ليتم الإنجاز، وأعتبر أن هذا مطلوب في كل الأمور وليس فقط في الجهاد، ولذلك حثّ الله على رصّ الصفوف وتكاتف الجهود بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها، " وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال".(1)

نخلص إلى:

1. أهمية الوفاء بالعهد؛ فهو دليل على كريم الشيم، وجميل الخصال، و به تكون الثقة بين الجماعات؛ فترتبط برباط المودة والمحبة حين يتعامل بعض أفرادها مع بعض، ويكونون يدًا واحدة فيما أوتوا من أعمال.(2)
2. أهمية التنظيم في مواجهة مؤامرات الأعداء وقد وضح ذلك جليًا في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**﴾ ﴿التوبة: 32﴾، وكان ذلك بعد الحديث عن انحراف اليهود، وضلال النصارى، ولذلك أتبعها بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...**﴾ [التوبة: 33]، مبيناً أهمية الرسالة التي أوكلت إلى سيدنا محمد ﷺ ومن سار على دربه.
3. أن التجارة الرابحة تكمن في أمرين؛ الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله، وتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...**﴾ [الصَّف: 10، 11].
4. أن الثواب من الله والربح في هذه التجارة لا يكون في الآخرة فقط وإنما في الدنيا فكما قال تعالى: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...**﴾ [الصَّف: 12]، قال أيضًا: ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ**﴾ [الصَّف: 13]، لعلمه أن البشارة لها دور في الاندفاع والإقبال على العمل.
5. بيان أهمية الجماعة والعمل الجماعي؛ من أجل تحقيق الأهداف، فما بالنا إذا كان الهدف هو بناء دولة الإسلام ونصرة دين الله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ...**﴾[الصَّف:14]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (1/ 858).
(2) انظر: تفسير المراغي (81/28، 82).

وقد بين الله ثمرة ذلك في قولـه: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصَّف: 14]، وفـي ذلـك استنهاض لهمـة المؤمنين الأمنـاء علـى منهج الله فـي الأرض.. لنصـرة الله ونصـرة دينه. [1]

وكأني به يتحدث عن الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لنصرة دينه وإظهاره على الدين كله، الجماعة التي حملت الدين بكليته، بنظام ودقة وتكاتف وتوادّ من أجل تحقيق الرسالة التي أرادها الله ألا وهي الاستخلاف.

المطلب السادس: التربية

في الحديث عن التربية لابد من معرفة أن كتاب الله نزل لتربية هذه الأمة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ [الإسراء: 9] أي: التقويم بعيدًا عن الاعوجاج والانحراف، ولا يختلف اثنان أن الهداية إلى الأقوم هو لب التربية، فالتربية مشتقة من الرب؛ و " الرب هو السيد المربي الذي يسوس مسوده ويربيه ويدبره، وربوبية الله للناس تظهر في تربيته إياهم"[2] .

والتربية قسمان:

أ. تربية خَلْقِية: وهي بمفهوم الرعاية الجسدية والنفسية والعقلية.

ب. تربية تعليمية شرعية: وهي بمفهوم الوحي والعلم والعمل [3].

ومع أهمية القسم الأول إلا أن القسم الثاني هو الأهم، والذي ورد في قوله تعالى مخاطبا موسى ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: 13]، ثم في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]، وقوله ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41]،

تدل الآيات على ما يلي:

1. أن المحبة لها دور في نجاح التربية؛ ولذلك أُوْكِلَت التربية إلى الأم حيث إنها مصدر الحنان والذي له دوره وأثره في الإقناع. إذ " ليس هناك أعظم من التعزيز بالحب".[4]

---

(1) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب (6/ 3560، 3561).

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (42/1).

(3) انظر المرجع السابق (1/ 43).

(4) انظر دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز (323، 423)، ط10، 1418هـ / 1998م، مؤسسة الرسالة.

2. أن التربية صياغة للإنسان وتشكيل شخصيته، وفي كلمة ﴿ تُصنع﴾ دلالة على ذلك " فالصنع جعل الشيء على صفة معينة؛ كصنع الحديد قدورًا، وصنع الأخشاب بابًا... وصنع الآدمي معناه التربية البدنية والعقلية؛ تربيته البدنية بالغذاء وتربيته العقلية بالآداب والأخلاق".[1]

3. التعزيز وتقدير الذات له تأثير واضح في سرعة الاستجابة، ومن ثم الارتقاء بالمتربي وقد بدا ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وأنا اخترتك**﴾ فشعور الإنسان أنه مُنْتَقَى من بين الجموع يشعر بالتميز فيكون ذلك دافعاً.

في تفسير قوله تعالى: **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾**، يقول سيد قطب: "إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال الإنسان لحظة من العناية فكيف بمن يصنع صنعاً على عين الله؟ ولتصنع على عيني، تحت عين فرعون عدوك وعدوي وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر لأني ألقيت عليك محبة مني ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني." [2]

أما د. وهبة فبيّن أن المحبة التي أرادها الله هي محبة عامة فقال: " وألقيت عليك محبة كائنة مني في قلوب العباد لا يراك أحد إلا أحبك.." [3]، والأرجح أن المحبة هنا خُصِّصَتْ بآل فرعون بدليل قوله تعالى: **﴿... وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾** ، فالمحبة ألقاها الله بقدرته في قلب العدو حتى يحتضن موسى ويرعاه رغم قسوة العدو وطغيانه.

وفي الحديث عن التربية سأقتصر على بعض الأمثلة التي يتبين من خلالها أساليب القرآن في التربية بدءاً بتربية الله لأنبيائه، وفي هذا عبرة لمن بعدهم خاصة وأنهم المعصومون وغيرهم لا !!

ومن هذه الأمثلة:

أ- التدرج: بدا ذلك واضحا في قصة إبراهيم عليه سلم التي وردت في سورة الأنعام.

ب- العتاب: ورد ذلك جليا في سورة عبس.

ت- العقاب: ورد في قصة سيدنا يونس.

ث- الابتلاء: ورد ذلك في قصة سيدنا يوسف.

---

(1) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (319/1)، المحقق سعد فواز الصميل، الناشر دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط5، 1419 هـ.

(2) في ظلال القرآن، (4/ 2335)، مرجع سابق.

(3) التفسير الوسيط، (2/ 1519)، مرجع سابق.

الأسلوب الأول من أساليب القرآن في التربية:

التدرج:

قال **تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام75-79].

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي " نعرّف إبراهيم ونبصره، ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال".[1]

ويبدو أنه استخدم هذا الأسلوب في النظر والاستدلال؛ لأنهم كانوا يعبدون النجوم والكواكب: "فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلهًا". [2]

ولا شك أن التدرج من الأساليب الناجعة في التربية وخاصة العقائدية والتي بحاجة إلى إقناع، والملاحظ في هذه القصة أن إبراهيم دخل إليهم من مفهوم ومعتقد عندهم؛ ليغير هذه القناعات ولعل هذا أقرب الطرق إلى القلوب إذا أراد الله هدايتها.

وهذا الأسلوب لمن الضرورة بمكان للجماعة المنقذة أن تستخدمه في الدعوة إلى الله، كيف لا ؟ وهي التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته، فيجب أن تسلك طريق الأنبياء في الوصول إلى أهدافها وهو إقناع الناس بما تحمل من رسالة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [الأنعام: 75]، أي: "كنا نريه المرة بعد المرة ملكوت السموات والأرض على هذه الطريقة التي يعرف بها الحق، فهي رؤية بصرية تتبعها الرؤية البعيدة العقلية وإنما قال نريه دون أريناه؛ لاستحضار صورة الحال الماضية التي كانت تتجدد وتتكرر بتجدد رؤية آياته"[3].

---

(1) الكشاف المبين عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (40/2)، مرجع سابق.
(2) المرجع السابق، (40/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (516/1).
(3) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (462/7)، مرجع سابق.

وفي الحديث عن التدرج ذكر محمد رشيد رضا قولين، أحدهما: أن ذلك كان في مقام النظر والاستدلال لنفسه، والآخر: في مقام المناظرة والحجاج لقومه ثم بيَّنَ أن الجمهور جزم أنه كان مناظرا لقومه"[1].

وأنا مع الرأي الثاني؛ لأن الله ﷻ عصم أنبياءه من عبادة غيره، فكيف يكون ذلك مع إبراهيم خليل الله وقد آتاه الله الحجة، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام: 83]، فهذا دليل على المناظرة والحجاج لقومه لا الاستدلال لنفسه والله أعلم.

وفي هذا قال محمد الطاهر بن عاشور[2]:

"فهذه الرؤية الخاصة –التي اهتدى بها إلى طريق عجيب فيه إبكاتٌ لقومه، ملجئ إياهم للاعتراف بفساد معتقدهم– هي فرع من تلك الإراءة التي عمت ملكوت السموات والأرض، وقوله: ﴿...**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: 78]، دليل أنه كان سائرا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب".[3] وهذا دليل آخر أنه كان في مقام المناظرة وإقامة الحجة عليهم.

فقد انتقل إبراهيم عليه السلام من إبطال ألوهية الكوكب إلى إبطال ألوهية القمر الأكثر إضاءة.. ومن ثم الشمس... فلما غابت الشمس.. صرّح إبراهيم بعقيدته وتبرأ من شرك قومه[4].

وفي ذلك دليل واضح على استخدام إبراهيم أسلوب التدرج في إقناع قومه.

ونحن في هذه الأيام وقد تعددت الاتجاهات، واختلفت المفاهيم أصبحنا بحاجة ماسة إلى استخدام هذا الأسلوب في التربية العقائدية ومَنْ أَوْلى من الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لإظهار دينه وإعلاء كلمته أن تستخدم هذا الأسلوب وغيره من أساليب التربية لتحقيق رسالة الاستخلاف المنوطة بها.

---

(1) المرجع السابق، (464/7).

(2) هو محمد الطاهر بن عاشور (1296 – 1393 هـ = 1879 – 1973 م)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن.

(3) التحرير والتنوير، (317/17)، مرجع سابق.

(4) انظر التفسير الوسيط، الزحيلي (572/1)، مرجع سابق.

الأسلوب الثاني من أساليب القرآن في التربية:

العتاب:

من خلال الحديث عن هذا الأسلوب سيتبين لنا بوضوح كيف أن الله ﷻ أراد أن يربي الأمة من خلال قائدها محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۝ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾. [عبس1-11].

ذكر القرآن القصة لبيان الهدف منها وهو العتاب الإلهي لسيدنا محمد ﷺ، و في ذلك عبرة وعظة للجماعة المنقذة في حملها للرسالة المنوطة بها وتطبيق المنهاج الرباني، فهي بحاجة إلى هذه المفاهيم؛ لتنطلق بها في التعامل مع الجميع حسب الموازين الإلهية بعيداً عن الموازين الأرضية، وكلنا يعلم أن الميزان الإلهي الذي يجب أن نزن به البشر ﴿...**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**...﴾ [الحجرات: 13].

"والحقيقة التي استهدف هذا التوجيه إقرارها هي: أن يستمد الناس في الأرض قيمهم وموازينهم من اعتبارات سماوية.. آتية لهم من السماء غير مقيدة بملابسات أرضهم، ولا بمواضعات حياتهم ولا نابعة من تصوراتهم.. "[1]

ومن خلال الآيات يتبين " أن توجيه الخطاب بضمير الغائب تكريم للرسول ﷺ وحماية لذاته الشريفة من أن يُواجَه بالعتاب واللَّوْم.. وبعد أن تلقى تلك اللفتة الكريمة الرحيمة عن ربه ويراجع نفسه عليه يأتيه الخطاب موجهًا له: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾.[2]
وأنا أميل إلى هذا التفسير وليس كما قال د. وهبة: أن " كلا (كلمة ردع وزجر) "زجرًا للمُخاطَب عن الشيء المُعاتَب عليه"[3] ولعلي هنا أقول لا مانع بأن نحرص على دعوة الناس بكل شرائحهم والتعامل معهم، ولكن ليس على حساب أداء الرسالة ولا نَدَعْ لهذا الأمر أن يستنزف أوقاتنا.

---

(1) في ظلال القرآن سيد قطب (3823/6)، مرجع سابق.
(2) التفسير القرآني، المؤلف عبد الكريم يونس الخطيب (1448/16)، دار الفكر العربي، القاهرة.
(3) التفسير الوسيط، الزحيلي (2822/3)، مرجع سابق.

الأسلوب الثالث من أساليب القرآن في التربية:

العقاب:

في بداية الحديث عن هذا الأسلوب يجب أن نؤكد على أمرين:

الأمر الأول: أننا لا نستطيع القول أن العقاب كان على خطأ لأن الأنبياء معصومون، ولكن مخالفة الأَوْلى.

الأمر الثاني: أن العقاب كان عقاب المُحِبّ، وفي ذلك أيضاً عبرة للجماعة المنقذة في الصبر في طريق الدعوة، وكذلك في استخدام هذا الأسلوب في التربية.

قال تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: 87-88]

قوله تعالى: ﴿**مُغَاضِبًا**﴾ "إشارة إلى أنه استجلب المغاضبة واستعجلها.. وأنه لم يصبر الصبر المطلوب من الأنبياء..وظنّ أن لن نقدر على محاسبته على هذا الموقف وعقابه عليه." [1] وأنا أعتبر أن هذا لم يكن غفلةً من يونس عن قدرة الله ولكن ظناً منه لمكانته عند الله ﷻ أن الله لن يعاقبه، وفي دعاء يونس عليه السلام: ﴿. . .**إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ...**﴾ [الأنبياء: 87] "اعترافاً منه بأنه تصرّف تصرفاً يُعد خلاف الأَوْلى لخروجه دون إذن من ربه ".[2]

ولقد بيّن سيد قطب أن العقاب كان بسبب أن يونس لم يصبر على تكاليف الرسالة وأن في ذلك درس لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتأملوه، وعبرة ينبغي أن يتدبروها، وفي رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه بشرى للمؤمنين[3].

ولعلي أستوحي من قصة يونس عليه السلام:

1. أن يونس عليه السلام لما فعل ذلك كان موقنًا بمكانته عند ربه ولذلك لم يتوقع الحساب.
2. أن الله عز وجل في عقابه له كان رحيماً به - ولا مجال للتشبيه- كالأم التي تعاقب ابنها وهي مشفقة عليه، ولذلك كان عقاب الله له حفظًا ورعاية في بطن الحوت، فالنتيجة يمكن أن تكون غير ذلك؛ إما غرق في البحر أو ليهضمه الحوت، ولكن رعاية الله أحاطته.

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (9/ 945)، مرجع سابق.

(2) انظر الوسيط للزحيلي (2/ 1610)، مرجع سابق.

(3) في ظلال القرآن (2294/4) بتصرف، مرجع سابق.

3. والرعاية الربانية أحاطته بعد أن لفظه الحوت فأنبت عليه شجرة من يقطين تحميه من الذباب.

4. أكرمه الله بعد كل ذلك بأن أنعم عليه بإيمان قومه.

الأسلوب الرابع من أساليب القرآن في التربية:

الابتلاء:

ولقد وضح هذا الأسلوب جلياً في قصة يوسف عليه السلام حيث إنه مرّ بثلاثة ابتلاءات:

- الابتلاء الأول:

تآمر إخوته عليه ووضعه في الجب، ولعلّ ذلك إرادة الله ليتحقق المفهوم التربوي "ولتصنع على عيني".

- الابتلاء الثاني:

مراودة امرأة العزيز له، وهذا الابتلاء أصعب من الأول؛ حيث إن فيه إثارة شهوة، والشهوة عادة تكون محببة إلى نفس شاب في سنه، ولكن الابتلاء ليوسف كان في مدافعة هذه الشهوة، ولقد نجح في الاختبار " رغم هذا الشباب المتفجر فيه والدماء الحارة في عروقه، فقد اعتصم بدينه واستمسك بمروءته فلم يقبل هذه الدعوة الآثمة... معتبراً أن هذا الفعل إضافة إلى أنه عصيان لله وتعد لحدوده، فهو كذلك خيانة للمروءة وإنكار لإحسان هذا السيد الذي رباه".[1]

- الابتلاء الثالث:

دخوله السجن وقد نجح في الابتلاء حينما قال: ﴿... رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...﴾ [يوسف: 33]، مفضلاً السجن على ارتكاب المعصية.. ولقد كان هذا الابتلاء تربيةً وإعداداً يسبق التمكين الذي أكرمه الله به بعد ذلك..

وإن المتابع لترتيب الأحداث في قصة يوسف: " يرى من الدلائل على أنواع من قدرة الله وحكمته وتوفيق أقداره، ولطفه بمن اصطفى من عباده، وتربيته لهم، وحسن عنايته بهم... فما من حلقة في هذه السلسلة إلا وكان ظاهرها محرقًا وباطنها مشرقًا، وبدايتها شرًا وخسرًا وعاقبتها خيرًا وفوزًا".[2] ولقد فصّل سيد قطب في حديثه عن المحن التي تعرَّض لها يوسف عليه السلام قائلاً: " فالمحنة الأولى: أنه بِيع بَيع الرقيق، والمحنة الثانية والتي هي أشد من الأولى؛ إنها محنة التعرض

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (6/ 1253)، مرجع سابق.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا(214/12)، مرجع سابق.

للغواية في جو القصور وفي جو ما يسمونه الطبقة الراقية وما يغشاها من استهتار وفجور ويخرج يوسف منها سليمًا معافى في خلقه وفي دينه؛ ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها".[1]

إن الملاحَظ في الأمثلة السابقة أنها كانت تربية ربانية للأنبياء – عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام– فهم الذين صُنعوا على عين الله ورعايته، وهم الذين مَثَّلوا القدوة لأقوامهم، وما زالوا يمثلونها لمن حمل الرسالة من بعدهم وحتى يوم القيامة، وقد قال الله ﷻ فيهم: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ...**﴾ [الأنعام: 90].

فقد كان أحدهم بأمة؛ولذلك فإن التربية لغيرهم لا يمكن أن تكون تربية حقيقية متكاملة إلاَّ في جماعة؛ فالجماعة لها دور في تصحيح البناء النفسي والأخلاقي للإنسان؛ ولهذا كان لابد من ذِكْر نماذج في التربية الجماعية وردت في القرآن:

1. قصة طالوت.
2. غزوة أحد.
3. حادثة الإفك.

المثل الأول: قصة طالوت:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ**

(1) انظر في ظلال القرآن، (1978/4)، مرجع سابق.

الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 246-251]

وقد كان الاختبار في مرحلتين:

المرحلة الأولى:

أ- حينما طالب بنو إسرائيل نبيهم أن يسمح لهم بالقتال فاختبرهم فلم ينجحوا في الاختبار، ﴿...**تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**...﴾ [البقرة: 246].

ب- حينما أخبرهم نبيهم أن القيادة ستكون لطالوت فكان الاحتجاج من الفئة التي نجحت في الاختبار الأول لكنهم قبلوا قيادته على غضاضة.

المرحلة الثانية:

أ- حينما فصل طالوت بالجنود فأراد أن يختبر صبرهم وثباتهم؛ فكان الاختبار الأول ﴿...**إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ**...﴾ [البقرة: 249]، فلم ينجحوا في الاختبار إلا القليل منهم.

ب- فلما اقتربوا من مرحلة لقاء العدو، تراجع الكثير منهم خوفا من لقاء جالوت وجنوده وتبيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾ [البقرة: 249] ونجح في الاختبار القلة المصطفاة الذين قالوا: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً غلبت فئة كثيرة بإذن الله**...﴾[البقرة:249].

هذا اليقين الذي تحقق عند هذه الفئة، كان له دور في تحقيق النصر، وقد اقترن بالدعاء أن يثبتهم الله ويفرغ عليهم صبراً، ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ**...﴾ [البقرة: 251]، والملاحظ أنهم تعرضوا لعدة اختبارات والتي من خلالها استطاع طالوت أن يتعرف على مدى الصبر وقوة الإرادة التي تميز بها من ثبتوا، "الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات وتصمد للحرمان والمشاق وتستعلي على الضروريات والحاجات وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها". [1]

وتتلخص الدروس التربوية من هذه القصة في عدة نقاط:

1. أن الحماسة الجماعية قد تخدع بعض المربين أو القادة لو أخذوا بظاهرها لذلك يجب أن توضع تحت الاختبار.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (1 / 268)، مرجع سابق.

2. ينبغي للقائد أن يتحلى بقوة الرأي والجسم، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ...﴾ [البقرة: 247].

3. الثقة بوعد الله والثبات وعدم التزعزع، قال تعالى: ﴿..كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً...﴾[البقرة: 249]. (1)

المثل الثاني: غزوة أحد:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران142-144].

إن المتتبع لأحداث غزوة أحد الوارد ذكرها في سورة آل عمران يجد أن الله ﷻ وهو قادر على نصر الجماعة المؤمنة لم ينصرهم تربية لهم وتهذيبًا فالله ﷻ قال مبينًا قدرته على تحقيق النصر: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: 160].

إذن!! فما الحكمة من عدم تأييده لهم مع أنه قبل ذلك نصرهم في بدر وقد كانوا قليلا مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس ؟؟

كانت الإجابة في الآية التي سبقتها قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾[آل عمران: 141]

فالتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز وهي عملية تتم داخل النفس وفي مكنون الضمير ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة والتجرد والخلاص من الشح والحرص.. ثم إذا هو يكشف على ضوء التجربة العملية وفي مواجهة الأحداث الواقعية.. أنه يتهيأ لمثل هذا المستوى من الضغوط. (2)

---

(1) انظر: التربية الجماعية في الإسلام " دراسة تأصيلية "، نايف بن محمد بن عديان القرشي، رسالة ماجستير (63، 64)، إشراف الأستاذ الدكتور: حامد بن سالم الحربي، جامعة أم القرى. مكة المكرمة. كلية التربية، 1430هـ 2009م.

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (482/1، 483)، مرجع سابق.

إذن الهزيمة كانت ابتلاء من الله لهذه الجماعة وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿...مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ...﴾ [آل عمران: 152].

"فالنفوس تكتسب من العافية الدائمة والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة وذلك مرض يُعَوِّقُها عن جَدِّها إلى الله، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته، قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المر من العائق عن السير الحثيث إليه." (1)

ولقد جاءت الآيات المتحدثة عن غزوة أحد ضمن آيات تتحدث عن التزكية للنفس وعن التقوى وكظم الغيظ إلى غير ذلك من المفاهيم التربوية للارتقاء بالنفس والتعالي على الشهوات.

"فالقرآن لم يعقب على المعركة الحسية في الميدان فحسب بل جاء التعقيب شاملا للمعركتين: الحسية داخل الميدان والمعنوية داخل النفس.. فإن لم يحقق النصر على شهواته محال أن يحقق النصر في ميدان القتال على الأعداء"(2).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ... ﴾ [آل عمران: 144]، تربية عقائدية للجماعة المؤمنة فالله عز وجل "أراد أن يفطمهم عن تعلقهم الشديد بشخص النبي ﷺ وهو حي بينهم ويصلهم بالعروة الوثقى التي جاء بها محمد ﷺ، ليعقد بها أيدي البشر ثم يدعهم عليها ويمضي وهم بها مستمسكون." (3)

"ولقد جاء هذا النص القرآني يخاطب الجماعة المسلمة بأجيالها المتعاقبة بأن يكون تعلقهم بالحي الذي لا يموت لأنهم أمة أتباع مبادئ لا أتباع أشخاص." (4)

ولنعلم أن الابتلاء كان تهذيبًا ولم يكن عقابًا، وكان تربية وارتقاء بل ورفعًا لدرجات الثلة المؤمنة التي يعدها الله لقيادة البشرية وقد وضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾، ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾.

نعم "إنما هي تربية الجماعة المسلمة التي تُعَدُّ لتسلُّم قيادة البشرية، وأول ما تقتضيه هذه القيادة: صلابة في الخلق، وثبات على الحق، وصبر على المعاناة، ومعرفة بمواطن الضعف ومواطن القوة، ووسائل العلاج." (5)

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية (198/3)، مرجع سابق

(2) التربية الجماعية في القرآن، القرشي (68) .

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (1 / 486)، مرجع سابق.

(4) التربية الجماعية في القرآن، القرشي (68) .

(5) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب (482/1، 483)، مرجع سابق.

إذن هي الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته وإظهار دينه، لتعلم أن ما يمر بها من ابتلاءات وعوائق وتضييق إنما هو إعداد وتمحيص وتربية وارتقاء؛ ليكون بعد ذلك التمكين الذي وعد الله به عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ...**﴾[النور: 55].

المثل الثالث: حادثة الإفك:

الملاحظ من خلال هذه الحادثة أن الله أراد بالمسلمين خيراً، رغم الآلام والمحنة التي عاشها الرسول ﷺ وآل بيته، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿...**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...**﴾[النور: 11].

والمتتبع للقصة بكل ملابساتها يجد أنه كان درسًا قاسيًا للمؤمنين حيث كان لهم دور في نشر الإشاعة دون تثبُّت وقد قال الله ﴿ :عَجَلّيَا **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: 6].

فالمجتمع المسلم ليس ذاك المجتمع الذي يتحرك وتتشكل مواقفه وقناعته من خلال الدعاية والإشاعة والترويج.. وإنما المواقف تنطلق من ثوابت وأصول بلا شك." [1]

ولقد جاء النص القرآني "مستنكرًا على الجماعة المسلمة تصرفها إزاء هذه الفرية العظيمة التي مست بيت النبوة، فقال تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ [النور: 12] "[2]

ولذلك "أوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلًا يقذف أحدًا ويذكره بقبيحٍ –لا يعرفونه به – أن ينكروا عليه ويكذبوه.. حيث إن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلّها المؤمن، ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع؛ إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولًا." [3]

(1) التربية الجماعية من منظور قرآني، شبكة المشكاة الإسلامية، مقال نُشِر بتاريخ 1428/5/6 هـ
(2) التربية الجماعية في القرآن الكريم، القرشي (71) .
(3) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (6 / 186)، دار الفكر، بيروت 1415 هـ

الدروس التربوية المستفادة من حادثة الإفك: (1)

أ- إحسان الظن بالمؤمنين قال تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ [النور: 12].

ب- طلب الدليل والبرهان قال تعالى: ﴿**لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النور: 13].

ت- تحذير المؤمنين أن يحوموا حول حمى الشائعات خصوصاً إذا كانت تتعلق بالفواحش.

ث- الحث على التغافر وإشاعة العفو والصفح بين المؤمنين، "وهنا نطلع على أفقٍ عالٍ من آفاق النفوس الزكية، التي تطهرت بنور الله، أفق يشرح في نفس أبي بكر الصديق ﷺ الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه.. فما كاد يسمع دعوة ربه إلى العفو حتى يرتفع على مشاعر الإنسان وتشف روحه وترف وتشرق بنور الله ﷻ فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق." (2)

وكما أن ذلك كان درسا للجماعة الأولى فهو درس بل دروس للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإظهار دينه وتحقيق الأمن والأمان في المجتمع المسلم.

ومن خلال حديثنا عن التربية في القرآن، وأهميتها نؤكد على أمر؛ " أنه إذا كانت الجماعة لازمة في التشريعات التي يمكن أن تقع بصورة فردية، من صلاة وحج... الخ، فإنه من باب أولى وألزم في تلك التي لا تقع ولا تتم كاملةً إلا بالجماعة؛ كالدعوة، والتربية، والجهاد، وعمارة هذا الكون، والسيادة فيه "(3).

(1) انظر التربية الجماعية في القرآن الكريم، القرشي (71) .
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (2505/4)، مرجع سابق.
(3) شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، السيد محمد نوح (50).

المبحث الثالث
الشمولية والتكامل

وفيه خمسة مطالب:

المبحث الثالث

الشمولية والتكامل

في الحديث عن الشمول والتكامل في حياة الجماعة المنقذة لابد من معرفة أنها استمدت هذه الصفة من الرسالة التي حملت ولذلك من البديهي أن تصطبغ بصبغة هذه الرسالة، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ [البقرة: 138]، مبيناً لنا أن الشريعة تشمل كل ما يتعلق بحياة الفرد وحياة الجماعة على صعيد العلاقات الأسرية والمجتمعية والدولية، والحياة الاقتصادية والسياسية والقضائية والعسكرية... إلى غير ذلك.

لكني في هذا المطلب المتواضع سأقتصر في الحديث عن بعض مظاهر الشمول والتكامل في حياة الجماعة المنقذة التي تحتاجها لأداء مهمة الإنقاذ للبشرية بصفة خاصة، ومن ثَمَّ تحقيق الاستخلاف الذي أراده الله من تحكيم شرع الله وعمارة الأرض، " فحمل الرسالة يبدأ بالإدراك والفهم والفقه و ينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعلم الواقع "[1]

وهذه المظاهر تتلخص في المطالب الآتية:

1) العلم.

2) العمل.

3) الجهاد.

4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5)الأخلاق.

ولا شك أن هذه المواصفات لمن الأهمية بمكان للجماعة المنقذة في أداء رسالتها و لها دور فاعل في تحقيق العز والنصر والتمكين قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ...**﴾ [الحج: 41].

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (3567/6)، مرجع سابق.

المطلب الأول: العلم

أثناء الحديث عن الشمولية والتكامل التي اتصفت بها الجماعة المنقذة والتي هي من الأهمية بمكان لتحقيق رسالتها، منبثقة من المنهج الشامل المتكامل الذي طبقه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فدانت لهم الدنيا ليس لذواتهم؛ ولكن لما يحملون من منهج رب العالمين.

من هنا كان لابد من التطرق لصفةٍ كان لها دورٌ في تفوُّق الأفراد والمجتمعات على مدى العصور؛ ألا وهي العلم.

وحينما نأتي إلى ربط العلم بالتفوق فنجد أن آدم عليه السلام تفوَّق على الملائكة بالعلم في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ...**﴾ [البقرة: 31-33]، وكان هذا العلم من مؤهلات الخلافة ومتطلباتها، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...**﴾ [البقرة: 30].

وفي ذلك يقول ابن القيم: مبيناً فضل العلم من هذه القصة:

1- أن الله ﷻ يعلم من بواطن الأمور وحقائقها ما لا يعلمونه: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ .
2- أن الله ﷻ ميّز آدم عليهم بالعلم فعلّمه الأسماء كلها.
3- أن الله ﷻ أظهر لهم أن العلم أشرف ما في الإنسان، وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم"[(1)].

والمتتبع للعلم وورده في القران؛ يجد أنه بمشتقاته ورد ثمانمائة وست وخمسون مرة، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أهمية العلم بل واهتمام القران بالعلم وأهله.

وإن المتتبع للآيات التي تحدثت عن العلم يلاحظ ما يلي:

1- بيان فضل العلم والعلماء:

قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ...**﴾ [آل عمران: 18].

فالله تعالى هو العليم، والعلم هو من أجل نعم الله تعالى على عباده وهو الذي تُرجح به موازين الناس وترتفع منازل بعضهم على بعض... وإنه ليكفي العلم قدراً وجلالاً أن يرفع الله قدر أهله بل ويقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته[(2)].

---

(1) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (1/ 48، 49)، دار الكتب العلمية . بيروت
(2) انظر التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (597/11).

2- ارتباط العلم بالتفكُّر:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

فهذه الآيات الست تدل على أن الله تعالى استدل بخلق الإنسان على وجود الصانع[1] وهذا دليل على ارتباط العلم بالتفكر، فقد تضمنت تلك الآيات الأمر بالقراءة مفتاح العلم وبيان خالق الإنسان وبعض مظاهر قدرة الله تعالى على الإنسان[2].

3- ارتباط العلم بالتقوى:

قال تعالى: ﴿...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ...﴾ [البقرة: 282]، أي: " أن تقواه تفتح قلوبهم للمعرفة، وتهيئ أرواحهم للتعليم "[3]، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ...﴾ [الحديد 28]، ولا شك أن النور هو البصيرة، والتي لا تتأتى إلا بالعلم.

وفي هذا المقام قال الشافعي[4] يوم أن شعر بأن ذاكرته ضعفت، وشكا إلى أستاذه، وكان اسمه وكيع وذكر القصة في أبيات شعر قائلا:

شـكوت إلـى وكيـع[5] سـوء حفظـي
فأرشـدني إلـى تـرك المعاصـي
وبـين أن العلـم نـور
ونـور الله لا يـأتي لعاصـي

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي (328/1).

(2) الوسيط للزحيلي (2902/3).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (1 / 337)، مرجع سابق.

(4) الشافعي (150 - 204هـ، 767 - 820م)، محمد ابن إدريس بن العباس الشافعي، ولد بمدينة غزة بفلسطين، حيث خرج والده إدريس من مكة إليها في حاجة له، فمات بها وأمه حامل به، فولدته فيها ثم عادت به بعد سنتين إلى مكة. حفظ القرآن بها في سن السابعة وحفظ موطأ مالك في سن العاشرة، ويعد الشافعي أول من ألّف في علم أصول الفقه.

(5) وكيع بن الجراح (129 - 197 هـ = 746 - 812 م)، حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره، له كتب، منها «تفسير القرآن» و «السنن» و «المعرفة والتاريخ» و «الزهد ».

وبالتأكيد على هذا المفهوم يقول الإمام الشوكاني[(1)]:

" واتقوا الله – في فعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه– ويعلمكم الله ما تحتاجوه من العلم؛ وفيه الوعد لمن اتقاه أن يعلمه "[(2)].

بل إن التقوى هي: " سبيل التذكر التام بالحق وطريق الحصول على العلوم والمعارف المفيدة في الحياة "[(3)].

4- ارتباط العلم بخشية الله:

يقول الحق تبارك وتعالى؛ مبيناً أن العلم طريق وسبيل إلى خشية الله: ﴿. . .**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ وهذا القصر على العلماء له دلالة عظيمة على ارتباط العلم بالخشية ولهذا نجد الرسول ﷺ يقول: " **فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ** "[(4)]، مبيناً فضل صاحب العلم على كثير العبادة، وأعتقد أنه أراد أن عبادة العالِم لله تكون عن علم بالله وقدرته ويكون علمه دافعاً له إلى خشية الله.

بل إن العلوم الدنيوية أيضاً والتعمق فيها تدل العالم وتقوده قَوْدا إلى معرفة الله ﷻ ومن ثم خشيته.

وقد وردت آيات كثيرة في القران الكريم تدل على ذلك نذكر منها للمثل وليس للحصر:

- قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 27-28].

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي (1173هـ . 1250هـ، 1759-1834م)، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ببلدة شوكان باليمن ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، وجد في طلبه فأكثر من المطالعة والحفظ والسماع، حتى صار عالمًا كبيرًا يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان. اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد بعد أن اجتمعت فيه شرائطه كاملة. ترك مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وسلامة منهجه. كثر خصومه كما كثر المعجبون به بسبب دعوته إلى الاجتهاد والتجديد. توفي بصنعاء بعد عمر زاخر بالعطاء.

(2) فتح القدير، الشوكاني (348/1)، مرجع سابق.

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (164/1)، مرجع سابق.

(4) سنن الترمذي (5 / 50 / 2685) كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، صححه الألباني.

- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 97].
- قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22].

الملاحظ في هذه الآيات: أنها تناولت علم الجيولوجيا في الآية الأولى، وفي الثانية علم الفلك، وفي الثالثة علم الكون وعلوم الإنسان؛" فالعلماء هنا ليسوا علماء الدين وفقهاء الشريعة ولكن الذين يعرفون عظمة الله من خلال معرفتهم بالسماء وعلم الفلك والجبال وعلم الأرض ومن خلال هذه المعرفة الحقيقية يخشون الله.

5- ارتباط العلم بالتمكين:

وفي قصة يوسف مثل رائع لهذا المفهوم حينما استدعاه الملك وقال له بعد تفسيره للرؤيا ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾ وقد دل هذا التفسير على علم وعلى تخطيط اقتصادي لم يكن له مثيل استدعى الملك أن يتخذه مستشارا له ومن خلال القصة تبين أمران لهما دور في التمكين هما العلم والأمانة.

وفي هذا يقول د. يوسف القرضاوي: وعبارة "حفيظ عليم" تعني صنفين لا غنى عنهما في أي منصب، **فالحفظ** يعني الأمانة التي تحفظ بها الحقوق والأموال وتصان ولا تنهب ولا تسرق ولا تتعرض للضياع و**العلم** يعني الخبرة والكفاية فيما يسند إليه بحيث نستطيع أن نعرف مداخل الأمر ومخارجه ولا يكون مجرد أداة في يد غيره من العارفين والخبراء"[1].

6- ضرورة العلم لأي منصب قيادي:

وقد وضح ذلك جلياً في قصة طالوت حيث إن الاختيار والاصطفاء كان على أسس وعلى رأس هذه الأسس العلم، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة: 247].

وهذا دليل على اشتراط العلم في الملك حيث إنه تحصل به المكنة والنفاذ[2].

(1) كتاب العقل والعلم، ص123.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (418/3)، دار الكتاب الإسلامي. القاهرة .

من خلال الآيات التي وردت؛ نجد ارتباط العلم بكل فضيلة، وهو الطريق إلى الإيمان، والى النصر والتمكين، وهو الطريق إلى وحدة الأمة.

يقول الأستاذ محمد احمد الراشد:

"إن الأمة إنما بقيت حية نابضة القلب، بحياة العلم الشرعي وحياة العلماء، فالوارث لهم يستشعر وحدة الأمة في كل أجيالها وأنها طبقات متصلة مجتمعة حاضرة غير منتظمة ولا متفرقة ولا غائبة[1].

ومع أنه في حديثه هذا قصر الأمر على العلم الشرعي؛ فإنني أقول: إن وحدة الأمة نتحقق بكل أنواع العلوم إن ارتبطت بتقوى الله والتمسك بأخلاق الإسلام ولقد تبين ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿. . .**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...**﴾ [المجادلة: 11].

إذن هو العلم، والذي هو من الضرورة بمكان أن تتصف به الجماعة المنقذة لتواجه الغزو الفكري، ومن خلاله تكون قادرة على إقناع الناس بالفكر الإسلامي الذي تحمل، ولن يكون ذلك إلا من خلال تحقيق العلم بأقسامه

أ. الشرعي: والذي من خلاله يكون أفراد الجماعة قادرين على الاجتهاد المتوازن.

ب. الدنيوي: بكل أقسامه ليكون لهم دورهم البارز في التغيير، من خلال المشاركة في النقابات، أطباء، مهندسين، محاسبين، محامين، معلمين.

ت. العلم بأيدلوجيات الآخرين ومستوى تفكيرهم: ومن خلال هذا تمتلك المفاتيح لمناقشتهم ومجادلتهم وإقناعهم.

ث. العلم بأصول القيادة: فالجماعة المنقذة الرائدة تضع نصب عينها الارتقاء بأفرادها– وخاصة من هم على رأس العمل وفي المواقع القيادية– على صعيد فن التواصل، والتخطيط والتنظيم، وتحرص أن يكون أبناؤها نِعمَ المثل والقدوة في تطبيق الإسلام، وفي الإدارة، وفي بناء العلاقات مع أبناء المجتمع.

وقد كانت حياه الرسول ﷺ زاخرة بهذه المفاهيم وكان حريصا على تعليم أصحابه بالقدوة والمعاملة وبضرب المثل محققاً قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**. . .﴾ [الأحزاب: 21].

(1) رسائل العين (رسالة نحو المعالي)، (47)، دار البشير للثقافة والعلوم.

ولا أنسى وأنا أتحدث عن العلم والاهتمام أذكر الشيخ أحمد ياسين[1]، والذي كان له اهتمام واضح، ودور بارز في الارتقاء بالشعب الفلسطيني عامة، وأبناء الجماعة خاصة؛ من خلال إنشاء المؤسسات العلمية؛ بدءاً برياض الأطفال والتي يُحتضن فيها الطفل احتضاناً علمياً إسلامياً يتلقى فيها العلوم الدنيوية المرتبطة بالإسلام والأخلاق، مروراً بالمدارس، والتي حرص الشيخ أحمد ياسين من خلالها على الارتقاء بالطالب علمياً وأخلاقياً، ثم كانت الجامعة الإسلامية؛ والتي استوعبت أبناء الشعب الفلسطيني ليتلقوا فيها العلم الأكاديمي بكل التخصصات، مرتبطاً بالعلوم الإسلامية التي تزيد الطالب معرفه بدينه، ولقد كان لهذه الجامعة دور في تخريج القيادات الإسلامية التي حملت العلم الشرعي بالإضافة إلى العلم الدنيوي.

وما أظن الشيخ احمد ياسين إلا صاحب بصيرة نافذة وبُعد نظر في فهمه للإسلام بشموليته وتكامله؛ فكما اهتم بالعلم بكل أقسامه واهتم بالإنسان بكل مراحله من الطفولة مروراً بالشباب وحتى الشيخوخة، كذلك كان اهتمامه بالمرأة وعلمِها أيَّما اهتمام، وكان له دوره في دفع المرأة لنيل العلم في كل التخصصات بل وأعلى الشهادات ودفعها آنذاك للعمل في كل المؤسسات وخاصة التعليمية منها، فكان لذلك دور في سحب البساط من تحت أرجل المرأة العلمانية والماركسية وإفساح المجال للمرأة المسلمة في اخذ دورها في بناء الجيل بناءً إسلامياً.

كذلك فقد كان الشيخ أحمد ياسين كقيادي كثير الإطلاع، ملماً بكثير من العلوم، وقد نقل عنه الكثير من إخوانه أنه كقائد المجلس مع العسكريين؛ كان يتحدث معهم بفهمٍ للأمور العسكرية وكذلك السياسيين الخ....

وان دلّ ذلك على شيء فيدل على فطنة ذلك الرجل وفهمه لشمولية الإسلام كمنهاج رباني متكامل، كيف لا؟ وهو الذي اقتدى برسول الله ﷺ وكذلك تربى في أكناف هذه الدعوة المباركة وهذه الجماعة التي أخذت على عاتقها حمل رسالة الإسلام.

ولعلي هنا اختم بقول الشاعر [2]:

كـن رابـط الجـأْشِ وارْفَـع رايـة الأمـل

وسِــرْ إلــى الله فــي جَــدٍّ بــلا هَــزَلِ.

---

(1) أحمد اسماعيل ياسين ولد عام 1938 في قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبي قطاع غزة، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام 1948، أسس الشيخ أحمد ياسين مع مجموعة من النشطاء الإسلاميين تنظيماً لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" في قطاع غزة في العام 1987 م، استشهد في عام 2004 م

(2) هو وليد عبد الكريم الأعظمي، وَلد في الأعظمية عام 1348 هـ . 1930 م، نشأ في أسرة محافظة، تخرج في معهد الفنون الجميلة ببغداد من قسم الخط العربي والزخرفة الإسلامية، عضو مؤسس في الحزب الإسلامي العراقي عام 1960 م، من أشهر تلامذته المفكر الإسلامي محمد أحمد الراشد.

وان شَـــعَرْتَ بـــنَقْصٍ فيـــك تَعْرِفُـــهُ

فَغَـــذِّ روحَـــكَ بــــالقرآن واكْتَمِـــلِ[1].

إذن هو فقه الصعود ولن يكون إلا بالعلم "فقه الصعود إلى المعالي يجاوزه التأكيد على الخطة المعرفية ذات البعد الحضاري وأول ذلك ومفتاحه أن ترجع إلى الحروف والسطور فتقرأ ثم تقرأ ثم تقرأ[2]".

فإن لم تكن الجماعة المنقذة التي تحمل رسالة الإسلام وبناء دولة الإسلام حريصة على ذلك فمن يكون؟.

ولنعلم أن العلم وحده هو الذي ورد في القران أمر من الله لرسوله بالاستزادة منه: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْم**﴾.

اللهم زدنا علماً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وقلبا خاشعاً، ولساناً صادقاً ذاكراً، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع ودعوة لا يُستجاب لها.

المطلب الثاني: العمل

إن المتتبع لآيات القرآن التي تتحدث عن العمل يجد التأكيد على أهميته بل وضرورة إتقانه واستشعار مراقبة الله قال تعالى: ﴿ **وقل اعملوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورسوله والمؤمنون و سَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...**﴾ [التوبة: 105]، أي اعملوا "لله بما يرضيه من طاعته، وأدوا فرائضه، ﴿**فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ**﴾، و﴿ **وَسَتُرَدُّونَ**﴾ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظاهرها[3]

إنَّ هذا الأمر الرباني لَهُو دليلٌ على أهمية العمل في الإسلام، بل أهمية الجماعة التي تتبنى هذا الأمر فالله ﷻ قال: ﴿**وقل اعملو**﴾ مخاطباً الجماعة وليس الفرد، ومن خلال الآيات التي ورد فيها ذكر العمل نجد أهمية العمل في الدنيا والآخرة، و أن العمل الدنيوي لا يتنافى والأخروي إذا صلحت النية وكان الإخلاص وكانت المراقبة وقد أكد الرسول ﷺ على ذلك في قوله: " **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**"[4] بل لقد خُلِقَ الإنسان للخلافة وهي لإقامة

---

(1) ديوان الشعاع، وليد الأعظمي (162).

(2) رسائل العين رسالة نحو المعالي محمد احمد راشد (76) .

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (463/14)، مرجع سابق.

(4) صحيح البخاري (1 / 6)، كتاب الوحي، باب كيف بدء الوحي لرسول الله ﷺ .

حكم الله وعمارة الأرض، وهذه هي الرسالة المنوطة بالجماعة المنقذة؛ لإنقاذ البشرية على الصعيد الدنيوي: من الجهل والمرض والفقر وغيرها من الأمور الضرورية للارتقاء بالإنسان، ومن ثم الإنقاذ على الصعيد الأخروي من عذاب الآخرة، وبذلك يتحقق الهدف الرباني وهو عبادة الله بالمفهوم الشامل وفقاً للمنظومة الكونية التي خلقها الله ﷻ وعبَّدها له.

ومن المفسرين[1] من اعتبر أن هذه الآية تأتي في معرض الترغيب والترهيب، ولا شك أن ذلك يأتي في معرض الحديث عن العمل للآخرة، وهذا لا يتنافى مع العمل للدنيا إذا كان مرتبطا بتقوى الله ﷻ "فالعمل أساس السعادة وطريق الأمن والراحة وعزة النفس[2]"

والإسلام منهج حياة واقعية لا تكفي فيه المشاعر والنوايا ما لم تتحول إلى حركة واقعية وللنية الطيبة مكانها، ولكنها هي بذاتها ليست مناط الحكم والجزاء، إنما هي تحسب مع العمل فتحدد قيمة العمل[3].

ولقد حث القرآن على العمل من أجل الكسب فقال تعالى: **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...﴾** [الجمعة: 10]، وذلك حتى يكون الإنسان عزيز النفس يأكل من كد يده ولا يكون عالة على أحد، فقوله تعالى: **﴿... فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ... ﴾**، أمرٌ؛" ومقتضى الأمر هنا الإباحة في طلب المعاش"[4] إن كان للتجارة أو غيرها من الأعمال والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم، وقوله تعالى: **﴿...وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...﴾**؛ أي من رزقه الذي يتفضل به على عباده ما يحصل لهم من أرباح في المعاملات والمكاسب **﴿...وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...﴾** أي ذكرا كثيرا بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي[5]".

إذن هو العمل في الدنيا من أجل الرزق الحلال؛ والذي يجب أن يسعى الإنسان لتحصيله مع التوكل على الله، وقد وضح ذلك في حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: **"لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى**

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي (100/4)، مرجع سابق.
(2) الوسيط للزحيلي (1/ 914)، مرجع سابق.
(3) انظر في ظلال القرآن سيد قطب (3/ 1709)، مرجع سابق.
(4) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (2660/3)، مرجع سابق.
(5) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (371/5)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1/ 1414هـ.

اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا "(1)، وفي هذا تأكيد من رسول الله ﷺ على أهمية السعي لطلب الرزق، والشاهد: (تغدو، وتروح)، ولم يقل في أعشاشها حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره وفي نفس الوقت لايشغله العمل للدنيا عن عبادة الله.

ولقد أثنى الله ﷻ على الرجال الذين لا يلهيهم العمل الدنيوي عن عبادة الله في قوله تعالى: ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ [النور: 37]، وأعتبر أن هذا تأكيد على أهمية العمل لجلب الرزق، وأنه وسيلةً وليس هدفا، حتى يكون المؤمن عزيز النفس، ولا يكون عالة على أحد؛ بل يكون له دور في عزة الأمة وتمكينها من خلال الجهاد بالمال في سبيل الله، كما كان الحال مع عثمان بن عفان ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ حيث كان كل منهما صاحب مواقف في الجهاد بالمال، وقد كان ذلك في غزوة تبوك حيث جهز عثمان بن عفان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدي رسول الله ﷺ ألف دينار فقال رسول الله ﷺ: " **مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ** "، أما عبد الرحمن بن عوف ﷺ فقد أتى بأربعة آلاف درهم وأعطاها لرسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف درهم فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها ربي فقال رسول الله ﷺ: " **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ** " وفيهما نزل قول الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 261] (2).

"فهم رجال ليسوا ماديين نفعيين؛ بل هم قوم ذو همة عالية، وعزيمة صادقة، لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وتقديسه وطلبهم لرضاه، ولا يشغلنهم عن الصلاة وذكر الله شيء من أمور الدنيا(3)"

ولذلك نجدهم يحققون التوازن في حياتهم بين عبادة الله والعمل من أجل المعاش، "التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط

(1) سنن ابن ماجة (2 / 1394) كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (2 / 932) .

(2) السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، ابن كثير _تحقيق: مصطفى عبد الواحد، 1395هـ _1976م، (7/4)_مفتاح دار السعادة ابن قيم الجوزية، (176/1)، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني_(152/1)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط1/1417هـ_1997م.

(3) الوسيط للزحيلي، (1754/2)، مرجع سابق.

وكسب وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو، وانقطاع القلب وتجرده للذكر؛ وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى[1] " **ألا وهي إقامة دولة الإسلام**".

من خلال ما سبق نجد أهمية العمل بالنسبة للأفراد، وكذلك بالنسبة للجماعة المنقذة؛ التي أخذت على عاتقها إنقاذ البشرية على الصعيدين الدنيوي والأخروي.

نعم إنها الأمانة الكبرى والرسالة العظمى التي لا يكون تحقيقها إلا بالعمل ثم العمل ثم العمل، وإن المتتبع لسيرِ الأنبياء يجدهم كانوا يعملون للآخرة، كذلك فإن معظمهم كان له حرفة وعمل فإدريس كان خياطاً، ونوح كان نجاراً وداود كان زرَّاداً وسيدنا محمد كان راعياً ثم تاجراً عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، إذن ليس من الغريب أن نجد أحاديث كثيرة وردت عن رسول الله ﷺ يحث فيها على العمل بل إن سيرته زاخرة بمواقف تدلل على اهتمام الرسول ﷺ بالعمل ففي قوله ﷺ: " **العمل عبادة**" [2] ليؤكد على أن العمل لا يتنافى مع عبادة الله؛ بل هو جزء لا يتجزأ منها؛ ألم يقل الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:56].

كذلك فإن إنشاء رسول الله ﷺ للسوق -أول وصوله المدينة- لهو دليل على اهتمامه بالعمل وقوله ﷺ: " **لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود أو تروح بطانا** "[3]، تأكيداً على أن التوكل على الله مرتبط بالعمل وليس بتركه.

بل إن رسول الله ﷺ أكد على استمرارية العمل مهما كانت الظروف؛ فها نحن نجده يقول: "**إذا قامت القيامة على أحدكم وبيده فسيلة فليغرسها**"[4].

فهل بقي عذر بعد ذلك لأي فرد في هذه الأمة في أن يترك العمل بحجة التوكل على الله، وإن كان هذا للأفراد فهو أولى للجماعة المنقذة المنوط بها رسالة عظيمة وهي العمل من أجل إنقاذ البشرية ومن ثَمَّ النهوض والارتقاء لتحقيق العزة والتمكين.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب(3570/6).

(2) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، فخر الدين الزيلعي، والحاشية لشهاب الدين الشِّلبي (4 / 226)، ط1 . 1313 هـ، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة.

(3) سبق تخريجه، ص (157).

(4) مسند أحمد، مؤسسة الرسالة (20 / 251)، قال الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم.

ومن خلال الآيات نلاحظ أن هناك قسمين من العمل عمل صالح وعمل سيء ولا شك أن الجزاء على حسب العمل قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، وفي المقابل قال: ﴿...اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ...﴾[فاطر:43]

كذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7- 8]

وفي آيات كثيرة تحدث عن الأعمال بشطريها وفتح باب التوبة للمسيء حتى يتوب إلى الله ﷻ فعلى سبيل المثال قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 102].

ولا شك أن العمل الصالح إن كان للكسب أو متعلق بالعبادات فهو المنبثق من شرع الله ﷻ ويسير تحت هذه المظلة الشرعية التي أرادها الله تعالى، وأما العمل السيئ فكل عمل يتنافى مع شرع الله؛ إما بكسب حرام يتنافى مع الكسب الحلال، كالربا وتجارة المخدرات... إلخ

وإما عمل معنوي وفكري يراد به محاربة الإسلام أو تشويهه؛ كما نرى ما يحدث في أيامنا هذه، كيف تحاك المؤامرات لطمس الإسلام ولقد بين الله ﷻ ذلك في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ [التوبة: 32]، فنجد المؤامرات على الصعيد الإعلامي والسياسي والعسكري من أجل هدم الإسلام، ولكننا متفائلون بقول الله تعالى: ﴿...وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32]، وفي نفس الوقت يجب ألاَّ نغفل عن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ [التوبة: 33] مؤكداً على ضرورة الأخذ بالأسباب والعمل.

إذن على الجماعة المنقذة أن تعمل على ترسيخ مفهوم العمل الصالح بين أفراد المجتمع، ومحاصرة وتقليص بل وعدم إتاحة الفرصة للعمل السيئ وأهله ولن يكون ذلك إلا بالعمل الدؤوب على كل صعيد من أجل تحقيق مهمة الإنقاذ المنوطة بها، ومن ثَمَّ بناء دولة الإسلام.

العمل والإبداع:

لقد أنعم الله ﷻ على أهل فلسطين بالعمل على صعيد الأنفاق، حيث تكالب الشرق والغرب على محاصرة أهل غزة للتضييق عليهم و لتركيعهم ولإجبارهم على التنازل عن ثوابت الأمة وثوابتهم، ولكن هيهات فإن الله ﷻ قال في كتابه العزيز ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾[العنكبوت: 69]

﴿...وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40]، نصروه في مقارعة العدو والذود عن الأمة فنصرهم الله بكسر الحصار؛ فتح الله لمجاهدي فلسطين السبل في باطن الأرض.

فكانت الأنفاق وكان جلب الرزق وكل متطلبات الإنسان في الحياة؛ على الصعيد الصحي فبالإضافة إلى جلب الدواء أيضا جلب الأجهزة الحديثة الصحية لتجهيز المستشفيات وكان لذلك دور في إنقاذ المرضى، وعلى الصعيد التعليمي كان جلب المواد التي يحتاجها المعلم والمتعلم من قرطاسية وأدوات لتجهيز المدارس... فكان الإنقاذ من الجهل بل الارتقاء العلمي، وعلى الصعيد السياسي فكان للأنفاق دور في تحقيق القوة السياسية في كسر الحصار الذي فرض.

وعلى الصعيد الاقتصادي:

- إحضار المواد الأولية التي تحتاجها الزراعة فزاد الإنتاج الزراعي
- تفعيل التجارة من خلال الأنفاق وفي هذا انتعاش الاقتصاد داخل غزة وعلى الصعيد المصري.
- البترول وتغطية احتياجات الشعب الفلسطيني للمواصلات كذلك وما تحتاجه محطات الكهرباء من البترول وفي هذا تفعيل للمصانع والمخابز وغيرها.
- كذلك فإن العمل في الأنفاق والتجارة من خلال الأنفاق كان ولا يزال له دور فاعل في كسر الاقتصاد الصهيوني حيث كانت غزة قبل الأنفاق سوقا استهلاكياً للصهاينة، فأصبح الأمر يختلف.
- الارتقاء العمراني من خلال مواد البناء والتي لها دور في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات بالإضافة إلى المجمعات السكنية التي حلت الكثير من مشاكل السكن وخاصة بعد الدمار الذي طال غزة في الحروب.

إذن كان للعمل دوره في تحقيق العزَّة، وكان هذا العمل وما يزال درب من دروب الجهاد، حيث أن العاملين لا يفترون عن العمل ليل نهار، ولقد استشهد عدد لا بأس به من العاملين؛ من خلال ردم الأنفاق أثناء العمل أو الصعقات الكهربائية أو الضربات العسكرية التي تستهدف الأنفاق.

وهذا جزء من رسالة الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله عَزَّوَجَلَّ لحمل رسالته ورفع رايته وإعلاء كلمته، عن طريق توفير سبل الحصول على الموارد الاقتصادية.

المطلب الثالث: الجهاد

إذا كان الحديث في الفرعين السابقين قد تناول صفتين مهمتين لهذه الجماعة، وهما العلم والعمل فالحديث الآن عن الجهاد والذي هو رأس سنام الإسلام و به تعِزُّ الأمة وتكون لها مكانتها بل صفة من صفات الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿...فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ...﴾ [المائدة: 54]، إنه" اختيار الله لهذه العصبة المؤمنة؛ لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر" [1]، ولن يتحقق ذلك إلاَّ بالجهاد، وفي قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، أي يحبهم الله لتواضعهم وخشوعهم وأخلاقهم وسمتهم الحسن وجهادهم في سبيله؛ لإعلاء كلمته وإعزاز دينه ﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ... ﴾، هذه الذلة والتواضع فيما بين المؤمنين ليس هوانا؛ وإنما رحمة ورفقا ولينا بين المؤمنين وذلك هو سبب ترابطهم ووحدتهم وقوتهم وبذلك تكون العزة: ﴿...أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ وبهذا الترابط تكون القوة والوقوف في وجه الأعداء والذب عن حياض الإسلام ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ وقد ربط المفسرون [2] بين هذه الآية وما ورد في قوله تعالى: ﴿. . .أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ...﴾ [سورة الفتح: 29].

وأما شدتهم على الكفار فليس لشيء؛ إنما من أجل إعادتهم إلى عبادة الله ومنعهم من الفساد والاستكبار وكما قال تعالى: ﴿. . .حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه...﴾ [الأنفال: 39]، و"المقصود بأن يكون الدين كله لله؛ أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله اسم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه"[3]، وهذا الجهاد يعتبر" من أهم مقتضيات الولاء والبراء حيث أنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان"[4].

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب_(917/2)، مرجع سابق.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري_(422/10)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير_(136/3)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا_(364/6)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (2252/5)، دار الفكر العربي.

(3) كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية (22/1)، مرجع سابق.

(4) كتاب الولاء والبراء في الإسلام، المؤلف محمد بن سعيد بن سالم القحطاني (289/1)، تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الناشر: دار طيبة، الرياض– السعودية ط1.

وإن المتتبع لآيات القرآن المتحدثة عن الجهاد يلاحظ أهمية الجهاد في عدة أمور:

1. تحقيق الاستخلاف:

بيّن الله ﷻ أهمية الجهاد في تحقيق النصر والتمكين ومن ثم إقامة شرع الله فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: 41]، وهذا دور الجماعة المنقذة التي اختارها الله لهذه الرسالة "أن تقوم بمسئولياتها في رد الأمة الإسلامية في المشارق والمغارب إلى مفهوم لا إله إلا الله، والعمل بمقتضياتها، والسير على حقيقة منهجها؛ لتستأنف الأمة حياة الإسلام، والحكم بما أنزل الله واستعادة الخلافة الراشدة... وأن تحيى هذه الجماعة في نفوس أبنائها بشكل خاص، وفي المسلمين بشكل عام فكرة الجهاد في سبيل الله وأن تهيئ له مناخه الملائم"[1].

2. تحقيق العدل ونصر المستضعفين:

لقد أرسل الله الرسل، وأنزل معهم الكتب؛ ليحكموا بين الناس بالعدل، وارتباط ذلك بأهمية القوة في إقامته فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديد: 25]، وفي هذه الآية تظهر القوة في أكثر من كلمة: الكتاب ويمثل القوة التشريعية، والميزان يمثل القوة القضائية، والحديد يبين أهمية القوة العسكرية في تحقيق القوتين السابقتين، بل إننا نجد أن الله ﷻ يعاتب من يتركون الجهاد مع وجود مظلومين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾[النساء: 75].

فالله "يحرض عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين"[2] وهذا دليل على أهمية الجهاد في إقامة العدل وإحقاق الحق، وإبطال الباطل ورفع الظلم ومحاربة الفساد وأهله؛ "فالقتال في الإسلام شُرِع لإعلاء كلمة الله وإنصاف الشعوب والأمم ولم يُشْرَع للاستعباد والاستعمار والظلم"[3] .

---

(1) كتاب بين الفردية والجماعية، د. عبد الله ناصح علوان

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(358/2)، مرجع سابق.

(3) التفسير الوسيط للزحيلي، (345/1)، مرجع سابق.

ويؤكد الإمام البَنَّا على **هذا المفهوم بقوله:** "فرض الله الجهاد لا أداة للعدوان، ولا وسيلة للمطامع الشخصية؛ ولكن حماية للدعوة وضمانا للسلم، وأداءً الرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون؛ رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل[1]".

3 . الأمة تحيا بالجهاد:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ . . .** ﴾ [الأنفال: 24]

وهذا أمرٌ للمؤمنين بإجابة الله والرسول بالإصغاء والطاعة...فهي دعوة إلى حياة طيبة أبدية مشتملة على سعادة الدنيا والآخرة...والأمر للوجوب[2].

ولا شك أن الحياة العزيزة تشمل أكثر من مفهوم:

فإما الحياة العزيزة في الحياة الدنيا والمكانة المهابة بين الأمم والتي تحمل مفهوم القوة والعزة وحرية الإنسان، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب: "إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، ويدعوهم إلى شريعة من عند لله تحرر الإنسان ويدعوهم إلى منهج للحياة ومنهج للفكر والتصور...، ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم، يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لتقرير ألوهية الله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس[3]".

وأما الحياة الأخروية التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران: 169، 170] فالأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة؛ يهب الله لها الحياة العزيزة[4]"

إذن الجهاد فيه حياة بكل المعاني، حياة عزيزة للأفراد يتنسمون فيها معنى الحرية في ظل عبوديتهم لله، لا للعباد وللأهواء والشهوات ولا للمال، وحياة عزيزة للأمة بكاملها في ظل حملها لشريعة الإسلام وحفظها والدفاع عنها والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ولن تستطيع الأمة الوصول إلى ذلك إلا من خلال وجود الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها تحقيق هذه الأمور وعلى رأسها الجهاد بكل أقسامه.

---

(1) كتاب الجهاد في سبيل الله، توزيع دار الجهاد، ودار الاعتصام، ص85.

(2) انظر التفسير الوسيط، للزحيلي_(786/1)، مرجع سابق.

(3) في ظلال القرآن، (1994/3)، مرجع سابق.

(4) مجموعة الرسائل، الإمام حسن البنا، (264)، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر . بيروت.

وإن تحدثنا عن أقسام الجهاد أو أنواعه فنجد أن الجهاد ينقسم إلى:

الجهاد التعليمي، الجهاد السياسي، الجهاد الإعلامي، الجهاد الاقتصادي، الجهاد العسكري.

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ...**﴾ [الأنفال: 60]، فالله أراد منا أن نعد كل أنواع القوة ﴿**مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ ثم ختمها بقوله: ﴿**وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ وأراد بها القوة العسكرية.

"ومن ألزم أنواع القوة المطلوب الأخذ بها، قوة الإيمان، وقوة الوحدة، وقوة العلم، وقوة البدن، وقوة المال، وقوة الشخصية، وقوة السلاح، وقوة الإعلام، وغير ذلك... وقوة الإيمان هي الأساس التي يقوم عليه بناء شخصية الفرد المسلم، وبناء الجماعة بل وبناء الدولة"[1].

ولعلي في الحديث عن قوة الوحدة ودورها في بناء دولة الإسلام أذكر التآخي بين المهاجرين والأنصار الذي حققه الرسول ﷺ أول وصوله المدينة؛ والذي كان دليلا واضحا على أنه أساس لا يُستهان به من أسس بناء الدولة، ولأهميته نزل القرآن يصف هذه العلاقة بين المهاجرين والأنصار في قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: 8-9].

وفي هذا يأتي حديث رسول الله ﷺ: " **الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** "[2]، بل في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ [الحشر: 10]، دلالة على أهمية الأخوة والترابط بين أبناء الأمة جيلا بعد جيل وليس في جيل واحد فقط، أمة واحدة لها مكانتها ولها حضارتها يعتز بها كل من ينتمي إليها.

---

(1) انظر قضايا أساسية على طريق الدعوة، مصطفى مشهور (49)، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
(2) سبق تخريجه ص (132).

أقسام الجهاد:

أ . الجهاد التعليمي:

ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿...وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

وللتأكيد على أنه نوع من أنواع الجهاد ما ورد في قوله تعالى: ﴿...فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]

فكلمة "نفر" تدل على الجهاد وفي هذا يقول الإمام الشوكاني: "أن هذه الآية حكم مستقل بنفسه في مشروعية الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين جعله الله متصلا بما دل على إيجاب الخروج للجهاد(1)"، ومن هنا يتبين "أن التفقه في الدين نوع من أنواع الجهاد الواجب على المسلمين(2)"

ومن ثمَّ يأتي دور الجماعة المنقذة في تحقيق الجهاد التعليمي في أفرادها؛ ليأخذوا دورهم في المجتمع في ظل حكومات تفرض منهاجاً تعليمياً، مسمومًا بالغزو الفكري، والأفكار الهدامة، مما يؤكد على أهمية وجود هذه الجماعة من أجل التوعية و والتعريف بالإسلام كله لكل مسلم.

ويكون الجهاد التعليمي في إنشاء المدارس والارتقاء بالمعلمين إيمانياً؛ ليكون لهم دور في الارتقاء بالطلاب وحينئذٍ يأخذ الجميع دورهم في إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين.

وإذا أردنا ضرب مثلٍ في العصر الحديث فهو الشيخ أحمد ياسين ودوره الفاعل في تحقيق هذا الأمر بدءاً برياض الأطفال مروراً بالمدارس وصولاً إلى الجامعة الإسلامية والتي كان وما يزال لها الدور الفاعل في نشر الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الله.

وكان وما يزال لها دور في تخريج الطلاب والطالبات الذين يحملون رسالة الإسلام بشموليتها وتميزها.

ومثل آخر على الجهاد التعليمي إن دل على شيء فإنه يدل على الهمة العالية التي تميز بها الإمام حسن البنا:

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (416/2)، مرجع سابق.

(2) القيادة والجندية في الإسلام، الجزء الثاني (الجندية)- الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م، دار الوفاء للطباعة والنشر ص167.

بدأت القصة بانتماء ناظر مدرسة إلى الإخوان وكانت هذه المدرسة تتبع جمعية قبطية في إحدى المناطق في مصر، ولم يكن عند الإخوان مانع من أن يبقى ناظراً للمدرسة؛ ولكنهم فوجئوا بالجمعية القبطية تُعلِمه بإنهاء خدمته، ووصل الخبر للإمام البنا فما كان منه إلا أن أمر بإقامة مدرسة في المنطقة يتولى إدارتها ذلك الناظر وأرسل له طاقم من المدرسين من القاهرة. [1]

وكان ذلك خلال شهر من بداية المدارس فإن لم يكن هذا جهاداً على الصعيد التعليمي فماذا يكون وإن لم تكن الجماعة المنقذة هي التي تحرص على ذلك فمن يكون؟

ب . الجهاد السياسي:

إن إقامة دولة الإسلام وتحكيم شرع الله من أولويات الجماعة المنقذة، ولن يكون هذا إلا بالسعي للوصول إلى الحكم؛ لأن ما يتم بالسلطان لا يتم بغيره وفي هذا المقام يقول الشيخ سعيد حوى[2].

" فقيام الأفكار، والآراء الإصلاحية أو السياسية بشكل مطلق، مرتبط تنفيذه بوجود الحكم والحزب، فلا حكم إلا بحزب، والحزب ما لم يصل إلى الحكم تبقى نظرياته مجرد آراء لا قيمة عملية لها " [3]، وأنا أشاركه الرأي فلابد من العمل؛ لتصبح هذه النظريات واقعاً وترجمةً حية للآراء والأفكار التي تُطْرَح، وأرى أنه قبل هذه المرحلة لابد من مراحل تسبق وتهيئ المناخ المناسب لتكوين أرضية صلبة يقوم عليها هذا الحكم وذلك من خلال:

1. **التوعية السياسية:**

يجب أن تحرص الجماعة على توعية أفرادها خاصةً وأبناء المجتمع عامة بخطورة الفساد الذي ينتشر في بلادنا، وخطورة الغزو الفكري، وأسباب الذلة التي تعيشها الأمة ولماذا أصبحت في ذيل الأمم، وأن ذلك نتيجة بُعْدِها عن سبب عزتها وكرامتها ألا وهو تحكيم شرع الله وتركها فريضة الجهاد في سبيل الله.

---

(1) الكتاب: محمود عبد الحليم، شيخ مؤرخي الحركة الإسلامية، المؤلف أحمد حسن شوربجي تعليق وخاتمة: محمود عبد المنعم، دار الدعوة، ط1، 2002م، 1422هـ.

(2) هو سعيد بن محمد ديب بن محمود حوى النعيمي نسباً الحموي مولداً.- ولد الشيخ رحمه الله في 27/ أيلول/ 1935 في مدينة حماة وسط سوريا.- والده المربي الفاضل الحاج محمد ديب حوى، (1909- 1989) وكان أحد رجالات حماة المعدودين- وله مشاركات واسعة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، مشهود له بالشجاعة والكرم والحكمة.

(3) جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى (396)، دار الكتب العلمية، بيروت.

2. مناصحة الحكام:

وقد وضح ذلك جليا في حديث رسول الله ﷺ: " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ** "[1]

3. دخول المجالس النيابية:

لتحقيق الأهداف التي من أجلها قامت الجماعة، وذلك من خلال المشاركة في الآراء التي سيكون لها دور في تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق مصالح العباد، فإن لم تستطع تحقيق ما تريد، فتكون معارضة لإظهار الخلل الموجود؛ وهذه سيكون لها دور في توعية أبناء الأمة للتفريق بين الحق والباطل ولقد أثبتت هذه التجربة نجاحها في أكثر من مكان وأكبر دليل على ذلك التجربة التركية وكيف لمسنا التغيير واضحا بعد دخول الحزب الإسلامي الانتخابات وكذلك في تجربة حماس، ودخول الانتخابات في فلسطين؛ كان له دور فاعل في تغيير الموازين بما يخص القضية الفلسطينية.

ج. الجهاد المالي:

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم المتحدثة عن الجهاد يلاحظ أن الجهاد المالي مقترنٌ بالجهاد بالنفس، بل يسبقه في الذكر لبيان أهمية الجهاد المالي في تحقيق الكثير من أنواع الجهاد، إن لم تكن كلها؛ "فالجهاد التعليمي يحتاج إلى مال، والجهاد السياسي يحتاج إلى مال، من أجل الدعاية وغيرها، والجهاد الإعلامي يحتاج إلى مال من أجل النشرات والمجلات والإذاعات والفضائيات....، والجهاد العسكري يحتاج إلى المال لتصنيع السلاح والعتاد أو شرائه، والإنفاق على المجاهدين وعلى أسر الشهداء ويضاف إلى ذلك الجهاد الاقتصادي فنقول كيف للاقتصاد وإقامة المشاريع المستقلة عن الهيمنة الأجنبية، ولن يكون ذلك إلا بالمال ولقد وردت الآيات في ذكر الجهاد المالي[2]".

فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [التوبة: 20].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: 15].

---

(1) صحيح البخاري (1 / 21 / 57) كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، مرجع سابق.

(2) كتاب جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى (413، 414)، دار الكتب العلمية بيروت . بيروت، ط2.

بل واعتبره الله من التجارة الرابحة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 10، 11]،

ووعدهم على ذلك في الجنة حينما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾ [التوبة: 111].

فحريٌ بالجماعة المنقذة المنوطة بها رسالة الإسلام أن تحرص على إقامة المشاريع الاستثمارية الخاصة بها حتى تستطيع تحقيق الجهاد المالي لتغطية كل أنواع الجهاد.

د. الجهاد الإعلامي:

وهو من أخطر أنواع الجهاد بعد الجهاد العسكري بل هو من مقدماته؛ فالإشاعة والحرب النفسية التي يستخدمها أعداء الإسلام إن لم تواجه بالبيان والتوضيح وبكل الوسائل الإعلامية سيكون لها دور في الهزيمة النفسية الني تسبق الهزيمة العسكرية، ولذا وجب على الجماعة المنقذة أن تضع نصب عينها تحقيق هذا الجهاد، وببذل كل السبل لتقوية هذا النوع من الجهاد، ولقد جاء الأمر الرباني للرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾[التوبة: 73]

أي "عاملهم بالشدة والخشونة إرهابا لهم وقمعا لمحاولات اعتدائهم" [1].

واعتبر الماوردي[2] أن جهاد الكفار يكون بالسيف أما جهاد المنافقين فيكون باليد واللسان[3].

وجاء الأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿فلا تطع الكافرين وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: 52]

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (269)، مرجع سابق.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد البغدادي المشهور بالماوردي، (364 –450هـ، 974– 1058م)، مفكر إسلامي. من وجوه فقهاء الشافعية وإمام في الفقه والأصول والتفسير، وبصير بالعربية. كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية وخصوصًا في مرحلتها المتأخرة.

(2) سنن النسائي (6/ 51) كتاب الجهاد، باب من خان غازياً في أهله، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 593).

(3) النكت والعيون، (382/2)، المحقق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحمن، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

أي "جاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً؛حتى ينقادوا بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل به طوعاً وكرهاً" [1]. ولقد وضَّح رسول الله ﷺ مفهوم الجهاد الإعلامي في قوله ﷺ: "**يا أيها الناس جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**" [2].

وفي الحديث عن الجهاد الإعلامي والجماعة المنقذة ودورها في تحقيقه؛ لابد من إظهار الدور البارز للفضائيات في تحقيق الهزيمة النفسية للأعداء، وفي المقابل رفع معنويات الأمة الإسلامية بكاملها في هذه الأيام، فمثلاً في حرب حجارة السجيل كان للجهاد الإعلامي دور فاعل وقوفاً جنباً إلى جنب مع الجهاد العسكري.

وإن ما يتعرض له الإعلاميون في هذه الأيام –من قتلٍ واعتقالٍ– لهو دليل على أهمية الدور الذي يقومون به.

الجهاد العسكري:

وهو الذي يتوّج كل أنواع الجهاد لتتحقق العزة والنصر والتمكين لهذه الأمة؛ فالجهاد العسكري هو الذي جاء به الأمر واضحاً في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 216] فقد"أبان القرآن أن القتال أو الجهاد في سبيل الله، وإن كان مكروها للنفس البشرية ففيه خيرٌ كثيرٌ للأمة؛ لأنه إعلاء لكلمة الله، والإسلام، ودفع للظلم، ورفع لراية الحق والعدل، وسبيل لطرد المعتدين واسترداد الحقوق"[3].

ولذلك قال تعالى: ﴿**انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: 41]، وهذا أمرٌ من الله بالنفير والجهاد في سبيله بل إن الله ﷻ يستنكر على الذين يركنون إلى الحياة الدنيا ولا يستجيبون لداعي الجهاد فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [التوبة: 38]، معاتباً وزاجراً للمتثاقلين والمتخلفين عن الجهاد في سبيل الله رضىً بالحياة الدنيا ونعيمها بل ومهدداً لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة في قوله تعالى:

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري_(281/19)، مرجع سابق.

(2) سنن النسائي (6/ 51) كتاب الجهاد، باب من خان غازياً في أهله، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 593).

(3) التفسير الوسيط، للزحيلي_ (1/ 11)، مرجع سابق.

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. . . ﴾[التوبة: 39]، عذاب الذلة في الدنيا فما من أمة تركت الجهاد إلاَّ ضرب الله عليها الذلّ وكلفها القعود من تنكيل الأعداء واستقوائهم عليها أضعاف ما يكلفها الجهاد في سبيل الله(1).

إذن لابد لأمة الدعوة الإسلامية إلى العالم قاطبة ألاَّ تتخلى بأي حال من الأحوال عن اتخاذ كل أسباب القوة والعزة ولا أن تترك الجهاد في سبيل الله (2) فإذا كان ذلك للأمة فكيف بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالة الإسلام من أجل الوصول بالأمة إلى العزة والتمكين؟؟

شهادة حية:

يقول محمد أحمد الراشد متحدثا عن حركة المقاومة الإسلامية"حماس" كرمز للجهاد:

" حماس استحالت مذهباً في الجهاد متميزاً، فالتغير صفة دائمة، بل هو الذي يولد التحريك ولا يركد على حال واحد، وهذا هو الذي يجعل لطريقة حماس في الجهاد؛ القيمة الكبرى، فالقضية غير متعلقة بزعامة ولا بانتخابات؛ وإنما بمنهجية شاملة، ومنظومة قيم وخطط متكاملة، وجدارة حماس فرع لوضوح الطريقة، وإبداع قيادتها إنما هو من نتاج الفكر الذي تؤمن به " (3).

مبيناً شرعية الجهاد الذي تبنته حماس قائلاً: وحماس حلقة في سلسلة وراثة النبوة ذات الحديد..... وهي عصبة من أولي العزم تنادوا للجهاد وانتخبوا أميراً (4)

ولعلى هنا أنوه إلى أمر مهم إن حماس من أولي العزم من الرجال، ولكنهم يتبعون لتنظيم هو تنظيم الإخوان المسلمين الذي أخذ على عاتقه إعلاء كلمة الله وإحياء فريضة الجهاد في الأمة.

إذن هي الجماعة المنقذة التي أخذت على عاتقها إنقاذ الأمة من ذلها وضعفها إلى العزة والقوة والتمكين.

وفي الحديث عن الإنقاذ والجماعة المنقذة لابد من ذِكْر صفقة وفاء الأحرار والتي كان للقوة دور في استنقاذ الأسرى من السجون، وكيف التأمت القوة العسكرية، مع القوة الأمنية والقوة السياسية:

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب-(3/)(1655)، مرجع سابق.

(2) انظر المرجع السابق، للزحيلي (1/ 861).

(3) رمزيات حماسوية، (6/5)، مكتبة ومطبعة دار المنارة، ط الأولى، 1426هـ / 2006 م .

(4) انظر: أصول الافتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة محمد أحمد الراشد (4 /182، 183).

1. القوة العسكرية في اختطاف الجندي.

2. القوة الأمنيـة فـي تحقيـق السـرية والكتمـان فكانـت المحافظـة علـى الجنـدي خمـس سـنوات ونصف.

3. القوة السياسية وكيف كان لها دور في حماية المقاومة أولاً، وفي المناورة مع العدو أثناء المفاوضات لتحقيق الصفقة بأقل الخسائر.

وفي الختام أقول: إن الجهاد في سبيل الله من العبادات التي يحبها الله ويحب أهلها وقد وضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[الصف: 4].

و في قوله تعالى: ﴿. . .**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُّ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِّ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ...**﴾ [المائدة: 54].

وكذلك أراد أن يكون حبه ورسوله والجهاد في سبيله مقدم على الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة وكل ما في هذه الحياة الدنيا من تجارة ومسكن وأموال فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ... **﴾ [التوبة: 24].

نسأل الله أن نكون من المجاهدين ومن الصادقين في حب الله ورسوله.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في الحديث عن الشمولية والتكامل أحد خصائص الجماعة المنقذة لابد من ذِكْر صفتين لهما دورٌ بارز في تحقيق مهمة الإنقاذ ألا إنهما؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1. فهما الطريق إلى الفلاح، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].
2. وهما شرط خيرية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾ [آل عمران: 110].
3. وبهما تكون النجاة من الخسران وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۞ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3].

من خلال ما سبق تبرز صورة الجماعة التي يريدها الله أن تكون خيِّرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير متواصية بالحق والصبر في مَوَدَّةٍ وتعاونٍ وتآخٍ [1] وهي أعلى وأنصع صورة للجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته وإعلاء كلمته.

والمتتبع لمعاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتب اللغة يجد:

أ. أن المعروف كل شيء واضح جلي حسن مرتفع عال.

ب. وأن المنكر هو المجهول المستتر القبيح غير الواضح[2].

فسبحان الذي أوجب على هذه الأمة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ لتنال السعادة في الدارين، فهي في الدنيا، أمة واضحة متبعة للنور بل مشعة نوراً بإيمانها وتطبيقها للشرع، يفيض هذا النور على غيرها من الأمم، ولن يكون ذلك إلا من خلال الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي ورد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلاحظ ما يلي:

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب _(3968/6)، مرجع سابق.

(2) انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن حمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت (2/ 402، 925)، والمعجم الوسيط، لعدد من المؤلفين إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، ماجد عبد القادر، محمد النجار، (595/2، 952)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

1. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكمهما الوجوب.
2. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل على فرضية إقامة جماعة تحمل رسالة الإسلام ألا وهي الجماعة المنقذة.
3. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل الولاء بين المؤمنين.
4. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من أنواع الجهاد.

أولاً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوجوب.

الدليل القرآني:

قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104].

يقول الإمام الشوكاني: "في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وهو من أعظم واجبات الشريعة وأصل عظيم من أصولها(1)".

وقد حوت الآية معنيين أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر أنه فرض على الكفاية...وأكد الله على وجوبهما في مواضع من كتابه وبيَّنَهُ رسولُ الله ﷺ وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه. (2)

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه فرض كفاية كالجهاد وتَعَلُّم العلم؛ إن قام به طائفة من الناس سقط عن الباقي.(3)

الدليل من السنة:

1. حديث رسول الله ﷺ: " **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُنْكِرْهُ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُنْكِرْهُ بِقَلْبِهِ وَذَاكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** "(4). يؤكد النووي(5) من خلال شرحه للحديث

(1) فتح القدير، (423/1)، مرجع سابق.

(2) أحكام القرآن للجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي 1405هـ، (315/2)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(3) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية (123/28)، مرجع سابق.

(4) صحيح مسلم (1/ 69 / 49) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

(5) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي، (631 – 676هـ، 1234– 1278م)، كان إمامًا بارعًا حافظًا أمَّارًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر.

على أنه أمر إيجاب بإجماع الأمة. في قوله: "وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الكتاب والسنة وإجماع الأمة واستدل بكلمة **(فليغيره)** على ذلك[1].

2. حديث رسول الله ﷺ: " **مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ** "[2].

وهذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل الجهد في ذلك.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما دليل فرضية إقامة الجماعة المنقذة.

استدل العلماء على ذلك من نفس الآية التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤكدين على أهمية قيام الجماعة بهذا الأمر ليكون لها أثرها في نصرة الدين وعزة الأمة، ففي قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ...**﴾ [آل عمران: 104]، أوجب على المسلمين جميعاً تكوين أمة منظمة موحدة لا ترهب أحداً وتقول الحق وترفع الظلم ولا تخشى في الله لومة لائم، وعلى هذه الجماعة المنظمة مهمة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف الذي يقره الشرع والعقل، والنهي عن المنكر الذي يقبحه الشرع والعقل[3].

ويوضح الأمر محمد رشيد رضا: بأنها جماعة منظمة لها قيادة ويؤكد على أهمية القيادة للجماعة حتى لا يكون الأمر فوضى في قوله: ثم إن كون القائمين بالأمر والنهي أمة تستلزم أن يكون لها رياسة، لأن أمر الجماعة بغير رياسة يكون مختلاً ومعتلاً فالرأس هو مركز تدبير البدن وتصريف الأعضاء في أعمالها وكذلك يكون رئيس هذه الأمة – أي الجماعة– مصدر النظام وتوزيع الأعمال على القائمين[4].

إذن من خلال هذه الآية يتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دور الجماعة المنقذة التي أخذت على عاتقها إنقاذ البشرية من الفساد، الجماعة التي وضعت نصب عينها إعلاء كلمة الله ﷻ والوصول الأمة الإسلامية إلى العزة والتمكين ليعم الإسلام والسلام الكون كله، وبرز ذلك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ...**﴾ [الحج: 41].

---

(1) شرح النووي على مسلم (22/2)، ط2، 1392 هـ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(2) سنن ابن ماجه (2/ 1327)، كتاب الفتن، باب قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم}، قال شعيب الأرناؤوط في هامش تحقيقه لمسند أحمد (49/12): حسن لغيره.

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (224/1)، مرجع سابق.

(4) انظر تفسير المنار، (47/4)، مرجع سابق.

ومن أجمل ما قرأت في الحديث عن الأمة في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: 110] ما قاله سيد قطب في هذا المقام – مُصَوِّراً إخراج الأمة ودفعها على مسرح الوجود في كلمة "أخرجت" لافتاً النظر إلى اليد المدبرة اللطيفة –: "كيف تخرج هذه الأمة إخراجاً وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب.[(1)]

ولعله يحضرني في نفس المقام قول الله تعالى: ﴿. . .فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: 54].

مبيّناً لنا أن هؤلاء القوم سيأتي بهم الله ولم يأتوا من أنفسهم؛ بل إن الله هو الذي اصطفاهم واختارهم، وما أظن كلمة (أمة) في آل عمران والتي هي خير أمة أخرجت للناس والقوم الذين يحبهم الله ويحبونه في المائدة، إلا الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالته ورفع رايته. فقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ. . .﴾ [آل عمران: 110]، وقوله تعالى: ﴿. . .فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ...﴾ [المائدة: 54]، دليل على ذلك.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل الولاء بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[التوبة: 71].

تَبَيَّنَ لنا فيما سبق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل فرضية إقامة الجماعة، فكيف ستكون جماعة إلا أن تكون قائمة على الولاء؟؟

وقبل الحديث عن الولاء بين المؤمنين لا بد من ذِكْر الولاء من الله للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ...﴾ [البقرة 257]، ويتبعه ولاء المؤمنين لله ورسوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ...﴾ [المائدة: 55]، ثم بعد ذلك قال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهم راكعون ﴾ [المائدة: 55]، إذن هو الولاء القائم بينه وبين عباده ثم الولاء بينهم أنفسهم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ...﴾[التوبة 71].

(1) انظر في ظلال القرآن، (446/1)، مرجع سابق.

ملاحظة مهمة:

في سورة المائدة ورد الحديث عن الولاء لله وللرسول وللمؤمنين بعد التحذير من الولاء لليهود والنصارى في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء...**﴾ [المائدة: 51].

وفي سورة التوبة جاء الحديث عن الولاء بين المؤمنين بعد الحديث عن العلاقة بين المنافقين في قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...**﴾ [التوبة: 67]، يتضح من ذلك أن الولاء بين المؤمنين، الهدف منه مواجهة مؤامرات المنافقين والكافرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الجهاد بالسيف فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...**﴾ [التوبة: 73]، "فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان"[1].

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من أنواع الجهاد:

قال تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر: 94]، أي بلغ ما أُنْزِلَ إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله[2]، وقال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 17]، فكلمة اصبر في هذه الآية دليل على أن الآمِر بالمعروف والناهي عن المنكر يتعرض للأذى من الناس ولهذا جاء الأمر بالصبر.[3]

فالصبر والعزم من صفات المجاهد وفي هذا يقول ابن تيمية "فإن الآمِرَ بالمعروف فإنماهو مجاهد"[4]

وفي قول عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[5]، دليل على أن قول كلمة الحق هي من الجهاد؛ لأنها تعرض صاحبها للقتل والاعتقال

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري-(359/14)، مرجع سابق.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير _(551/4)، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، (338/6).

(4) جامع المسائل، (383) تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

(5) البخاري (7199/77/9)، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الناس الإمام، ومسلم (1470/3)، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

وغير ذلك، ولقد وضح ذلك في قوله ﷺ: " **أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ** " [1] ولا أدلَّ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الجهاد إلا ما ورد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: 111]، ثم أتى بعدها بمواصفات الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله، فقال تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: 112]، والشاهد: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، "وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين السلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان محفوفاً بالمكاره والمخاوف وكم قُتِل في سبيل ذلك منهم من نبي وصِدِّيق فكانوا أفضل الشهداء"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: 122]، دليل أنهما من أنواع الجهاد:

فكلمة "نفر" تدل على الجهاد وكلمة "ولينذروا" دلت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحقيقة: "أن هناك تلازماً بين الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" [3].

وهذا التلازم هو أساس التمكين لهذه الأمة وأساس عزتها، فالجهاد هو الطريق إلى التمكين و بالتمكين يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه يكون المجتمع المسلم قوياً نقياً متماسكاً متناصحاً يستحق قوله تعالى: ﴿. . .**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: 40]

فنصر الله يكون بإقامة شريعته، ونصر الله يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و نصر الله يكون بالجهاد؛ إذن هي الجماعة المنقذة التي تحرص على كل هذا وهي التي قال فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿...**فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: 56].

---

(1) سنن ابن ماجه (2/ 4012/1330)، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 248).

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (27/4)، مرجع سابق.

(3) جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى (364)، دار الكتب العلمية – بيروت.

الفرق بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بعض العلماء يعتبر أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أمر واحد؛ولذلك نجدهم يتحدثون عن أساليب ووسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستدلون بالآيات التي تتحدث عن أساليب الدعوة مثل قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ [النحل: 125]، وفي قوله: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[طه: 44].

فالدعوة إلى الله ليست هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كانت تشمله، وللتفرقة بين الأمرين أقول:

1. الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم بدليل قول الرسول ﷺ: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**" [(1)]، الأمر للمسلمين كافة، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فرض كفاية؛ إن قام به جماعة سقط عن الباقي بدليل الآية ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ...**﴾ [آل عمران: 104]، وبدليل أقوال العلماء التي سبق ذكرها في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(2)].
2. الدعوة إلى الله في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ [النحل: 125]، "ميدانها" أوسع وهي المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فميدانه المجتمع الإسلامي فقط؛ ولذلك الدعوة مقدمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...**﴾ [آل عمران: 104]، أي إلى الدخول في الإسلام ومن ثم يكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[(3)].
3. يبين الإمام ابن عثيمين[(4)] الفرق بين الأمرين فيقول: الحكمة أن تخاطب الناس على قدر عقولهم والموعظة التي ترقق القلوب بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى، والمجادلة أي المناظرة أن

(1) صحيح البخاري (4 / 170 / 3461)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل.

(2) انظر: ص176، 175 من الرسالة.

(3) ورد في مقال بعنوان الفرق بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمود الحبيب، الأربعاء أكتوبر 2008/29 على موقع البشري alboshra2blogspot.com2008

(4) هو محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، (1347-1421هـ، 1928- 2001م)، عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وعضو هيئة كبار العلماء.

تكون أحسن قولاً وأحسن أداءً وأحسن إقناعاً بالحجة والبرهان كما حدث في مناظرة إبراهيم عليه السلام والذي كفر، جاءه بالحجة؛ فبهت أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو توجيه الطلب إلى شخص معين؛ لأجل أن تحثه على الطاعة وكذلك النهي فهذا فيه شيء من السلطة ولهذا سمى أمراً ونهياً والأمر لا يكون إلا على سبيل الاستعلاء وكذلك النهي فهو أشد من الدعوة إلى الله عز وجل [(1)].

وهذا الرأي هو الراجح فالدعوة تختلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث إن الأمر والنهي على سبيل الاستعلاء؛ فالأب في بيته وعلى أولاده، يأمر وينهي وبرز ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...**﴾ [طه: 132]، القائد في أي مجال يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ اقتداء برسول الله ﷺ، فرئيس القبيلة أو العشيرة مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: 214]، ثم علينا أن نعلم أن الدعوة تبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلزام، وفي هذا المقام يقول سيد قطب:

لابد من جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، لابد من سلطة في الأرض تأمر وتنهى...و قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته في الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج بصورته الواقعية[(2)].

فلن يتحقق المنهج بصورته الواقعية إلا من خلال قيام الجماعة المنقذة التي تأخذ على عاتقها التغيير من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التغيير الذي أراده رسول الله ﷺ في قوله: " فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه..."[(3)] ونحن الآن في مرحلة الاستخلاف فيجدر بنا التعامل من خلال التغيير باليد واللسان وكفانا إنكاراً بالقلب.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...**﴾ من العلماء من اعتبروا أن العطف في الآية هو عطف الخاص على العام ومن هؤلاء أبو السعود، الإمام الشوكاني[(4)].

---

(1) محاضرة بعنوان عوامل النصر للشيخ محمد بن صالح العثيمين مؤسسة الاستقامة موقع خيرية العثيمين

(2) انظر: في ظلال القرآن، (1/ 444)، مرجع سابق.

(3) صحيح مسلم (1/ 69/ 49) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (67/2)، فتح القدير، (423/1).

ومنهم من قال أن الواو تقتضي المغايرة والمغايرة هنا مغايرة صفات لا مغايرة حقيقية، ومن هؤلاء الفخر الرازي[1] حيث قال: "ولأجل العطف يجب كون هذه الثلاثة متغايرة"، أن الدعوة إلى الله جنس تحته نوعان:

الترغيب في فعل ما ينبغي وهو المعروف، والترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر، فذكر الجنس ثم اتبعه بنوعيه[2].

ومع إجلالي للعلماء فأنا اعتبر أن الدعوة إلى الله ﷻ تكون في البداية من خلال الحكمة والموعظة الحسنة ثم بعد ذلك يأتي الأمر بالمعروف النهي عن المنكر والذي يدل عليه كلمتا الأمر والنهي.

كذلك فإن الأمر والنهي يكون لصاحب السلطة والقدرة في أي مكان كان، فالإمام والسلطان والوالدان يأمران أولادهما وينهيانهم ولا يصح لصاحب القدرة أن يترك هذا المفهوم لأي سبب كان، فإن هذا استسهال لهذه الفريضة.

ولعلِّي هنا أؤكد على دور الوالدين في التربية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيقاً لحديث الرسول ﷺ: " **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** "[3] وأختم هنا بحديث رسول الله ﷺ مؤكداً على أهمية هذه الفريضة: " **مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**"[4].

نسأل الله أن يجعلنا من هذه الجماعة المنقذة الداعية إلى الخير والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر لننجو وننقذ غيرنا.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، (544 – 606هـ، 1150 – 1210م)، ولد في الري بطبرستان، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان. كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (315/8)، دار التراث العربي . بيروت، ط3 1420 هـ.

(3) صحيح البخاري (2 / 5 / 893)، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، (139/3/ 2493)، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.

المطلب الخامس: الأخلاق

إن في الحديث عن الأخلاق دلالة واضحة على شمولية الإسلام ومن ثَمَّ شمولية الرسالة المنوطة بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لإعلاء كلمته ورفع رايته، فالأخلاق تعني الإسلام كله بدليل حديث عائشة –رضي الله عنها– لما سئلت عن أخلاق الرسول ﷺ قالت: "**فإن خلق النبي ﷺ كان القرآن** "(1)؛ ولذلك ليس من السهل حصرها في فرع من فروع هذه الرسالة، كذلك ورد الحديث عن بعضها في أكثر من موضع في الرسالة فمثلاً في موضوع الربانية؛ الثقة، الاعتصام، الصدق، الصبر، العدل؛ وفي بند التميز؛ الوسطية والتي شملت الكثير من أخلاق الإسلام.

لكني هنا في معرض الحديث عن تحقيق الشمولية أخلاقاً سأعرض لثلاث مجموعات من الآيات تحمل معانٍ رائعة من هذه المفاهيم التي تحتاجها الجماعة المنقذة في أداء رسالتها.

المجموعة الأولى: ما ورد في سورة المائدة من الآية 54 ـ 56:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌۚ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَۚ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: 54 .56].

المجموعة الثانية سورة الفرقان من الآية 63 ـ 74:

قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًاۚ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًاۚ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا... وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًاۚ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًاۚ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًاۚ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾

---

(1) صحيح مسلم (1 / 512 / 746)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، والسائل هو سعد بن هشام بن عامر، مرجع سابق.

المجموعة الثالثة: سورة الحجرات من الآية 11 – 13:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ .

تفسير المجموعة الأولى:

قبل الحديث عن مواصفات الجماعة المنقذة التي وردت في تلك المجموعة لابد من معرفة الجو الذي وردت فيه وهو طبيعة العلاقة مع اليهود والنصارى ثم الحديث عن الردة وكأن الله يريد منا أن نتبرأ من كل علاقة يبغضها ليكون بعد ذلك الولاء له صافياً من أي شائبة.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بعض...**﴾ [المائدة:51] أي " إن الله نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله "[1]، ولا شك أن المقصود بهؤلاء هم المحاربين، واعتبر من يواليهم في ذلك أصبح منهم وتبيَّن ذلك في قوله تعالى: ﴿**...وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...**﴾ [المائدة: 51]، و" لما كان من يتولى الكافرين من دون المؤمنين يُعَدُّ منهم؛ كان أولئك الذين يسارعون فيهم من مرضى القلوب مُرْتَدِّين؛ولذلك قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...**﴾ [المائدة: 54]، وهؤلاء لا يُعتد بهم في نصر الدين وإقامة الحق، وإنما يقيم الله الدين ويؤيده بالمؤمنين الصادقين الذين يحبهم الله؛ فيزيدهم رسوخاً في الحق، وقوة على إقامته، ويحبونه ويؤثرون ما يحبه من إقامة الحق والعدل، على كل ما في هذه الحياة الدنيا "[2].

وبعد أن تحدث عن الردة تعرض للحديث عن الجماعة المنقذة ومواصفاتها " المؤمنين الصادقين " ثم قال: " الذين يحبهم الله "... الخ .

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (10 / 398).

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (359/6)، مرجع سابق.

ولاشك إن المتتبع للصفات التي وردت في تلك الآيات يجدها كالتالي:

1، 2: يحبهم الله ويحبونه.

3، 4: أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين.

5، 6: يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون في الله لومة لائم.

ست مواصفات للجماعة المنقذة حري بها أن تحرص على تحقيقها:

1، 2." يحبهم ويحبونه "؛ " فالحب من الصفات التي أُسندت إلى الله تعالى في كتابه، وعلى لسان نبيه، فهو تعالى يحب ويبغض كما يليق بشأنه، فمحبته تعالى لمستحقيها من عباده شأن من شئونه اللائقة به "[1].

ومع أنها من الصفات التي أُسندت لله تعالى، إلاَّ أن الله ﷻ بيّن لنا الصفات والأعمال التي يحبها ويحب من يقوم بها وهذا من باب ربط الأسباب بالمسببات، كمثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: 7]، فربط تحقيق النصر –مع قدرته عليه– بالأخذ بالأسباب، وفي الحديث عن الحب قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: 31]

والمتتبع لآيات القرآن الكريم – لمعرفة أسباب حب الله لعباده – يجد أن الله تعالى في آيات كثيرة ذَكَرَ هذه الصفات أو هذه الأسباب في قوله:

1 إن الله يحب المتقين.

2 إن الله يحب الصادقين.

3 والله يحب الصابرين.

4 إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

5 إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص.

6 إن الله يحب المقسطين.

7 والله يحب المحسنين.

إذن هي صفات وأعمال لو حققها الإنسان في نفسه وفي مجتمعه يصل إلى محبة الله، وإن الحديث بصفة الجمع؛ لهو دليل على ضرورة اتصاف الجماعة المنقذة بالمواصفات التي يحبها

(1) المرجع السابق(6 / 363).

الله، كذلك فلابد أن تكون ممن يحبونه، "وحب المؤمنين الصادقين لله تعالى ثبت في قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ . . .﴾ [البقرة: 165] [1].

نعم... إنه الحب الذي يورث حلاوة الإيمان، ولقد تبين ذلك في حديث رسول الله ﷺ: " **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا...** " [2]).

وقوله تعالى: ﴿...فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: 54]، دليل على الاصطفاء والاختيار؛ إنه اختيارٌ للعصبة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض، ويمكن سلطانه في حياة البشر وتحكيم منهجه... وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهاج [3].

وهل في ذلك إلا الحديث عن الجماعة المنقذة، وهل الصلاح والخير والطهارة والنماء إلا يحمل مفهوم الإنقاذ (رسالة هذه الجماعة).

ولاشك أن هذا الاختيار كان بناءً على المواصفات التي حرصوا على تحقيقها في أنفسهم وعملوا بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿مريم: 96]، كذلك قال تعالى: ﴿ . . . وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾ ﴿البقرة 165]، إذن" فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم "[4].

3، 4 أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين:

قوله تعالى: ﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ " نعتٌ لقوم؛ أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم...وليس ذلك من الذل في شيء، ويغلظون على الكافرين ويعادونهم "[5].

فكلمة نعت تعني صفة وكأني به يصف الجماعة المنقذة بذلك، وخاصة أن كلمة " قوم " تعني جماعة –كما تقدم– كذلك فالعلاقة بين المؤمنين القائمة على التواضع والتراحم لها دور في قوتهم ومنعتهم وعزتهم على الكافرين، وحينئذ ينطبق عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿...أَشِدَّاءُ

---

(1) تفسير المنار محمد رشيد رضا (6 / 363)، مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري (1/ 12 / 16) كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، مرجع سابق.

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب_ (4 / 917)، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، سيد قطب–(4 / 918) .

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق د. مجدي سرور سعد باسلوم، دار البيان العربي، شركة القدس للتصدير، ط1 1429 هـ. 2008 م (4 / 134) .

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح: 29]، فالذلة على المؤمنين صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين، وهذه هي الأخوة، ترفع الحواجز، وتزيل التكلف، وتخلط النفس بالنفس فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يُحتجز دون الآخرين، وأما العزة على الكافرين فهي إباء واستعلاء عليهم ولكنها ليست العزة للذات ولا الاستعلاء للنفس؛ إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين [1].

5، 6: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾

هاتان الصفتان هما من أخص صفات المؤمنين الصادقين[2].

فهم يجاهدون في سبيل الله وابتغاء مرضاته ثُمَّ إن تمكنهم في الدين ورسوخهم في الإيمان يجعلهم لا يخافون لومة أحد كائناً من كان لأنهم لا يعملون إلا إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل [3].

وهي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد...وفيم الخوف من لوم الناس وهم قد ضمنوا حب رب الناس "[4].

ولعلي يحضرني قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[التوبة:119]

وقوله تعالى في آية أخرى مبيناً مَنْ هم الصادقون: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** [الحجرات: 15]، فالله تعالى جمع عدة صفات في صفة واحدة لهذه الجماعة التي اصطفاها لحمل الرسالة فجمع الإيمان واليقين والثقة في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾** وهذه ضرورية للجهاد في سبيل الله دون خوف لومة لائم.

وفي خاتمة تفسير تلك المجموعة والحديث عن الولاء ولمن يكون ؟ وما هي مواصفات الجماعة المنقذة نلاحظ ما يلي:

1. أن الآية بدأت بالتحذير من الولاء لليهود والنصارى وانتهت بالحث على الولاء لله وللرسول وللمؤمنين.
2. أهمية الولاء في إقامة حزب الله لإعلاء كلمة الله وتحقيق النصر والتمكين.

---

(1) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب _(919/2)، مرجع سابق.
(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (6 / 364)، مرجع سابق.
(3) انظر المرجع السابق، محمد رشيد رضا_ (6 / 365).
(4) انظر المرجع السابق، سيد قطب_ (4 / 919).

3. الحرص على تحقيق الصفات التي يحبها الله في أفراد هذا الحزب أو الجماعة؛ ليمثلوا القدوة ويكونوا شامة بين الأمم.

4. قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55]، وقوله تعالى: ﴿...تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾ [الفتح: 29].

وكأن هذه الصفة ملازمة لهم في كل أحوالهم فلا يُرَوْنَ إلاَّ على هذه الحال، وهذا دليلٌ واضح على أهمية العبادة والتقرب إلى الله للوصول إلى العزة وإعلاء كلمة الله وإلى النصر والتمكين؛"فإخلاص الولاء لله ورسوله ودينه والجماعة المسلمة القائمة على هذا الأساس ومعرفة طبيعة المعركة وطبيعة الأعداء فيها... أمران مهمان سواء في تحقيق شرائط الإيمان أو في التربية الشخصية للمسلم، أو في التنظيم الحركي للجماعة المسلمة[1].

المجموعة الثانية قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 63–74].

يقول سيد قطب: " هذه الآيات تبرز (عباد الرحمن) بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة وكأنهم هم الخلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال بين البشرية الجاحدة الشاقة والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية، وكأنهم هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل والعزاء المريح لحملة الهدى "[2]

لله درك يا سيد وأنت تتحدث عن هذه الجماعة (عباد الرحمن) كلمات رائعة في الصميم وما أظن روعتها إلا مُسْتَقاة من روعة الآيات وهي تتحدث عن هذه الجماعة المصطفاة وأي اصطفاء أروع من كلمة (عباد الرحمن) وأي شرف أعلى وأسمى من الانتساب إلى (الرحمن)، إلى

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (908/2)، مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن، (2577/5)، مرجع سابق.

الخالق الرحيم بعباده؛ مطيعهم وعاصيهم وكأنه يحث العاصين على التوبة والإقبال والانتماء إلى هذه الجماعة –الجماعة المنقذة– المتصفة بهذه الصفات التي يجب أن تتحقق في هذه الجماعة جيلا بعد جيل حتى لقاء الله ﷻ.

فالصفات وردت كالآتي:

1. التواضع وسمو النفس.
2. الحلم والأناة والإعراض عن الجاهلين.
3. التهجد ليلاً.
4. الخوف والإشفاق من عذاب الله.
5. الاعتدال في الإنفاق أي ترك الإسراف والتقتير.
6. اجتناب الشرك والقتل والزنا (وهي من الكبائر).
7. اجتناب شهادة الزور.
8. قبول الموعظة والنصيحة والإقبال عليها بآذان صاغية وقلوب واعية.
9. الدعاء والابتهال إلى الله بأن يرزقهم زوجات صالحات وأولاد أتقياء وحرصهم على هذه الأمور في الدنيا؛ ليتحقق لهم الصلاح في الدنيا ويمثلون القدوة في حمل الرسالة وإعلاء كلمة الله، أى أن مشيهم يكون في لين وسكينة ووقار ولين وتواضع وأنهم لا يتكبرون ولا يتجبرون ولا يريدون علواً في الأرض هذه أخلاقهم في النهار، أما أخلاقهم في الليل فهي الاشتغال في خدمة الخالق وما دفعهم إلى ذلك هو خوفهم من الله ﷻ، وعلى ذلك استقامت كل أمورهم.[1]

بهذه المواصفات – الدالة على الشمولية والتكامل – استحقت الجماعة المنقذة أن تُسْتَقْبَل في الجنة في مكان خاص بالتحية والسلام كما ورد في الآيات، واستحقت مجاورة الرسول ﷺ في الجنة والذي قال: " إن من أحبكم إليّ أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً "[2].

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (122/6، 121)، مرجع سابق.ومعظم المفسرين.

(2) سنن الترمذي (2018/370/4) أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، تحقيق أحمد محمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 439).

المجموعة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 11-13].

هذه المجموعة من الآيات تميزت بالنهي عن سلوكيات خاطئة لها دور في إشعال الفتنة والأحقاد بين أبناء المجتمع الواحد ولهذا جاء النهي بعد الحديث عن اقتتال الطائفتين المؤمنتين، ليبين أن مثل هذه السلوكيات هي السبب في تفسخ المجتمع المسلم، فالله ﷻ يريد للمجتمع المسلم أن يكون مترابطاً متماسكاً قوياً قادراً على حمل رسالة الإسلام ومواجهة مؤامرات أعداء الإسلام، ولن يتحقق ذلك إلاَّ بالترابط والتعاضد وكما قال رسول الله ﷺ: " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** "(1)، فالدين رباط جامع بين العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق والآداب... ومن المعلوم أن تقدم المجتمعات ورقيها يكون بالأخلاق السوية والآداب العالية (2) فإذا كان هذا الدين يتميز بالشمولية فلابد للجماعة التي تحمله منهاجاً شاملاً أن تحقق التكامل الحقيقي في أفرادها كأشخاص وفي نفسها كجماعة لتكون نبراساً ينير للبشرية دربها ويسمو بها.

وإن المتبع للسلوكيات المنهي عنها في تلك الآيات يجدها أخلاقاً مُنَفِّرة وصفات ذميمة لا تليق بفاعلها.

1. السخرية والاستهزاء
2. التنابز بالألقاب
3. الظن
4. التجسس
5. الغيبة.

وهذه السلوكيات تمس كرامة الإنسان كإنسان؛ ولذلك نهى الله ﷻ عنها لأن أي فرد في المجتمع إنما كرامته من كرامة المجتمع الذي يعيش فيه، فما بالنا بالمجتمع المسلم الذي يأبى إلا أن يقوم على المحبة والترابط بل والنقاء والطهارة كيف لا وهذا المجتمع هو" الذي يقيمه الإسلام

(1) صحيح مسلم(2018/1999/4)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
(2) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي، (2476/3)، مرجع سابق.

بهدى القرآن، مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس وهي من كرامة المجموع، لمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة كرامتها واحدة "[1]

والمتبع للسنة النبوية يجد أن الرسول ﷺ يؤكد على هذه المعاني: فنجده في قوله: "**وإذا ظننت فلا تحقق**"[2] مؤكداً على أهمية تطبيق الآية حتى لا يبنى المجتمع على الأوهام.

كذلك في عدم السخرية والاستهزاء وتحقير الناس ورد قوله ﷺ: " **الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ** " [3] وأراد بذلك احتقارهم واستصغارهم.

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحجرات:12]

فهذه الآية تمثل سياجاً في المجتمع المسلم حول حرمات الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم... ويقيم مبدأ في التعامل معهم... فلا يؤخذون بظنة ولا يُحاكَمون بريبة "[4].

ملاحظة:

1. أن الله ﷻ حينما ذكر المنهيات من السلوكيات والأخلاق السيئة قال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وكأنه أراد أن تُطَهَّر هذه الجماعة المنقذة من كل ما يخدش كرامة أفرادها ولا كرامتها أو يقلل من شأنها، فهي الجماعة التي اصطفاها الله لحمل رسالته للبشرية جمعاء ومن ثم يجب أن تمثل القدوة لهم في أخلاقها و معاملاتها...إلخ.

2. النداء العام في الآية الثالثة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...**﴾ [الحجرات: 13]كأن الله ﷻ يريد أن يرد المجتمع البشري كله إلى خالقه ويذكره بمنشئه، فهذا النداء الرباني للبشرية كافة "هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس و للأرض و للقبلية وللبيت"[5] وفي هذا المعنى قال رسول الله

---

(1) في ظلال القرآن سيد قطب (3344/6)، مرجع سابق.
(2) المعجم الكبير للطبراني (3/ 3227/228)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (7/ 1650).
(3) صحيح مسلم (1/ 91/93) كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، مرجع سابق.
(4) انظر المرجع السابق سيد قطب، (6 /3345)، .
(5) انظر المرجع السابق، (3348/6).

ﷺ: " **كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ** "(1)، أما الميزان الرباني في تقييم الناس والمجتمعات فهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...** ﴾؛ إذن فالميزان هو التقوى ليس الأنساب والألقاب الدنيوية، وكأنه يريد أن يُسَهِّل مهمة الجماعة المنقذة ويُعِدَّ المجتمع البشري للإقبال على هذه الجماعة والله أعلم!

في ختام الحديث عن الأخلاق نخلص إلى:

أولاً: المجموعة الأولى من الآيات تمثل قمة ما تصل إليه الجماعة المنقذة من مواصفات تستحق من خلالها محبة الله ﷻ، كالذلة على المؤمنين و العزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله دون خوف لومة لائم.

ثانياً: ما ورد في المجموعة الثانية من صفات لعباد الرحمن وأعمال يقومون بها تؤهلهم ليصلوا إلى الدرجة المتحققة في المجموعة الأولى وكأن الله يريد بيان أن ما حققوه في أنفسهم من صفات إنما هو الذي يؤهلهم إلى محبة الله وإلى هذه العزة والغلبة التي ذكرها الله في وَصْفِه للجماعة المنقذة: ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: 56].

ثالثاً: ما ورد في المجموعة الثالثة من منهيات كأن الله يريد أن يرتقي بالجماعة المنقذة ويسمو بها عن دنايا الأمور التي تخدش كرامتها كجماعة تحمل رسالة الإسلام وتمثل القدوة لغيرها في تمثيل هذا المنهاج واقعاً في جماعة بشرية تمشي على الأرض تمثل الإسلام في نظافته، نقائه، طهارته بل وإشراقتِه، مقتديةً برسول الله ﷺ وصحابته الكرام أخلاقاً وعباداتٍ ومعاملات.

(1) مسند أحمد مؤسسة الرسالة (14/ 349/ 8736)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

المبحث الرابع
التوازن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفرد والمجتمع

المطلب الثاني: بين الحقوق والواجبات.

المطلب الثالث: بين القيادة والجندية.

المطلب الرابع: بين الترغيب والترهيب.

المبحث الرابع

التوازن

لقد أعياني البحث عن مفهوم التوازن الذي أردت الحديث عنه في مواصفات الجماعة المنقذة، وخاصة أن معظم التعريفات للتوازن تأتي تحت مفهوم الوسطية والاعتدال، فليس هذا الذي قصدت، فالتوازن ليس بالضرورة أن يكون بمعنى التساوي.

فمثلًا؛ في التوازن بين الفردية والجماعة: يمكن أن تغلب المصلحة الجماعية في بعض الأحيان على الحقوق الفردية وهذا لا يتنافى مع العدل.

ومن أجمل ما قرأت في الحديث عن التوازن، أو تعريف التوازن مقارنة بالتوسط والاعتدال ما كتبته أ. غادة الحوطي:

"فالدلالات المعنوية تميز مصطلح التوازن عن بقية المصطلحات؛ هي المقابلة، المحاذاة، القوة، التمكين، التأصيل، التوطين، مؤكدة على عدة مفاهيم:

1. أن التوازن يعطي إحساسًا بالحركة، وهو مرتبط دائمًا بالموقف.
2. التوازن لا يلغي الشيئين ولا يمزج بينهما مستخلصًا وجودًا ثالثًا؛ لأن الإلغاء يصادر الحركة والمقاومة؛ بل يتعاقب الشيئان تعاقب الليل والنهار في حركة دائبة لا تسكن إلا بالشيخوخة ثم الموت.
3. قسمت التوازن إلى عام وخاص معتبرة أن العام يجتهد كل امرئ في الوصول إليه، والخاص يكون بملازمة الصراط أبدًا، وخصصته بالأنبياء"[1].

وأقول إذا كان التوازن بملازمة الصراط أبدًا خاص بالأنبياء، فلا يمنع ذلك أن تحرص الجماعة المنقذة ما استطاعت على تحقيقه اقتداء بالأنبياء وتطبيقًا لقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...**﴾ [الأنعام: 153].

(1) انظر كتاب التوازن معيار جمالي، غادة بنت عبد العزيز محمد الحوطي من (36 ـ 46)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور محمد عبد ربه فياض ط2، 1421هـ - 2000م، الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة.

الآيات التي وردت تتحدث عن التوازن:

1. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد:25]

فالميزان الذي أنزله الله مع الرسل لإقامة العدل هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق في معترك الأهواء ومضطرب العواصف.. ويثوب إليه البشر فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة[1].

والملاحظ في تلك الآية أنها شملت عدة ألفاظ تحمل مفهوم القوة ﴿**الْكِتَابَ**﴾ و ﴿**الْمِيزَانَ**﴾ و﴿**الْحَدِيدَ**﴾.

"فالكتاب يمثل القوة التنفيذية، فإن تشريع السماء لا بد له من قاضٍ يحكم به بالعدل، ولا بد له من قوة تنفذ حكمه، فإن الحق وحده لا يسير إلا بالقوة، وكل ذلك ليقوم الناس بالقسط"[2].

وهذا التوازن بين القوى لابد أن تحرص الجماعة المنقذة على تحقيقه؛ من أجل إقامة العدل وتحقيق النصر والتمكين، كيف لا؟ وهي التي أوكلت لها من الله ﷻ رسالة إنقاذ البشرية من ويلات الظلم والفساد والعدوان والطغيان.

2. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ [الحجر: 21] أي: "كما يشاء وكما يريد؛ لما في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده"[3].

فالحكمة الربانية إذن هي الرحمة بعباده يفسرها قوله تعالى: ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ...**﴾ [الشورى: 27]، إذن حكمته ورحمته تقتضي البسط أحيانًا والقبض أحيانًا أخرى، "أي حسب حاجة الخلق.. وحسب المصالح كما يشاء"[4].

وهذا دليل على أن التوازن – دون التساوي – حكمة ربانية يعلمها الله، وفي قوله تعالى:

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3494)، مرجع سابق.

(2) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي 623/3، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1412هـ.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير_(530/4)، مرجع سابق.

(4) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (100/2)، ط1، 1417 هـ – 1997 م، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورى: 49-50]، دليل على حكمته في الهبة وفي المنع..

"فالرزق والعلم والحكمة والملك يقسمها الله بين عباده بعلمه وحكمته ومشيئته"(1).

3. قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: 7، 8، 9].

فالله ﷻ خلق كل شيء بقدر وحكمة وضبط وتقدير، وأراد من عباده أن يسيروا ضمن منظومة هذا الكون؛ فيقيموا العدل ويحققوا التوازن في كل أمورهم، وكما أن كل شيء بحكمته ومشيئته فمطلوب منهم التسليم والتفويض له، وكذلك مطلوب منهم أن يأخذوا بالأسباب ليتحقق التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، ولقد وردت الآيات لتؤكد على هذا المفهوم، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى متحدثًا عن يعقوب: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: 67]

لقد وازن يعقوب بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، وفي حادثة الهجرة تبين واضحًا كيف أن الرسول ﷺ أخذ بكل الأسباب والاحتياطات الأمنية ثم نجده يقول لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿...لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ [التوبة: 40] ويقول ﷺ: " **ما ظنك باثنين الله ثالثهما**"(2).

وهل بعد ذلك من توازن بين الأمرين، ولنعلم أن "الدين كله ظاهره وباطنه وشرائعه وحقائقه تحت هذه الكلمات النبوية"(3).

هذه الكلمات جاءت بعد اتخاذ كل الأسباب لتبين معنى التوكل الحقيقي، والذي ورد في قوله ﷺ: "**لو أنكم كنتم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**"(4).

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (4/ 2134)، مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري (4663/66/6)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: " ثاني اثنين إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ".

(3) المرجع السابق، سيد قطب، (2/ 919).

(4) سنن الترمذي (2344/573/4)، أبواب الزهد، باب في التوكل على الله، حسن صحيح.

والملاحظ في قوله ﷺ: "**تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**" هناك سعي وعمل، ولم يقل كما يرزق الطير في أعشاشها.

قوله ﷺ: " **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجِزْ** "[1]، دليل واضح على أهمية العمل والأخذ بكل أسباب القوة مرتبطًا بالتوكل على الله والاستعانة به.

"فالأصل أن يستعمل العبد الأسباب التي بينها الله تعالى لعباده وأذن فيها، وهو يعتقد أن المسبب هو الله تعالى.. وتكون ثقته بالله واعتماده عليه في إيصال تلك المنفعة مع وجود السبب"[2]. وهذا ما يجب على الجماعة المنقذة أن تفعله؛ من أجل تحقيق النصر والتمكين، أن تبذل قصارى جهدها في الأخذ بالأسباب وتعلم بعد ذلك أن النتائج ربانية

المطلب الأول: التوازن بين الفرد والمجتمع

للحديث عن التوازن بين الفرد والمجتمع؛ لا بد أن نعرف أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي وازن بينهما؛ فالذي خلق هو الذي شرع، وهو الذي يعلم ما يصلح به الفرد وما يصلح به المجتمع.

فالإسلام يعمل على إيجاد الشخصية الإستقلالية المتميزة وفي نفس الوقت عندها القدرة على التعايش مع المجتمع.

حيث إن كل نفس فيها ميلٌ للشعور بالفردية المتميزة بالكيان الذاتي، وميل مقابل للاندماج في الجماعة والحياة معها وفي داخلها، فالفرد يحس بفرديته وحدود كيانه ورغباته وأشواقه الخاصة ومطالبه وفي نفس الوقت يهفو إلى الجماعية.."[3]

ولقد أكد القرآن على هذا المفهوم مراعيًا هذه الازدواجية في النفس البشرية:

أولاً: على صعيد المسؤولية الفردية قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...** ﴾ [فاطر: 18]، وقال تعالى: ﴿ **بَلْ الْإِنْسَان عَلَى نَفْسه بَصِيرَة ۚ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره** ﴾ [القيامة: 15، 14].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر باب الأمر بالقوة (2664/2052/4) كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله.

(2) شعب الإيمان للبيهقي (79/2) باختصار.

(3) كتاب الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب (111)، دار الشروق، ط 6، 1980م.

فالشعور الدائم بهذه المسؤولية الفردية يحدد للإسلام في نفسه كيانًا متميزًا واضح الحدود ويجعله دائمًا على صلة بخالقه، يشعر من خلالها أنه يحمل قبسًا من نور الله، فلا يخشى إلا الله، ولا يخضع لغير الحق الذي أنزله الله[1].

وحتى يتحقق هذا التكوين المتوازن للفرد لابد له من التدريب على:

1. تقوى الله ومحاسبة النفس وضبط الشهوة.
2. حماسة القلب والصبر والثبات.
3. الحذر واليقظة.
4. التضحية بالنفس والمال.
5. التخلص من الأفكار السلبية السائدة.[2]

ثانياً: التأكيد على ضرورة الجماعة ووجود الروح الجماعية التي تكتنفها روح المحبة والتعاون والترابط، فقال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [المائدة: 2].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح: 29].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾؛ "إيجابًا دينيًا على الناس أن يعين بعضهم بعضًا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادًا وأقوامًا في دينهم ودنياهم، وهذا من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن"، [3] فالله يؤكد ويأمر بالتعاون لتحقيق التوازن في المجتمع والإيجابية بين الأفراد ليكون بعد ذلك النصر والتمكين، وفي الآية الثانية تأكيد على أن هذا التعاون والترابط والتراحم هو سبب قوتهم في مواجهة مؤامرات الأعداء.

فهل هناك أجمل من هذه الروح الجماعية التي يريدها الله ﷻ بين الأفراد في المجتمع؟! وحريٌ بالجماعة المنقذة التي اصطفاها الله أن يتحقق فيها هذا المفهوم، فهذه الروح في الإسلام بصفة عامة تفرض وجودها في الجماعة المنقذة بصفة خاصة.

---

(1) انظر الخصائص العامة للإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي، (142، 139)_مكتبة وهبة، ط1_1397هـ/1977م.

(2) انظر كتاب معالم في الطريق لتحرير فلسطين، د. إبراهيم المقادمة، (264، 265) .

(3) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (6/ 108)، مرجع سابق.

فالجماعة الأولى استطاعت أن تحقق هذا المفهوم، ووجدنا أن الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام قد تميزوا منفردين وتميزوا داخل الجماعة؛ ولقد جسد ذلك اللواء الركن محمود شيت خطاب في وصفه لهم:

لقد تصرف العربي المسلم فرداً، تصرفًا لا يزال يُعتبر من الأعمال الفذة النادرة في حياة البشر، تحمل التعذيب والموت صابرًا راضيًا، وترك أهله وماله مهاجرًا إلى الله ورسوله من أجل عقيدته... وتصرّف ضمن المجموع من أمته تصرفًا لا يزال يعتبر مفخرة من المفاخر، اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحمايتها، فخرجت القوة المؤمنة... تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره، فتتابعت انتصاراتها الباهرة.[(1)]

وهذا هو التوازن الحقيقي الذي جمع بين تميز الفرد بنفسه وتميزه داخل الجماعة؛ فالمسلم يستمد من نزعته الفردية دوافعًا للحركة والنشاط والإنتاج، ويستمد من نزعته الجماعية العون على أداء الأعمال التي لا يقدر عليها بمفرده، ومن ثم تؤدي النزعتان دورهما في الحياة البشرية، وتكونان معًا ضروريتان لكيان الإنسان.[(2)]

وهذا هو الذي يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع، فشعور كل فرد بأنه مجزى بعمله... فهذا عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تُحاسب! مع التخلي عن كل أمل خادع في أن ينفعه أحد بشيء، [(3)] وشعوره بأنه محاسب كفرد- لن يحاسب بفساد غيره، ولن ينفعه صلاح غيره- يجعله دائمًا يقظًا متوقفًا عند كل حركة وسكنة له، محاولًا ما استطاع التزام الصراط المستقيم الذي أمر الله بالتزامه وإتباعه.

ولا يعني ذلك الانزواء عن المجتمع، بل على الفرد أن يحرص على الاندماج في المجتمع محافظًا على ثوابته ونظافة أخلاقه باذلاً قصارى جهده في التضحية وإصلاح المجتمع. فالمجتمع المسلم مجتمعٌ مترابطٌ متماسك وفي نفس الوقت أفراده متميزون، كل منهم له وجوده الذاتي، وحياته الخاصة به، وحسابه الذي يقوم عليه ميزانه في مقام الخير والشر على السواء[(4)]، وفي قوله تعالى:

---

(1) انظر: كتاب بين العقيدة والقيادة، تأليف اللواء الركن محمد شيت خطاب (110)، دار القلم، دمشق، ط 1، 1998 – 1419 هـ.

(2) انظر: كتاب دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب، (132 – 134) .

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (2938/5)، مرجع سابق.

(4) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (11/ 868)، مرجع سابق.

﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ... ﴾ [الشورى: 38]، تأكيد على ذلك؛ "فالأساس في الشورى كفالة الحرية التامة في إبداء الآراء ما لم تمس أصلًا من أصول العقيدة أو العبادة".[1]

وهل بعد ذلك توازنٌ بين الفرد والمجتمع أن يكون الفرد داخل الجماعة له كيانه المتميز وله رأيه يبديه بكل حرية وأمان على أن لا يتنافى ذلك مع مصلحة الجماعة، وفي المقابل عليه الالتزام بما نتج عن الشورى من قرارات.

حقًا إنه التوازن بين الفرد والمجتمع الذي يجب أن تحرص على تحقيقه الجماعة المنقذة حتى تستقيم الأمور ويزيد الإنتاج، ويكون الإبداع والإنجاز، وبذلك تقوى الجماعة وتستطيع أداء رسالتها المنوطة بها ألا وهي تحقيق الاستخلاف.

المطلب الثاني: التوازن بين الحقوق والواجبات

الإسلام حقق التوازن بين الفرد والمجتمع، فحافظ على تميز كيانه واستقلاليته كفردٍ، وكيانه في المجتمع، وكذلك التوازن بين الحقوق والواجبات ولعلي هنا أؤكد على أمرٍ بأن الله الذي كرّم الإنسان وأعطاه حقوقًا فقد أوجب عليه واجبات، حيث إنه لو توقف كل شخص عند حقوقه دون أداء واجباته لاختلت الموازين في المجتمع فمن الحقوق:

1. حرية الاعتقاد، قال تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ...**﴾ [البقرة: 256]، ولكن بشرط ألاَّ تكون حرية الاعتقاد دافعًا إلى الطعن في الإسلام أو التشكيك في مبادئه.
2. حرية التملك مقيدة بمصلحة المجتمع، وأن تكون لها دور في إشاعة التكافل والتراحم.
3. حرمة الدم وحق الحياة توجب عليه المحافظة على حياة الآخرين..
4. حرمة البيت والتي تبينت في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ... فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُ...**﴾ [النور: 27، 28]، فمن أراد أن تحفظ حرمة بيته فيجب ألاَّ يعتدي على بيت غيره.
5. حرمة العرض قال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ولم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا...**﴾ [النور: 4]، فجعل عقوبة القاذف للعرض قريبة من حد الزنا حفظاً

(1) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت (440)، دار الشروق، ط 10، 1400هـ - 1980 م.

للأعراض، وأمام مصلحة الجماعة يجب أن لا يبخل لا بنفس ولا بمال ولا بأمر بمعروف ولا نهي عن منكر؛ لحماية الجماعة ووقايتها والذود عنها.[1]

وفي الختام... يجب أن نعلم أن خاصية التوازن في كل الأمور بما فيه الحقوق والواجبات " قد تميز بها الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب"[2]

إذن لا بد من تميز الجماعة المنقذة التي حملت الإسلام وعملت على رفع رايته أن تحقق التوازن في كل أمورها.

المطلب الثالث: التوازن بين القيادة والجندية

فالقيادة والجندية يتحقق وجودهما في نفس الشخص فهو قائد فيما يحمل من مسؤولية، وجندي في الوقت المناسب يؤدي ما عليه وينفذ بكل انضباط، ويجب أن نعلم أنه لا يصلح للقيادة إلا من أجاد الجندية، فما ذكرناه توازن في الفرد ذاته.

أما وجودهما (أي القيادة والجندية) يفرض تحقيق التوازن، فالقائد يجب أن يتصف بصفات يستحق من خلالها أن يكون قائدًا، والجندي أيضًا يجب أن تتحقق فيه مواصفات من السمع والطاعة والانضباط بالإضافة إلى الشعور بالمسؤولية والمبادرة.. إلى غير ذلك من الصفات التي تحقق معنى الجندية.

فإذا تحدثنا عن مواصفات القائد فلا أولى من ذكر قوله تعالى واصفًا الرسول ﷺ:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ [آل عمران: 159].

وفي قوله تعالى: **﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾**، أي " لينت لهم جانبك... وجعلتك سهلًا سمحًا طلقًا لينًا لطيفًا بارًا رحيمًا"[3].

أما قوله تعالى: **﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾** مع أنه كان مؤيد بالوحي؛ ليكون قدوة للأمة في ذلك، فالقيادة يجب أن تشاور حتى لو أخطأ من معه في الرأي، "فالخير كل الخير في تربيتهم على العمل بالمشاورة"[4].

---

(1) انظر كتاب الخصائص العامة للإسلام، د.يوسف القرضاوي، (142_143)، مرجع سابق.
(2) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تأليف د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم د. عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة الصواري للتوزيع، ط الثانية، 1417هـ – 1996م، 1/ 392.
(3) بحر العلوم للسمرقندي (260/1)، مرجع سابق.
(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (163/40)، مرجع سابق.

فالشورى تربى على تحمل المسؤوليات والجرأة في إبداء الرأي، ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى.. لكان وجود محمد ﷺ – المؤيد الوحي – كافيًا لحرمان الجماعة المسلمة يومها من الشورى[1]، وفي هذا بيان لأهمية الشورى مهما كان القائد يمتلك من المواهب والقدرات.

ولعلي أستقي من هذه الآية بعض المواصفات التي يجب أن تتحقق في القائد:

1. الرحمة والرفق.
2. العفو والمسامحة وقبول العذر إن كان مستحقًا.
3. الاستغفار لهم والتجاوز عن أخطائهم.
4. التشاور معهم وأخذ آرائهم.
5. الحزم في اتخاذ القرار مع تفويض الأمر إلى الله.

وهذا دليل على وجوب اتصاف القائد أولًا وأخيرًا بالربانية.

في المقابل لابد من تحقُّق مواصفات في الجندي وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...**﴾ [النساء: 59].

وطاعة أولي الأمر أي أهل الحل والعقد من المؤمنين إذا أجمعوا على أمرٍ من مصالح الأمة.. فطاعتهم واجبة.. فإن تنازعوا واختلفوا في أمر؛ فيُعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة... وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة[2].

والملاحظ في الآية أن طاعة أولي الأمر واجبة تبعًا لطاعة الله وطاعة رسوله، إذن فالقيادة مُطالَبة بطاعة الله والرسول حتى تستحق أن يُسمع لها وتُطاع، "فالانقياد لأولي الأمر – من آراء وقادة – ليس انقيادًا مطلقًا، بل هو انقياد محكوم بحدود العدل والخير والإحسان"[3].

من خلال هذه الآية نلاحظ بعض المواصفات للجندية:

1. السمع والطاعة الواعية.
2. العلم بالأمور الشرعية.
3. الرجوع إلى القيادة وقت النزاع.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (502/1)، مرجع سابق.

(2) انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا (5/ 147، 148)، مرجع سابق.

(3) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (3/ 821)، دار الفكر العربي. القاهرة.

وإذا أردنا أن نضرب مثلًا من القرآن على التوازن بين القيادة والجندية؛ القائد: سليمان عليه السلام والجندي: الهدهد، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ مَا لِي لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل21، 20].

وفي هذا دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغر حجمه لم يخفَ على سليمان حاله"[1]، وكان بجانب تعهده لشؤون رعيته يمثل القائد الحازم العادل الذي يحاسب المهمل ويتوعّد المقصر، وفي الوقت نفسه يقبل عذر المعتذر، فالحزم في القيادة مهم؛ حتى لا تكون فوضى ومن ثَمَّ تستقيم الأمور.

وفي المقابل الجندي الشجاع المبادر، وهذا دليل أن الجندي الصغير في الجماعة التي يظلها العدل والحرية والأمان لا يمنعه صغره عن أن يرد على الحاكم بشجاعة وقوة، قال تعالى: ﴿ فمكث غير بعيد فقال أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ [النمل، 22]، الملاحظ من هذه العبارة:

أ. الشجاعة والقوة.

ب. روح المبادرة.

ج. حُسْن الخطاب والإلقاء.

طرح القصة في القرآن بهذه الطريقة يدل على وعي الهدهد برسالته، "فنحن أمام هدهد عجيب، صاحب إدراك وذكاء وإيمان وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه وتلميح وإيماء أديب"[2].

وهكذا نجد كيف تحقق التوازن بين قيادة حكيمة حازمة عادلة وجندية منضبطة شجاعة مبادرة، كذلك فهذا التوازن كان مبنيًا على تطبيق شرع الله وعلى ربانية القيادة والجندية، فالقائد: ﴿. . .رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَ...﴾ [النمل: 19]،

والجندي: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: 25، 26].

إذن هو التوازن التي يجب أن تحرص الجماعة المنقذة على تحقيقه بين القيادة والجند ليكون الإبداع والإنجاز والنصر والتمكين القائم على المحبة والترابط والتسامح والشورى اقتداء برسول الله ﷺ.

(1) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي (178/13)، مرجع سابق.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن(2639/5)، مرجع سابق.

المطلب الرابع: التوازن بين الترغيب والترهيب

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن القرآن كله قائم على مفهوم الترغيب والترهيب للفرد وللجماعة ولقد وضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾ [الكهف: 1، 2]

فهذه الآية دليل على أن هذا الكتاب جاء لتربية الفرد والمجتمع على أساس الترغيب والترهيب.

والشاهد ﴿ **لِيُنْذِرَ** ﴾ و ﴿ **يُبَشِّرَ**﴾.

والقرآن زاخر بالآيات التي تتحدث بهذه الطريقة، ولا شك أنها طريقة لها أثرها في الإقبال على الطاعة والانزجار عن المعصية.

وفي ذلك يأتي قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾ [الحجر 49، 50].

أي "يا محمد أخبر عبادي أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا وأنابوا.. وأخبرهم أيضًا أن عذابي لمن أصر على معصيتي وأقام عليها ولم يتب منها، وهذا تحذير من الله لخلقه من الإقدام على معاصيه وأمر منه لهم بالإنابة والتوبة"[1].

وفي صفة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [البقرة: 119].

"وقوله ﴿**بَشِيرًا**﴾ أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، و ﴿**نَذِيرًا**﴾ لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي".[2]

ولا شك أن في ذلك دليل على التوازن في الدعوة إلى الله بين الترغيب والترهيب، ولنضرب مثلًا دالاً على أهمية استخدام الأسلوبين معًا، ورد في قوله تعالى مخاطبًا موسى وهارون: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى... وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ [طه: 43-48].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (17/ 111)، مرجع سابق.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي_ (1/ 64)، انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا_ (1/ 364)، وانظر في ظلال القرآن، سيد قطب_(107/1).

أمرهما الله بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الحق؛ وذلك باستخدام أسلوب الترغيب فإن لم ينفع معه هذا الأسلوب و لم يستجب إذن فالترهيب؛ لعله يكون زاجرًا له.

فالدعوة إلى الله تحتاج في البداية إلى استخدام أسلوب الترغيب ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا**﴾؛ فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم.. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان... فتبدأ الدعوة كما أمرهما الله: ﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى** ﴾،فلعله منهم يتلقى السلام ويتبع الهدى، ثم تهديد وتحذير غير مباشرين: ﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾.[1]

فاستخدام الترغيب والترهيب يحقق التوازن في شخصية المدعو بل وفي شخصية الداعية، وكذلك في أسلوب الدعوة؛ فيجمع بين اللين والحزم، وبين المهادنة والقوة، فالقوة في الطرح ضرورية للداعية فيكون التأثير على المدعو، كذلك لهما أثرهما في تحقيق التوازن التربوي "فهو أسلوب الحكماء.. وموقف الأطباء من المرضى"[2]، فالطبيب يحتاج في بعض الأحيان إلى إجراء جراحة خفيفة من أجل شفاء المريض، وقد يحتاج في بعض الأحيان إلى عملية بترٍ لأحد أعضاء المريض من أجل فائدته.

وعقاب الأم لابنها يكون في بعض الأحيان رحمة به وحبًا له..

ولولا حب الله لعباده ورحمته بهم لما بيّن مدى عقابه في الآخرة على المعاصي من أجل أن ينزجروا عنها في الدنيا، فالعقاب أسلوب من أساليب التربية له أهميته بعد استخدام كل الأساليب.

إذن على الجماعة المنقذة أن تحرص على تحقيق التوازن بين أسلوبي الترغيب والترهيب لتصل إلى مُبْتَغاها وهو النصر والتمكين وتحقيق الاستخلاف، وذلك من خلال الارتقاء بأفرادها ومن ثم الارتقاء بالمجتمع.

(1) انظر: في ظلال القرآن (4/ 2336، 2337)، مرجع سابق.

(2) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (8/ 795)، مرجع سابق.

المبحث الخامس

المرونة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الثوابت والمتغيرات في حياة الجماعة المنقذة.

المطلب الثاني: الوحدة حول الثوابت.

المطلب الأول: الثوابت والمتغيرات في حياة الجماعة المنقذة

في الحديث عن الثوابت والمتغيرات في حياة الأمة، لابد من معرفة أنه حديثٌ عن ثوابتٍ في العقيدة، ومتغيراتٍ في الشريعة.

وأن المتغيرات إن لم تكن على أساس الثوابت إذن فهي على أساس الهوى.

والجماعة المنقذة – كجزء من هذه الأمة، بل لعلها تكون النواة ذات الدور البارز في إعادة الأمة إلى ثوابتها وعزتها وكرامتها– يجب ألا تبتعد عن هذا المفهوم؛ فالثوابت والمتغيرات في حياة الجماعة المنقذة دليل مرونتها القائمة على أساس الإسلام، والذي اتخذته منهاجاً ونبراساً في مسيرتها.

فإذا ذكرنا الثوابت والتي هي أصول الدين –العقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق والمبادئ – فلنعلم أن المتغيرات تكون في الفروع المبنية على الأصول.

وإذا كان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من الثوابت – انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...**﴾ [البقرة: 177]، فإن من ثوابت الجماعة المنقذة (الولاء والبراء) وهو من الأمور العقدية التي لا جدال فيها؛ فالله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ...**﴾ [المائدة: 51]، وقال في آية أخرى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ...**﴾ [الممتحنة: 1].

ولقد أثنى الله على إبراهيم ومن معه لما تبرءوا من قومهم، ومن ثَمَّ أراد منا أن نتخذهم قدوة في قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...**﴾ [الممتحنة: 4]، بل إن الله تعالى شدّد على عدم موالاة غير المؤمنين – حتى لو كانوا من أقرب المقربين – في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [التوبة: 23]، " فالله نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين؛ فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان"[1]، إذن فالولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين مقومات ومبادئ ثابتة ليست خاصة بجيل من هذه الأمة دون جيل، إنما هي أساس النشأة للفرد

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (10/ 398)، مرجع سابق.

المسلم وللجماعة المسلمة في كل جيل... وهذه هي طريقة المنهج القرآني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها لدورها الذي قدره الله لها[1].

والحكمة من ذلك أن تبقى الأمة قوية متماسكة متوالية مع بعضها البعض؛ لتتمكن من أداء رسالتها المنوطة بها الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ...**﴾ [التوبة: 71].

فقد"أوجب القرآن الكريم التعاون بين أبناء أمة الإيمان وحدهم والاعتماد على أنفسهم وإشاعة الثقة والمناصرة فيما بينهم، وتكوين أمةٍ واحدة متعاضدة متآزرة في السراء والضراء، لها شخصيتها المستقلة وكيانها الذاتي المستقل"[2].

إذاً فتحرير الولاء لله، والبراء مما سواه؛ هو من الثوابت التي لا نقاش فيها في حياة الجماعة المنقذة؛ لتؤدي رسالتها في النصر والتمكين، ولتحافظ على تماسك الأمة وقوتها، وفي المقابل فإن هذه الجماعة تعيش واقعاً مطلوبٌ منها التعامل معه بإيجابية بعيداً عن الانعزال والانطواء؛ حتى تستطيع التأثير فيمن حولها، وتتمكن من أداء رسالتها على أكمل وجه، فلابد إذن من التعامل على أساس فقه المتغيرات، ولم يغفل القرآن هذا الأمر، فكما ورد الأمر بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى في سورة المائدة، وعن اتخاذ أعداء الإسلام أولياء في سورة الممتحنة – وهذا قاعدة – فإن القرآن ذكر المتغير في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8].

أي "سامح أو رخص الله في مواصلة الكفار الذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يطردوهم من ديارهم" [3].

وهذا استثناء أراد الله ﷻ أن يبين من خلاله مدى الاهتمام بفطرة الإنسان التي تميل إلى الألفة والمحبة، ولكن هذا لا يكون على حساب العقيدة والدين، فالإسلام دين سلام وعقيدة حب ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله وأن يقيم منهجه... وليس هناك من عائق يحول دون اتجاهه إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله [4]، وهذا هو الثابت الأول.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2/ 907)، مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (469/1)، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق(2638/3)، مرجع سابق.

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3544/6)، مرجع سابق.

أما الثابت الثاني في حياة الجماعة المنقذة؛ والذي هو من الأهمية بمكان لتحقيق عزة الأمة ولتكون مكانتها مهابة بين الأمم قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ...** ﴾ [الأنفال: 60].

بعدما تحدثنا في الثابت الأول والذي أتى بالمفهوم العقدي: "الولاء والبراء"، فإن الثابت الثاني يأتي تحت بند المعاملات؛ وهي من الأصول والأسس التي بُني عليها الإسلام للمحافظة على مكانة هذه الأمة ومنعتها.

بل يجب أن نعلم أن الوضع الذي تعيشه الأمة في هذه الأيام في ظل الاحتلال لبعض الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها فلسطين، يصبح الجهاد فرض عين انطلاقاً من إجماع الفقهاء [1] أنه إذا نزل الكفار ببلد معين تعيّن على أهله قتالهم ودفعهم.

فنجد التركيز على استخدام الجهاد كوسيلة لتحرير الأرض، وعدم التفاوض والمسالمة إلا بعد أخذ كل أسباب القوة، وقد بيّن سيد قطب أهمية إعداد العدة واستكمال القوة لهذه الأمة بأقصى الحدود الممكنة لتبقى الأمة القوة العليا في الأرض، وتبقى مُهابة الجانب من باقي الأمم فلا حاكمية إلا لله ولا سلطان إلا له ويكون الدين كله لله[2].

فالقرآن الكريم هو دستور الأمة يعلمها ويرشدها إلى ضرورة الاستعداد الحربي الدائم لقتال الأعداء حتى في حال السلم ووجوب الحذر الدائم من مخططاتهم و أن الاستعداد والإعداد يكون بجميع أوجه الأعداد المادي والمعنوي والفني والمالي وبنفس المستوى الحربي والسلاح المتطور [3].

ولقد وضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ. .** ﴾[الأنفال:61] كما حدث في حرب حجارة السجيل؛ أن تُوقَفَ الحرب بهدنة مؤقتة مبنية على شروط المقاومة.

هنا نستطيع القول أن هذا تعامل مع المتغير دون المس بالثوابت، ولإثبات هذا المفهوم أعلنت فصائل المقاومة في الآونة الأخيرة تمسكها بثوابت الأمة، ودعت المفاوض الفلسطيني أن يعود إلى أحضان شعبه والتمسك بثوابته مؤكدة أنه ليس فينا ولا منا من يضع ثوابت الأمة على طاولة المفاوضات ويخضعها لمزاجه، وأكدت أن أي اتفاق يمس بالثوابت يُعتبر في حكم الباطل.

---

(1) منهم ابن تيمية في مجموع الفتاوى (258/28)، وابن قدامة في المغني (197/9)، والرملي (1004 هـ) نهاية المحتاج (59/8)، وابن عابدين في الدر المختار وحاشية ابن عابدين رد المحتار (4/ 124)، والدسوقي في حاشيته (175/2)، وعبد الله عزام في كتابه الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان (21) .

(2) انظر: في ظلال القرآن، (1538/2)، مرجع سابق.

(3) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي_(816/1-817)، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الوحدة حول الثوابت

بعد الحديث عن الثوابت والمتغيرات في حياه الجماعة المنقذة، ننتقل للحديث عن الوحدة حول هذه الثوابت، ولنعلم أن تلك الثوابت ضرورية لتحقيق مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام من أجلها، وأيضاً تحقيق ثوابت التمكين في الأمة وهي: الحرية، والعدل، والأمن، والاستقرار.

الأساس الأول: وحدة العقيدة والمنهج:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 92]، وفي آية أخرى ﴿...**وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: 52]، أي " إن هذه أمتكم أمة الأنبياء أمة واحدة تدين بعقيدةٍ واحدة وتنهج منهجاً واحداً؛هو الاتجاه إلي الله دون سواه... أمة واحدة وفق سنّة واحدة، تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء"[1]، " فإذا كان الدين يحكم الحياة بقيمه ومقاصده وقواعده العامة وأحكامه القطعية، فإن ذلك يعد كافياً لوحدة المنهج؛ولذلك أُعْطِيَت الأمة كلَّ أصلٍ ديني بدليله وحكمته وكُلِّفَت العدل والاعتدال في الأمر كله"[2].

إذن وحدة العقيدة هي أساس وحدة هذه الأمة بعيداً عن النعرات القومية والعصبية القبلية، أمة واحدة تجتمع على عبادة الله وتستظل برايته تعمل على نصرة دينه، بهذا تتميز الأمة وبه تقوى وتكون لها مكانتها الريادية بين الأمم في كل المجالات وعلى كل صعيد فإن الله أمر الناس بوحدة الدين والملة والسياسة؛ لأن دين الأنبياء دينٌ واحدٌ وملةٌ واحدة، ألا وهو الإسلام والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له... وأما اختلاف الفروع والجزئيات من شرائع وأحكام فرعية فهو حسب اختلاف الزمان والحال. [3] مع الحرص على ألاَّ يكون هذا الاختلاف مؤثراً على التمسك بالثوابت والأصول.

الأساس الثاني: وحدة اللغة:

تعتبر اللغة العربية من مقومات وحدة الأمة كيف لا ؟ وقد نزل بها القران ولا تُقْبَل الصلاة إلا بقراءة القران باللغة العربية، " وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[4]، والمعلوم أن" ومعرفة اللغة العربية من ضروريات دين الإسلام؛ لأن الله أمرنا بتدبر القرآن الذي لا تقوم معجزته إلا بفهمه ولا يمكن فهمه إلا بفهم اللغة العربية الفصحى"[5]، ولهذا نجد مؤامرات الأعداء تُوَجَّه إلى

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (4/ 2296)، مرجع سابق.
(2) انظر تفسير المنار (7/2)، مرجع سابق.
(3) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، (2/ 1698).مرجع سابق.
(4) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، (419)، مرجع سابق.
(5) انظر تفسير المنار (26/1)، مرجع سابق.

هدم اللغة العربية عند أبناء الأمة بعدة مظاهر:

1. توجيه أبناء الأمة إلى اعتماد اللغة العامية وهذا له دور في تمزيق الأمة.
2. التركيز على أن تكون اللغة الإنجليزية هي لغة التفاهم في العالم.
3. بل إننا أصبحنا نجد أن أبناء الأمة لا يفتخرون بلغتهم العربية الفصحى ويعتبرون أن التقدم بغيرها.
4. والأدهى من ذلك حينما نجد من أبناء الأمة من يدعو إلى تعليم اللغة العامية للطلاب في المدارس.

من هنا وجب على الجماعة المنقذة أن تحرص على ترسيخ مفهوم الاعتزاز باللغة العربية الفصحى، والتركيز على أن تكون هي لغة التفاهم بيت أبناء الأمة قاطبةً ولا يمنع ذلك من تعلُّم لغات أخرى فمن تعلَّم لغةَ قومٍ أَمِن مَكْرَهم بشرط ألاَّ يكون ذلك على حساب اللغة العربية والتي تمثل وحدة الأمة، وهذا من باب الجمع بين الثوابت والمتغيرات جمعاً متوازناً.

ولنعلم أنه بالتمسك بالثوابت تستعصي هذه الأمة على عوامل الانهيار والفناء أو الذوبان في الأمم الأخرى، وبالثوابت يستقر التشريع وتُتَبَادَل الثقة وتُبْنَى المعاملات والعلاقات على دعائم مكينة وأسس راسخة لا تعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية [(1)]، وبالتعامل مع المتغيرات تستطيع الجماعة أن تتكيف وتكيف علاقاتها وتطور نفسها وغيرها حسب متطلبات العصر وتتعامل مع المتغيرات دون أن تمس بالثوابت، ولكن الخطر كل الخطر أن تصبح المتغيرات هي الأساس أو الأصل في التفكير والسلوك.

وإذا كانت الجماعة الأولى كما ورد في وصفها أنهم: "لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة، ولا تستخفنهم قوة، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوّامين بالقسط شهداء لله"[(2)].

فحري بالجماعة المنقذة التي أخذت على عاتقها حمل رسالة الإسلام وإنقاذ المجتمع المسلم مما علق به من أوضار الجاهلية الحديثة أن يتصف رجالها بهذه الصفات؛حتى يعيدوا لهذه الأمة وحدتها وعزَّها ومجدَها وحتى يكون لهم دور في إعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين من أجل بناء دولة الإسلام.

وفي الحديث عن وحدة الأمة، قال تعالى: ﴿...**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**...﴾[آل عمران: 103]

---

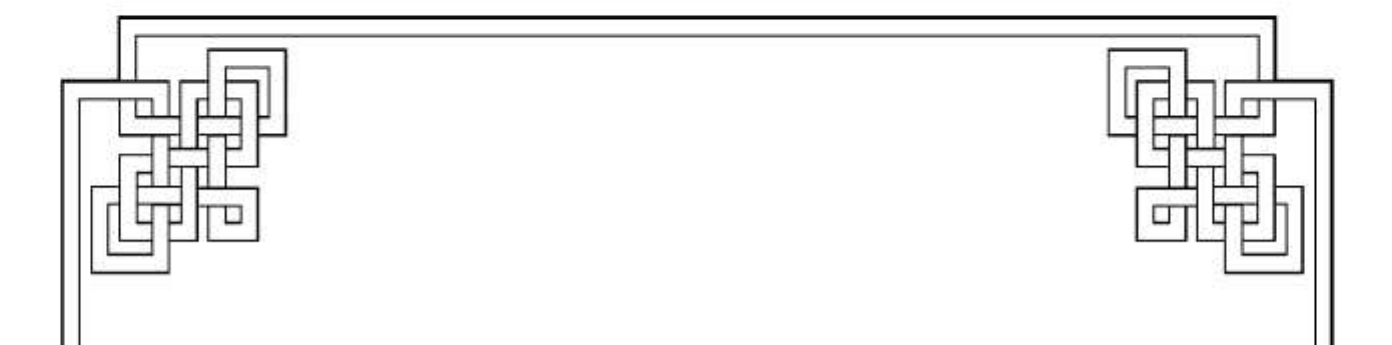
(1) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ط1 1397 هـ – 1977 م، (207).
(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي، ص74، ط2.

مبيناً كيف كان العرب الجاهليون قبل مجئ الإسلام في حروبٍ مستعرة وعداواتٍ وأحقاد، فلما جاء الإسلام انتزع من قلوبهم الحقد وطهرهم من العداوة، ومَنَّ الله عليهم بالألفة والوحدة؛ وحّد عقائدهم، ووحّد أهدافهم، فجعل من العقائد المتفرقة المتناقصة المتخلفة، عقيدة واحدة هي الإسلام، وجعل من أهدافهم الكثيرة المتصارعة هدفاً واحداً هو إعلاء كلمة الله ونظّمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة... وجعل الفرد يعمل لمصلحة الأمة العليا وخَلَقَ فيهم انسحاباً مادياً ومعنوياً فأصبحت قواتهم الضاربة تعمل بنظامٍ وضبطٍ بقيادةٍ واحدةٍ؛ لتحقيق هدفٍ واحد، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها إخوةً في الله، يتحابون بنور الله بينهم، وهم أمةٌ واحدةٌ ذاتَ عقيدةٍ واحدةٍ تحيتُها السلام ودينُها الإسلام [1]

وكأنى به يصف الجماعة المنقذة وهي تحرص على تحقيق كل ذلك في الفرد وفي المجتمع ومن ثم الأمة، وخاصة أنه يوجد الكثير من المظاهر التي تتوحد عليها الأمة، والتي يمكن للجماعة أن تستثمرها؛من أجل الارتقاء والنهوض بالأمة، ومن هذه المظاهر:

1. الصلاة والتي يتساوى فيها الجميع بل إن تحديد مواعيد الصلاة؛ له دور في استشعار الوحدة عند المسلم.
2. الصيام في رمضان حين يستشعر المسلم أن كل المسلمين في العالم يشاركونه هذه العبادة.
3. الحج واجتماعهم فيه في مكانٍ واحد، ووقتٍ معين، وشعائرَ محددة.
4. الأعياد، عيد الفطر وعيد الأضحى حينما يستشعر المسلم أن المسلمين في كل مكان يحتفلون بهذه الأعياد.
5. الأيام التاريخية في حياة أمة الإسلام وأثرها في الشعور بالوحدة:
   أ- الإسراء والمعراج.
   ب- المولد النبوي.
   ت- رأس السنة الهجرية.
6. الوحدة على الصعيد السياسي: القدس وفلسطين هي القضية المحورية التي تجتمع عليها الأمة، كل هذه المظاهر لها دور في وحدة الأمة، فعلى الجماعة المنقذة أن تبادر لاستثمار هذه المظاهر في أداء رسالتها وتوعية أبناء الأمة بدورهم الحقيقي في عزة الأمة والنهوض بها لتحقيق النصر والتمكين وبناء دولة الإسلام.

(1) انظر: كتاب بين العقيدة والقيادة اللواء الركن محمود خطاب (105)، ط1، 1419 هـ – 1998م، دار البشير– جدة.



الفصل الرابع

الجماعات الإسلامية المعاصرة "دراسة تطبيقية"

وفيه مبحث واحد:

المبحث الأول: المنهج الفكري للجماعات الإسلامية المعاصرة

المبحث الأول
المنهج الفكري للجماعات الإسلامية المعاصرة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أنصار السنة المحمدية.

المطلب الثاني: الصوفيـة.

المطلب الثالث: جماعة التبليغ.

المطلب الرابع: حزب التحرير.

المطلب الخامس: جماعة الإخوان المسلمين.

المبحث الأول

المنهج الفكري للجماعات الإسلامية المعاصرة

إن الحديث عن أي جماعة هو من باب الموضوعية والبحث العلمي ليس من باب الإنقاص ولا إقلال الجهود، ومن باب التقييم والتقويم وليس من باب النقد لذاته؛ وذلك من أجل الوصول إلى أنجع الوسائل لبناء دولة الإسلام ومن هنا كان لا بد أن تُعرض كل جماعة -من خلال أهدافها التي وضعها مؤسس هذه الجماعة، والوسائل التي تسير عليها- على مواصفات الجماعة المنقذة التي وردت في الدراسة لمعرفة أي الجماعات تنطبق عليها هذه المواصفات.

المطلب الأول: جماعة أنصار السنة المحمدية

النشأة والتأسيس:

أ. تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام 1345 هـ- 1926م، بمدينة القاهرة، حي عابدين، على يد الشيخ محمد حامد الفقي[1] ومجموعة من إخوانه[2].

ب. معتقدات الجماعة:

لخصها أحد قادة الجماعة[3] في 10 نقاط أذكر منها:

1. أن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة والأئمة المجتهدون.. نجلهم ونعظمهم وندافع عنهم، ونتبعهم إتباع المستنير المتأمل.
2. إن صفات الله ﷻ كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ، حقيقة من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل.
3. إفراد الله وحده بالعبادة من نذر وحلف..
4. أن الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج عنه العمل ويظهر على الجوارح.
5. أن الإسلام دين ودولة وعبادة وحكم، وصالح لكل زمان ومكان[4].

---

(1) فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، ولد بقرية (جزيرة نكلة العنب) محافظة البحيرة بمصر 1310هـ، من خريجي الأزهر، بدأ دعوته إلى الكتاب والسنة، والدعوة السلفية في أثناء فترة دراسته بالأزهر، وبعد عمل عظيم وعمر زاهر، توفي إلى رحمة الله تعالى في 7 رجب، 1378هـ، وهو الذي تولى رئاستها حتى توفاه الله، المصدر: الطريق إلى جماعة المسلمين، د. حسين بن محسن بن علي جابر_ (28). ونقلًا عن مجلة الهدي النبوي العدد23-(69 - 73).

(2) الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، محمد صالح الشريف، عثمان صباح الخير.

(3) محمد حسين هاشم، رسالة المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

(4) انظر: كتاب الطريق إلى جماعة المسلمين، د. حسين بن محسن بن علي جابر ص 283، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (192، 193).

أهداف الجماعة:

1. توثيق روابط الأخوة والتضامن.
2. الدعوة إلى التوحيد الخالص.
3. إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله.
4. تنشئة الشباب تنشئة دينية ثقافية .
5. و الهدف الأساسي هو بناء دولة الإسلام [1].

وهاهي بعض العبارات التي كتبها د.جمال المراكبي[2] مؤكداً على ذلك:

أ. "والنصوص الشرعية تحث المسلمين على الوحدة حول كتاب الله ﷻ وشرعه ومنهاجه خلف إمام المسلمين وإن جار، ضمن جماعة المسلمين، السواد الأعظم".

ب. "نحن جميعًا مأمورون بالتمسك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، بكتاب الله وسنة رسوله في إطار جماعة المسلمين".

ج. "إن واجب الدعاة والعلماء أن يبثوا في نفوس المسلمين هذا الفهم السليم وأن يُعلِموا الناس أن الدين الإسلامي كل لا يتجزأ، وأن الوحدة الإسلامية ضرورة واجبة بمقتضى الشرع ومقتضى العقل".

د. "إن الواقع لن يتغير في يوم وليلة ولكن ينبغي علينا حكامًا ومحكومين أن نسعى لتغيير الواقع".

هـ. "ولزوم الطاعة واجب على المسلمين وإن جار الإمام، ومنع الحقوق وخرج عن منهاج النبوة الراشد".

و. "إن الوحدة الإسلامية لن تتحقق حتى يسبقها شعور عام بالأخوة العامة بين المسلمين"[3].

الملاحظ أنه كان يتكلم بصفة التعميم لا بصفة التنظيم: شعور عام، أخوة عامة، نحن جميعًا مطالبون، السواد الأعظم.

---

(1) المرجع السابق، (283)، نقلًا عن اللائحة الداخلية للجماعة من 1-3.وأنوه أنني بحثت في مواقع الإنترنت وفي الجامعة الإسلامية عن كتب الجماعة فلم أجد.

(2) أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية.

(3) انظر: الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراة في الحقوق تحت إشراف أ.د. محمد ميرغني خيري، أستاذ ورئيس قسم القانون العام، كلية الحقوق، جامعة القاهرة 1414هـ، د.ط، (56 – 80).

وأقول: كيف سيكون الوصول إلى الدولة الواحدة والخلافة الراشدة؟ هل سيكون ارتجالًا؟ دون تخطيط ودون تنظيم؟ ودون مراحل؟

فهو يتحدث عن الوحدة بالمفهوم العام ثم يقول أنها طريق إلى الدولة الواحدة والخلافة الراشدة، فلا أدري كيف؟ وعلى أي أساس ستقوم الوحدة التي يتحدث عنها؟وخاصة أنه أثناء حديثه قال: لتبدأ الوحدة بأي صورة كانت... المهم أن تبدأ، وأن نعمل على أن تبدأ...[1] على حد قوله.

نخلص إلى: أن أهداف الجماعة عالية ومبشرة وراقية، وعقيدتهم صافية من شوائب البدع والخرافات، وحرصهم على العلم والاجتهاد، وأن الإسلام دين ودولة وعبادة وحكم..

لكن وسائلهم لا ترقى لتحقيق تلك الأهداف؛ فلقد اقتصرت وسائلهم على الأمور العامة كالدعوة إلى المؤتمرات، وبناء المساجد والمدارس وإلقاء المحاضرات، ونشر الكتب التي وضعتها الجماعة، فكل ذلك _على أهميته _لا يرقى لتحقيق الأهداف التي وضعتها الجماعة نصب عينها، ولعل السبب في قصور الوسائل عن تحقيق الأهداف يرجع إلى سببين[2]:

الأول: أن ميدان عمل الجماعة محدد من قبل الدولة[3].

الثاني: أن الحكومة المصرية تعتبر الجماعة مؤسسة تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية[4].

فالجماعة ربانية من خلال الأهداف، لكنها:

أولاً: لا تحمل مفهوم الشمولية والتكامل؛ يتضح ذلك من خلال الوسائل ومما ورد في لائحتها.

ثانياً: لا تتسم بخاصية التميز والتي تشمل التخطيط والتنظيم.

ثالثاً: لم تحقق التوازن بين كل الجوانب فتمسكت بأمور وتركت أخرى.

إذن لا تحمل مواصفات الجماعة المنقذة التي وردت في الدراسة، ولا أقول ذلك إنقاصًا للجماعة، فللجماعة دور وما يزال في نشر الدعوة وفي هداية الكثير من الشباب إلى الإسلام، وأسأل الله أن يوفق إخواننا في جماعة أنصار السنة المحمدية أن ينتبهوا إلى جوانب القصور ويكملوها ليستطيعوا تحقيق الأهداف التي وضعوها.

---

(1) نفس المرجع.

(2) انظر: المرجع السابق، د.حسين بن محسن بن علي جابر، (297، 298).

(3) البند الثالث من لائحة الجماعة: (لا يجوز للجماعة أن تجادل في الأمور السياسية أو العقائد الدينية).

(4) البند الثامن والعشرين من اللائحة (لوزير الشؤون الاجتماعية أن يعين ممثلًا عن الوزارة وممثلًا لكل هيئة من الهيئات في أعضاء مجلس الإدارة، نقلًا عن اللائحة الداخلية للجماعة ص 25.

المطلب الثاني: الصوفية

إذا أردت الحديث عن هذه الجماعات لن أتحدث عن البدع والشركيات والشطحات؛ لأن هذا يستنزف وقتًا طويلًا ولا يؤتى أكله، ولكن من باب الموضوعية والبحث العلمي لابد من الحديث عنها؛ لوجودها على الساحة الإسلامية، ومن ثم بيان ماهية هذه الجماعات ومدى موافقتها لمواصفات الجماعة المنقذة التي وردت في القرآن الكريم.

أقوال العلماء في الصوفية...

1. **ابن تيمية:**

يقول " والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، فمنهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلاً؛ فإن أكثر مشايخ الطرق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد سيد الطائفة وغيره" (1).

وأريد التنويه أني بدأت بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من باب الإنصاف وخاصة أن د. القرضاوي أكد على ذلك في قوله:

"لقد وجدت شيخ الإسلام ابن تيمية، مع صرامته في الالتزام بمنهج السلف وشدته في مقاومة البدع – يقف من التصوف والصوفية هذا الموقف الوسط العدل؟ وهذا من إنصافه وسعة علمه ورحابة أفقه رضي الله عنه (2).

2. **الإمام ابن القيم:**

يقول في شرحه لرسالة الهروي: " شيخ الإسلام حبيبٌ إلينا، ولكن الحق أحبُّ إلينا منه، وكلٌّ –ما عدا المعصوم ﷺ – فمأخوذٌ من قوله ومتروك، وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس: إحداهما حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم........

والثانية حجبوا مما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم– عن رؤية عيوب شطحاتهم...وأجروا عليها حكم القبول"(3).

(1) كتاب مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري القاهرة، 2000/1421م(202/1).
(2) كتاب الربانية والعلم، د. يوسف القرضاوي (9)، مرجع سابق.
(3) انظر: مدارج السالكين_(ج2، ص38)، مرجع سابق.

3. د. القرضاوي:

يتحدث عن نفسه في بداية حياته: "وهكذا كان التصوف عندي فكرًا وروحًا وخلقًا، لا عهدًا على شيخ ولا التزاما بطريقة من الطرق الصوفية.. كما صرفني عن الطرق ما دخل عليها من خلل واضطراب في الفكر وفي السلوك، وكذلك فُقِد أهل الصدق والإخلاص في صفوف قوادها إلا من رحم ربك"[1] ثم ذكر بعض المآخذ:

1- قبول الإسرائيليات.

2- أخذ ما يروى من الأحاديث النبوية و التسليم به دون التمييز بين ما يُقْبَلُ وما يُرَدّ.

3- الثقة المطلقة لشيوخهم فما قال فهو حق وما أمر به فهو مطاع دون أن يُعْرَض ذلك على الشرع[2].

والملاحَظ أن الجماعات الصوفية تعنى بشكل عام بباطن الفرد وتهذيب روحه، وإن الاقتصار على هذا الجانب وإهمال الجوانب الأخرى يمثل انحرافاً كبيراً في الفهم والمنهج التربوي معًا[3]، وتتمثل الخطورة في عدم القدرة على مواجهة التحديات ومن ثم القصور عن تحقيق الرسالة التي أرادها الله؛ألا وهي الاستخلاف.

فالارتقاء الروحاني مطلوب من أجل تحقيق الربانية في الفرد وفي الجماعة؛ ولكن الربانية التي نريدها: "ربانية نقية، واضحة الغاية، بينة الطريق، مستقيمة على أمر الله متبعة لسنة رسول الله، نهج السلف...تسمو بالنفس وتزكي الروح وتحيي الضمير" [4].

الربانية الحقيقية التي تنبثق من قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]

إذن... التصوف الحقيقي الذي تحدث عنه شيخ الإسلام، إذا اقتصر على ذلك دون حمل باقي الإسلام وتطبيقه فهو صلاح وليس إصلاحاً وبالتالي لا يتوافق مع مواصفات الجماعة المنقذة التي اصطفاها الله لحمل رسالة التغيير والإصلاح الذي حمله الرسول ﷺ وأراد الله من هذه الأمة أن تحمله حتى قيام الساعة.

---

(1) انظر كتاب الربانية والعلم، (6، 7)-مرجع سابق.

(2) انظر المرجع السابق(، 19، 20).

(3) انظر: كتاب الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د.صادق أمين(91، 92).

(4) الربانية والعلم، د.يوسف القرضاوي، (18) مرجع سابق.

المطلب الثالث: حزب التحرير

النشأة والتأسيس:

تأسس حزب التحرير عام 1952، على يد الشيخ تقى الدين النبهاني، وهو حزب إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس والدعوة إليه والسعي لإقامة الخلافة الإسلامية معتمدًا الفكر أداة رئيسية في التغيير [1].

معتقدات الحزب:

1. اعتبر الحزب أن الطريق إلى الإيمان هو العقل، وأن القيادة الفكرية " مبنية على العقل؛ إذ تفرض على المسلم أن يؤمن بوجود الله وبنبوة محمد وبالقرآن الكريم عن طريق العقل، وتفرض الإيمان بالمغيّبات على أن تأتي من شيء ثبت وجوده بالعقل، كالقرآن والحديث المتواتر"[2]، وبناءً على ذلك حرّم الحزب على من يدخله أن يعتقد بعذاب القبر وخروج المسيح الدجال؛ لأن أحاديثها ظنية الدلالة[3].

2. بما يخص القضاء والقدر أن الإنسان "مختارٌ في الإقدام على الفعل والإقلاع عنه؛ بما وهبه الله من العقل المميّز وجعله مناط التكليف الشرعي... وكان جزاؤه على هذا الفعل حقًا وعدلًا؛ لأنه مختار في القيام به وليس مجبرًا عليه ولا شأن للقضاء والقدر فيه[4]".

3. نظام الحزب يُلغي المفهوم الروحاني في الإنسان:

" ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات عضوية وغرائز لا بد من إشباعها، ومن الغرائز؛ غريزة التدين التي هي الاحتياج إلى الخالق المدبر الناشئ عن العجز الطبيعي في تكوين الإنسان، وإشباع هذه الغرائز لا يسمى ناحية روحية ولا ناحية مادية وإنما هو إشباع فقط"[5].

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الناشر دار الندوة، ط /4_ 1420، (341/1).

(2) كتاب نظام الإسلام، تقى الدين النبهاني ط 1953/1، ط/ 6 _2001م، (43)، من منشورات حزب التحرير.

(3) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، صادق أمين، (118)، مرجع سابق.

(4) انظر: كتاب نظام الإسلام، النبهاني(20، 21).

(5) نظام الإسلام للنبهاني (73)، مرجع سابق.

فحزبٌ هذا مفهومه عن الجانب الروحي في الإنسان وأن الأمر مجرد نوازع واحتياج وإشباع، فماذا يُنتظر منه في إقامة دولة إسلامية؟ وعلى ماذا تقوم هذه الدولة؟ بل كيف يكون دوره في تربية أفراده وكيف تكون عبادتهم وأخلاقهم؟

فها هو د. صادق أمين[1] يعلّق على ذلك فيقول: " ونظرًا لانحسار مفهوم الروح عند الحزب؛ فقد أهمل النوافل والذكر، وكل ما شأنه إحياء القلب وكان نتيجة ذلك جفافًا روحيًا بارزًا عند أعضاء الحزب، وضعفَ صلةٍ بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وعدم التزام كامل بأحكام الإسلام". [2]

أهداف الحزب:

في الحديث عن الأهداف ننقل أقوال الشيخ تقي الدين النبهاني:

أ." هذا هو السبيل الوحيد للنهضة: حمل القيادة الفكرية الإسلامية للمسلمين؛ لاستئناف الحياة الإسلامية، ثم حملها للناس كافة عن طريق الدولة الإسلامية." [3]

ب. ويقتضي حمل الدعوة الإسلامية أن تكون السيادة المطلقة للمبدأ الإسلامي، بغض النظر عما إذا وافق الجمهور أم رفضوه وقاوموه، فحامل الدعوة لا يتملق الناس... ولا يعبأ بعادات الناس وتقاليدهم، ولا يحسب لقبول الناس إيّاه أو رفضهم له أي حساب؟؟؟[4]

إذن... هو يَعتبِر أنَّ استئناف الحياة الإسلامية بالشيء اليسير في مجتمع له عاداته وتقاليده ومفاهيمه وبحاجة إلى تدرج في التغيير؛ ورغم أنه أراد حمل الدعوة اقتداءً برسول الله دون حَيْدٍ عنه قيد شعرة إلاَّ أنه يعتبر أن حمل الدعوة يقتضي الصرامة والجرأة والقوة والفكر، وتحدّي كل ما يخالف الفكرة والطريقة، ومجابهته لبيان زيفه؛ بغض النظر عن النتائج وعن الأوضاع...، وأن رسول الله جاء إلى العالم متحديًا سافرًا مؤمنًا بالحق الذي يدعو إليه، يتحدى الدنيا بأكملها ويعلن الحرب على الأحمر والأسود من الناس، دون أن يحسب حساب لعادات أو تقاليد.[5]

وأقول: فأين ذلك من قول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ موصياً إياه: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على**

---

(1) صادق أمين: _اسم مستعار للدكتور عبد الله عزام.

(2) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، (101)، مرجع سابق.

(3) نظام الإسلام، (58)، مرجع سابق.

(4) انظر: نفس المرجع، (60).

(5) انظر: نظام الإسلام للنبهاني _ (60)، مرجع سابق.

الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام: 35]، وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ...﴾** [القلم: 48].

إذن تتلخص أهداف الحزب بالآتي:

1. استئناف الحياة الإسلامية من خلال إقامة دولة الإسلام في البلدان العربية.
2. الانطلاق بالدعوة إلى البلدان الغير إسلامية.
3. إعادة ثقة الناس بالإسلام عن طريق العمل الثقافي والعمل السياسي. (1)

أثناء قراءتي عن معتقدات الحزب وأفكاره ووسائله؛ توقفت كثيراً عند بعض الألفاظ، مثل:

1. السيادة المطلقة للمبدأ الإسلامي بغض النظر عما إذا وافق الجمهور أو رفضوه،
2. ولا يعبأ بعادات الناس وتقاليدهم، ولا يحسب لقبول الناس إياه.
3. الجرأة و تحدِّي كل ما يخالف الفكرة.
4. مجابهته –أي المجتمع– لبيان زيفه.

ثم الأغرب من ذلك أنه اعتبر ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ.

هذه الكلمات تُشْعِرُ أن هناك ثورة، انقلاب.. إلخ، ولذلك ليس بالغريب "أن يقسم الحزب مراحل عملية التغيير إلى ثلاثة مراحل":

المرحلة الأولى: الصراع الفكري؛ ويكون بالثقافة التي يطرحها الحزب.

المرحلــة الثانيــة: الانقلاب الفكري؛ ويكون بالتفاعل مع المجتمع عن طريق العمل الثقافي والسياسي.

المرحلة الثالثة: تسلم زمام الحكم ويكون عن طريق الأمة تسلمًا كاملًا." (2)

ملاحظات:

1. ماذا تعني كلمة التفاعل مع المجتمع وقد ورد في قول الشيخ النبهاني: بغض النظر عما إذا وافق الجمهور أم رفضوه وقاوموه، ... ولا يعبأ بعادات الناس وتقاليدهم... (3) فأين التفاعل ؟؟ أم أن هذه تناقضات في الطرح؟.

---

(1) الطريق إلى جماعة المسلمين، د. حسين بن محسن بن علي جابر، (300) مرجع سابق، الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية (1/ 342)، مرجع سابق.

(2) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية 96 – 98، باختصار.

(3) نظام الإسلام للنبهاني، (60)، مرجع سابق.

2. في المرحلة الثالثة من مراحل التغيير يكون تسلم زمام الحكم عن طريق الأمة تسلمًا كاملًا؛ وفي موضعٍ آخر: " الأمة هي التي تُنَصِّب الخليفة ولكنها لا تمتلك عزله متى تم انعقاد بيعته على الوجه الشرعي." [1] فماذا يعني ذلك؟؟ فهل الأمة هي وسيلة للوصول إلى الغاية ثم بعد ذلك ينتهي دورها أم ماذا؟؟؟

الحزب وشمولية الإسلام:

فهذا أمر لا وجود له ويظهر ذلك في كتاباتهم: " لذلك يجب أن تكون الكتلة التي تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية، ولا يجوز أن تكون كتلة روحية، ولا كتلة أخلاقية، ولا كتلة علمية، ولا كتلة تعليمية، ولا شيئًا من ذلك، ولا ما يشبهه". [2]

بل وينتقد الشيخ النبهاني الجمعيات الأخلاقية التي تعمل لنهضة الأمة على أساس الأخلاق بالوعظ والإرشاد والمحاضرات ويعتبر أن قيام مثل هذه الجمعيات مبنيٌّ على الفهم المغلوط:

أ. فقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: 4]، وصفٌ لشخص الرسول ﷺ وليس للمجتمع.

ب. قوله ﷺ : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [3]، فهذا مما يتعلق بالفرد لا بالجماعة. [4] على حد قوله.

حقاً إنه قولٌ يدعو للاستغراب بل إنه يرسخ مفاهيم العلمانية عن قصدٍ أو غير قصد. إذن من خلال معتقداتهم وأفكارهم وكلماتهم يتبين عدم مواءمتهم لجماعة المنقذة التي حملت العقيدة الصحيحة فحققت الربانية وتميزت بالوسطية والشمولية والتزمت بأخلاق الإسلام وانطلقت بتوازن في حمل الدعوة الإسلامية لتحقيق إنقاذ البشرية، وبناء دولة الإسلام.

---

(1) المرجع السابق، النبهاني_(99).

(2) مفاهيم حزب التحرير (67)، رسالة عن الحزب _ الطريق إلى جماعة المسلمين، د. حسين بن محسن بن علي جابر (304).

(3) الأدب المفرد، البخاري_تحقيق محمد فؤادعبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/3_1409، 1989م، (273/104/1)، باب حسن الخلق.

(4) انظر: التكتل الحزبي، تقي الدين النبهاني (18)، ط 3، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د.صادق أمين (94)، الطريق إلى جماعة المسلمين، د. حسين بن محسن بن علي جابر (304).

المطلب الرابع: جماعة التبليغ

النشأة والتأسيس:

أ- نشأت جماعة التبليغ في القارة الهندية بمديرية سهارنفور.

ب- مؤسسها هو: محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل الحنفي الديوبندي الجشني الكاندهلوي، ولد عام 1303هـ وتوفي عام 1364هـ، كان من أسرة متوغلة في الطريقة الجشنية(طريقة صوفية كانت منتشرة في القارة الهندية)، حفظ القرآن في قريته، ثم رحل إلى مدرسة ديوبند)بعد أن أخذ البيعة من شيخ الطريقة – الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[(1)].

وكان تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: 110]، دور في أسلوب الدعوة الذي انتهجه وجماعته؛ إن معنى أُخْرِجَتْ عنده؛ أن تخرج للسياحة وتبليغ الناس الدعوة الإسلامية وعلى هذا الأساس قامت الجماعة.

الأصول التي قامت عليها الجماعة:

1. الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله، محمد رسول الله".
2. إقامة الصلوات.
3. العلم والذكر.
4. إكرام كل مسلم.
5. الإخلاص.
6. النفر في سبيل الله. [(2)]

بعض أفكار الجماعة:

أ. القول بوجوب التقليد وفرضيته لاعتبارهم أن شروط الاجتهاد في العلماء غير موجودة في العصر الحديث.

ب. التصوف هو الطريق لإيجاد التعلق بالله وحلاوة الإيمان، وهو المقياس الذي يوزن به مدى التزام العضو في الجماعة.

---

(1) انظر: كتاب الطريق إلى جماعة الإخوان المسلمين، حسين بن محسن بن على جابر (315، 316).

(2) انظر: كتاب الطريق إلى جماعة المسلمين – حسين بن محسن بن على جابر (320)، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م، رسالة ماجستير في الحديث.

ت. تنهج الجماعة أسلوب الوعظ والإرشاد بعيدًا عن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من أجل تحبيب الناس في الدخول في الجماعة، معتبرة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المعرقلات في تلك المرحلة[1]، وقد بينّا الفرق بين الدعوة إلى الله بمفهوم الوعظ والإرشاد وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبحث سابق[2].

ث. لا يرون الخروج عن الأصول الستة[3] التي حددها لهم محمد إلياس؛ معتبرين أن ذلك خروج على خطة الجماعة.

ج. يفرقون بين الدين والسياسة، فلا يحق لأحد من أفرادهم البحث في السياسة، أو الخوض في أي أمر يتعلق بالحكم[4].

وهذا البند أعتبره حجة على الجماعة لا حجة لها؛ لأنه دليل على محدودية الدعوة عندهم وعدم حمل الإسلام لشموليته والسياسة أساس في إسلامنا: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: 33].

شهادات في حق الجماعة:

1. أن الجماعة كان لها دور بارز في إصلاح الناس، فكثير من الناس قد تابوا من كفرهم وفجورهم، ورجعوا إلى الخير بجهود هذه الجماعة، وهم يواصلون الليل بالنهار لإنقاذ البشرية من الضلالة والغواية، وهم يرشدونهم إلى النور و الهداية... وهي الجماعة الوحيدة التي استطاعت تغطية بلاد العالم بالدعوة حتى البلاد الشيوعية وإسرائيل[5].

وأنا أعتبر أن نهاية حديثه تدل على أنه لم يكن يضير أعداءنا انتشار الدعوة بالأسلوب الذي تنشره جماعة التبليغ، وهذا ليس تجريحًا ولكن مقارنةً بما تعرض له رسولنا الكريم ﷺ؛ لأنه حمل الإسلام بشموليته وكماله من أجل الإصلاح والتغيير في المجتمع وتحقيق الاستخلاف.

2. تمارس جماعة التبليغ أسلوب الوعظ والإرشاد، وتلزم أتباعها ببذل أوقات معينة للقيام بهذا الواجب... يقومون خلالها بالدعوة إلى الله...وهم مع ما يبدو من حرارة إيمانهم في الدعوة

---

(1) انظر: المرجع السابق، د.حسين بن محسن بن علي جابر_(316) .

(2) المطلب الثالث من المبحث الثاني – الفصل الثالث من الرسالة – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ص200.

(3) انظر: المرجع السابق، د.حسين بن محسن بن علي جابر_ (320) .

(4) المرجع السابق، د.حسن بن محسن بن علي جابر_(317).

(5) المرجع السابق، د.حسين بن محسن بن علي جابر

إلى الله وحماسهم وصدقهم وإخلاصهم إلى الله لا يقدّر لهم أن يكسبوا الجولة مع الجاهلية... لأسباب منها:

أ. اعتمادهم على أسلوب الترغيب والترهيب سيبقى قاصرًا عن مواجهة تحديات الأفكار الإلحادية والمادية.

ب. إن قوة الباطل وطغيان الموجة الجاهلية العاتية لا يفيد معها موعظة يرق لها قلب السامع ثم تتركه يجرفه التيار الضخم. [1]

3."الجماعة على ما فيها من محدودية في أهدافها ووسائلها؛ إلا أنها جماعة ناجحة في أسلوبها في تبليغ جانب من الدعوة الإسلامية"[2]، وكلمة محدودية هنا تؤكد ما قاله د. صادق أمين.

أما أنها نجحت في تبليغ جانب من الدعوة الإسلامية يكون صحيحًا؛ إذا حرصت على التكامل مع الجماعات الأخرى؛ لتأخذ هي هذا الدور وتبين أهمية الجماعات الأخرى في إكمال المسير، أما التوقف عند هذا الجانب بدون تبيين لباقي الإسلام، وبيان أسباب عدم أخذها بباقي الإسلام[3] أو الوقوف موقف معادي من الجماعات الأخرى خاصة ما ورد من أقوال قالها بعض قياداتهم في حق الجماعات الأخرى ورجالاتها[4]، فإني أعتبر أن هذا لا يكون نجاحًا بل عائقًا في طريق المصلحين.

---

(1) انظر: الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، صادق أمين_ (84. 85).

(2) كتاب الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن بن علي جابر ص 322

(3) إذا كان خوفًا من الأذى على أفرادها أو غير ذلك من الأسباب التي تعيق حمل الإسلام لشموليته.

(4) ما نقله د.حسين بن محسن بن علي جابر نقلا عن رسالة محمد أسلم وللعلم فلقد بحثت عن هذه الرسالة فلم أجدها لا في مكتبة الجامعة الإسلامية ولا على المواقع الألكترونية. يقول الشيخ حسين أحمد الحنفي – أحد كبار جماعة التبليغ: _(اعلموا أن محمد بن عبد الوهاب.. كانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة). الشيخ محمد يوسف النبوري من كبار قيادة الجماعة: (أنادي على رؤوس الأشهاد أن الرجل – أبا الأعلى المودودي– زائغ ضال فضَلَّ في كتبه ورسائله الطامات. الشيخ غلام غوث النهراروي وهو من علماء الجماعة (أنه يكفي جمال عبد الناصر لدخول الجنة أنه صلب السيد قطب الباغي الضال). وللعلم فإن محمد أسلم يعتبر من أهل الجماعة فهو من بلادهم، وأهل مكة أدرى بشعابها، كما يقول د. حسين بن محسن بن علي جابر في كتابه الطريق إلى جماعة المسلمين، انظر(323).

المطلب الخامس: الإخوان المسلمون

تأسست الجماعة عام 1928 م في مدينة الإسماعيلية على يد الإمام حسن البنا [1]؛ لتأخذ موقعها على خريطة الحياة السياسية في مصر والشرق العربي والإسلامي.. وكذا على خريطة الفكر الإسلامي كأبرز الحركات الإسلامية في العصر الحديث[2].

المؤسس:

في الحديث عن الإمام البنا، لن أتحدث عن مولده وتعليمه وسيرته الذاتية كالمعهود، ولكني سأتحدث عنه من خلال شهادات ذُكرت في حقه، مبينة دوره البارز في التغيير:

1. كان العالم الإسلامي يعاني ما يعاني من تمزق في كيانه وتصدّع في بنيانه.. وكان القدر الأعلى يصنع على عينه رجلًا، يعدّه لمهمّة، ويسدّ به ثغرة، كان الرجل هو حسن البنا، وكانت المهمة هي إيقاظ الأمة من رقود، وبعثها من همود وتحريكها من جمود.. كانت الأمة في حاجة إلى عقل جديد، وقلب جديد، وعزم جديد، ودم جديد.. كانت في حاجة إلى رجل يضع يده في يد الله، لينير له الطريق ويهديه سواء السبيل. [3]
2. الأستاذ حسن البنا.. مجدد القرن الرابع عشر للهجرة، فقد وضع جملة مبادئ تجمع الشمل المتفرق، وتوضح الهدف القائم، وتعود بالمسلمين إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وتتناول ما عراهم من أسباب العِوَج والاسترخاء، بيد آسية وعين لمّاحة؛ فلا تدع سببًا لضعف أو خمول. [4]
3. إنها عبقرية البناء؛ العبقرية في استخدام طاقة الأفراد، طاقة المجموعات في نشاط لا يدع في نفوسهم، ولا يدعهم يتلفتون هنا أو هنالك يبحثون عما يملأون الفراغ، عبقرية البناء في تجميع الأنماط من النفوس، ومن العقليات ومن الأعمار ومن البيئات، يجمعها كلها في بناء واحد.. وطبعها كلها بطابع واحد يُعرفون به جميعاً، ودفعها كلها باتجاه واحد.. تُرى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه؟! أو أنها الإرادة الإلهية ؟[5]

---

(1) مذكرات الدعوة والداعية، الإمام البنا(73).

(2) كتاب عمر التلمساني "شاهدًا على العصر"، إبراهيم قاعود، الناشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

(3) كتاب الإخوان المسلمون سبعون عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، د.يوسف القرضاوي_ مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 – 2001م، ص 56

(4) مقدمة كتاب "دستور الوحدة الثقافية "، الشيخ محمد الغزالي _ شرح فيه الأصول العشرين لحسن البنا.

(5) انظر دراسات إسلامية، سيد قطب، مقال (حسن البنا وعبقرية البناء) ص 225 – 228

لاشك أنها الإرادة الإلهية هي التي صنعت هذا الرجل على عين الله؛ ليكون له دور في البناء وأي بناء، إنها دولة الإسلام الجديدة التي قامت على نفس ما قامت عليه الدولة الأولى أيام رسول الله ﷺ.

4. إن الذي عرف الشرق العربي الإسلامي في فجر القرن العشرين، وعرف بصفة خاصة ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسي من جسم العالم الإسلامي؛ من ضعف في العقيدة والعاطفة.. يعرف فضل هذه الشخصية التي قفزت إلى الوجود، وفاجأت مصر ثم العالم العربي والإسلامي كله بدعوتها وجهادها وقوتها الفذة التي جمع الله فيها مواهب وطاقات.[1]

لا شك أن هذه الشهادات لا تُذكر عددًا أمام الشهادات التي وردت في حق الإمام من الخصوم ومن الأحبة.

ويجب التنويه أن ما تميز به من صفاتٍ اصطفاه الله بها ويسّر له البيئة الإسلامية التي ترعرع فيها – إن كان داخل البيت أو خارجه – كان له دور في تميز الجماعة التي أسسها، وأن هذه الروح التي سرت في هذا القائد لا بد وأن تسري في الجماعة، والتي ما زالت قائمة ومستمرة وبتزايد مطّرد؛ رغم المحن والابتلاءات التي مرت بها. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صدق النية المرتبطة بالعمل المتواصل المنظّم.. إنها عبقرية البناء..

وللعلم أن الله الذي قدر سقوط الخلافة الإسلامية –أي دولة الإسلام التي اهترأت في آخر عهدها– هو الذي يسّر من يضع حجر الأساس لبناء الدولة الإسلامية الحديثة القوية التي تصمد في مواجهة العواصف والزلازل، ألا وهو الإمام البنا، وها نحن نرى البناء يتطاول يوماً بعد يوم، وسيكتمل البناء بإذن الله.

وهكذا انطلقت جماعة الإخوان المسلمين، ولقد تميّزت هذه الانطلاقة وهذا التأسيس بعدة مميزات:

1) أن البداية كانت بستة أشخاص[2] من المسلمين الحريصين على إسلامهم وعقيدتهم.

2) الفهم للواقع المرير على الساحة الإسلامية والحرص على التغيير.

3) الفهم الواسع لإسلامهم وأن الطريق لإنقاذ الأمة الإسلامية هو إقامة جماعة إسلامية قوية قادرة على النهوض بأعباء هذه المهمة الصعبة، وقد بدا ذلك في قولهم للإمام: "وإن

---

(1) مقدمة كتاب مذكرات الدعوة والداعية، تقديم أبو الحسن الندوي.

1. حافظ عبد الحميد، أحمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل زكي، زكي المغربي.

جماعة تعاهد الله مخلصة على أن تحيا لدينه وتموت في سبيله، لا تبغي بذلك إلا وجهه لجديرة أن تنتصر، وإن قلّ عددها وضعفت عُددها".[1]

4) تميزت بأنها لم تكن فقط بيعة لهذا الشاب المخلص الذي توسموا فيه الخير، وإنما كانت بيعتهم لله ﷻ، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...** ﴾ [الفتح: 10].

وقد وضح ذلك في قول البنا: "فلنبايع الله أن نكون لدعوة الإسلام جندًا، وفيها حياة الوطن وعزّة الأمة".[2]

وأروع ما وُسمت به بعد تسمية "الإخوان المسلمون"، أنها دعوة البعث والإنقاذ[3]، وهذه التسمية لها أهميتها ودلالتها في الحديث عن الجماعة المنقذة في القرآن الكريم.

الأهداف الأساسية للجماعة:

لقد حدّد الإمام الشهيد الأهداف والغاية، ووضع الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، بل أعلنها بقوة.. "نحن نعلم ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة "[4]؛ فالوضوح أول الطريق في التخطيط.

ولا شك أن معرفة الوسائل دليل أن هذه الجماعة منظّمة قائمة على التنظيم والتخطيط ومن ثم التنفيذ..

فالأهداف كما ذكرها الإمام البنا:

الهدف الأول: نريد الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خُلُقِه وعاطفته، وفي عمله وتَصَرُّفه، فهذا هو تكويننا الفردي.

الهدف الثاني: ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه، ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري[5].

---

(1) مذكرات الدعوة والداعية – الإمام الشهيد حسن البنا –73، مركز البصائر للبحوث والدراسات، ط/1 _1431 هـ 2010 م.

(2) مذكرات الدعوة والداعية، االإمام البنا–(73) .

(3) مجموعة الرسائل، الإمام الشهيد حسن البنا، (140).

(4) المرجع السابق، الإمام البنا (85) .

(5) انظر: المرجع السابق، الإمام البنا(85).

وقبل الانتقال للحديث عن باقي الأهداف فالملاحظ أن البداية كانت موفقة بفضل الله، لأنه فطن إلى أهمية تكوين الأفراد، وهو بهذا سار على درب رسول الله ﷺ حينما كان يربي في دار الأرقم بن أبي الأرقم. كان يعدّ اللبنات الجيدة التي سيكون لها بعد ذلك دور في جودة البناء.

ثم فطن البنا إلى أهمية البيت المسلم الذي يقوم على مرضاة الله، وبهذا يلفت الانتباه إلى دور الرجل في بيته وحرصه على أن يكون هذا البيت له سمتٌ مميز، (السمت الإسلامي الحقيقي)، وكذلك العناية بالمرأة والارتقاء بها لأخذ دورها الحقيقي في حمل الرسالة، وهذا الأمر له أهميته فإن المرأة إذا صلحت صلح البيت ومن ثمّ صلح المجتمع.

إذن... هذا البيت المسلم الذي تحدث عنه البنا سيكون لبنة في بناء المجتمع المسلم المتماسك.

الهدف الثالث: نريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضاً، لهذا نعمل أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يُسمع صوتنا في كل مكان... لا نألو في ذلك جهدًا ولا نترك وسيلة.

ولعلي هنا أذكر مثالاً عملياً في فلسطين وكيف كان للشيخ أحمد ياسين دور في تحقيق ذلك من خلال:

- مشاركة الناس في أتراحهم وأفراحهم ومناسباتهم.
- كان يحرص على تحسس حاجات الناس ومن ثم تقديم المساعدات لهم، ليست فقط الإغاثية، ولكن كان يسعد في التعليم والزواج.
- كان يحرص على حل مشاكلهم الاجتماعية والأسرية؛ ولذلك كان له دور في تشكيل لجان الإصلاح التي كان لها الدور في الحكم بين الناس من خلال الفهم للإسلام.
- كان يحرص على التعامل الحسن مع كل التنظيمات الموجودة على الساحة الفلسطينية ويقدم لهم الأموال؛ من أجل مقاومة العدو.

كذلك فإن من الوسائل التي استخدمها الشيخ أيضاً:

- افتتاح المؤسسات التعليمية من رياض الأطفال وحتى الجامعة الإسلامية، لتربية الجيل على الفكر الإسلامي الواعي الصحيح، وهذا له دور في مواجهة الجهل.
- افتتاح المستشفيات والمراكز الصحية التي تقدم الرعاية الصحية لأبناء الشعب الفلسطيني للارتقاء بهم صحيًا، وهذا له دور في مواجهة المرض.

- افتتاح النوادي الرياضية وتكوين الفرق الرياضية لما للرياضة من أثر في تقوية الأجساد، وتقوية الروح النفسية عند الشباب، وكان له هدف في ذلك تنشئة الجيل الرياضي المسلم الواعي بعيدًا عن الانحراف والانحلال.
- افتتاح المؤسسات التي تخص المرأة وتؤهلها على الصعيد المهني والاقتصادي والاجتماعي، والأخلاقي.

فهو من خلال كل ما قام به أعد التربة الصالحة للغرس، وتولى هو وإخوانه غرس البذور الصالحة وتعهدوها بالرعاية حتى أينعت وأستطيع القول أن عدة أمور كان لها دور في نجاح مهمة الشيخ أحمد ياسين:

1. تمثيل القدوة الحسنة.
2. المعاملة الحسنة.
3. التخطيط الحسن.

الهدف الرابع: نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعدُ كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر ﵄ من قبل.

فالهدف إذن ليس الوصول إلى السلطة وتحقيق المكاسب والمغانم كما يدّعي البعض، وإنما من أجل تطبيق شرع الله، ووضح من رسالة البنا أيضاً أهمية المسجد في التربية والتكوين، وأهمية الحكومة في تحقيق ذلك، والملاحظ أن هناك فرق واضح بين طرح البنا وطرح النبهاني في الحديث عن الحكومة [1].

الهدف الخامس: ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي، الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية.. وكل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى إلى تحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.. فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعتبر نفسه حاميًا لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن.

فأين هذا الهدف من قول الشيخ تقى الدين النبهاني: "ويقتضي حمل الدعوة الإسلامية أن تكون السيادة المطلقة للمبدأ الإسلامي، بغض النظر عمّا إذا وافق الجمهور أو رفضوه وقاوموه"[2].

(1) انظر: كتاب نظام الإسلام للنبهاني ص 60
(2) انظر: المرجع السابق (59_60).

الهدف السادس: ونريد بعد ذلك أن تعود راية الإسلام خفاقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حينًا من الدهر، ودوّى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، حقاً إنها كلمات تحمل روح الإسلام بنوره وإشراقته وعدله وهدايته للناس، والتي لها دور فاعل في تحقيق:

الهدف السابع: والذي من أجله خلق الله آدم وجعله خليفة في الأرض وأرسل الأنبياء والرسل وأنزل الكتب وختم ذلك كله بمحمد ﷺ والكتاب الذي أنزل معه وأوحى إليه القرآن، أن تكون هذه الدعوة عالية وفي هذا قال البنا: "نريد أن نعُمّ بها آفاق الأرض.. وأن نُخْضِع لها كل جبّار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم.

هذه هي الأهداف التي أعلنها مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في بداية التأسيس والتي ما زالت الجماعة تحرص على تحقيقها، وتضحّي من أجلها بالغالي والنفيس.. فهل هناك وسائل ترقى لتحقيق هذه الأهداف أم أن ذلك كله نظري؟ لنَرَ!!

لقد بيّن الإمام البنا أن لكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها، ووسائلها، ولن أفصّل، ولكني سأذكر ما ورد في رسالة (عقيدتنا) والتي كانت باكورة منهج الإخوان المسلمين في التربية [1].

تعليق الأستاذ آرنست رينان[2]:

"إن هذه الكلمات عميقة المبحث والمقصد، وهي لا شك مستمدة من نفس المنهج الذي رسمه محمد ﷺ، ونجح في تنفيذه، فأسس به أمة ودولة ودينًا، وقد زيد فيها ما يناسب روح العصر مع التقيد بروح الإسلام.. وبيّن أنه لا نجاح للمسلمين اليوم إلا باتباع هذا السبيل."[3]

ولا شك أن هذا المنهج وهذا البرنامج الذي وضعته جماعة الإخوان المسلمين لنفسها؛ يحمل شمولية الإسلام.

" أما بالنسبة للوسائل فقد قسّمها البنا إلى وسائل عامة، ووسائل إضافية مبيناً أن الوسائل العامة للدعوات لا تتبدل ولا تتغير ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

---

(1) انظر كتاب وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، د. علي عبد الحليم محمود ص 65 – 67، والتي نشرت – على حد قوله – على غلاف مجلة الإخوان 1349هـ –1931م،

(2) أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة السربون.1931م.

(3) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا (236)، مرجع سابق.

أ. الإيمان العميق.

ب. التكوين الدقيق.

ت. العمل المتواصل.

أما الوسائل الإضافية فلم يفصّل فيها ولكنه عرض قضايا في المجتمع تفرض وضع وسائل حسب الحاجة منها: قضية المرأة وقضية الربا.. إلى غير ذلك "[1].

هذه هي الوسائل العامة التي اتبعتها الجماعة في التربية، أما الوسائل الخاصة: الأسرة والكتيبة، الرحلة والمخيم، الندوة والدورة، المؤتمر إلى غير ذلك، فلكل واحدة من هذه الوسائل أهدافها وآدابها وشروطها، والتفصيل لهذه الوسائل ورد في كتاب وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، د. عبد الحليم محمود في حوالي مائتي صفحة.

الملاحظ أن هذه الجماعة وضعت أهدافًا ووسائل؛ للوصول إلى الهدف الرباني الذي اصطفى الله الجماعة المنقذة لتحقيقه؛ ألا وهو الاستخلاف.

وإذا عُرِضَت جماعة الإخوان المسلمين على الخصائص والمواصفات التي وردت في الرسالة؛ وُجِدَ أنها تميزت بهذه الخصائص، واتصفت بتلك المواصفات.

ولا أدّعي ولا يستطيع أحدٌ أن يدّعي أن جماعة الإخوان هي الجماعة المنقذة التي وردت مواصفاتها في القرآن دون غيرها.. ولكن أقول دون تعصّب ودون مداهنة أنها الجماعة الوحيدة التي حرصت من خلال وسائلها على تحقيق الأهداف التي وضعتها منذ التأسيس، بل ضَحَّتْ وبذلت الغالي والنَّفيس؛ من أجل تحقيق ذلك.

وحتى تكون دراستي موضوعية – بعيدًا عن الرأي والهوى– سأعرض لبعض الأقوال التي وردت في حق الجماعة بناءً على المواصفات الواردة في البحث:

1. الإخوان والتربية:

- من الخصائص التي تميزت بها دعوة الإخوان المسلمين عما سبقها وما عاصرها من دعوات الإصلاح العناية بالتكوين؛ وذلك أن الحركة تعمل على توعية الجماهير الغفيرة ودعوتهم للإسلام، ثم تستخلص منهم العناصر الصالحة والمستعدة للبذل والتضحية وحمل أعباء الجندية في سبيل الله وهؤلاء هم الذين يوجه إليهم التكوين المتكامل. [2]

---

(1) انظر: رسائل الإمام البنا " رسالة بين الأمس واليوم " (142) .

(2) انظر: الإخوان المسلمون 70 عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، د.يوسف القرضاوي_ ص 201

- إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتي بقوة إلى علماء الأزهر في المطالبة بعودة الإخوان المسلمين فإن تربيتهم خير تربية".[1]

2.الإخوان والشمولية:

- من أظهر الخصائص التي تميزت بها حركة الإخوان المسلمين نظرتها الشمولية للإسلام... رفض الإخوان النظرة الجزئية القاصرة للإسلام، ورأوا أن الإسلام يتميز بشموله الزماني والمكاني والإنساني. [2]

3.الإخوان والمرونة:

- إن الحركة الإسلامية التي يمثلها الإخوان المسلمون قامت بدور بارز في تجديد الإسلام في هذا القرن. [3]

4.الإخوان والجهاد:

- عملت الحركة الإسلامية على إحياء معنى الجهاد الإسلامي، ولم تقف به عند جهاد النفس والشيطان وإن كان ذلك جزءًا أصيلًا من مناهجها التربوية. [4]

5.الإخوان والتوازن:

- إن من قرأ رسائل الإمام – على صغر حجمها – وجد فيها معالم مشروع متكامل متوازن للنهضة والتقدم والبناء. [5]

6.الإخوان والوعي:

- أصبحت مدرسة الإخوان التي أقامها البنا معهدًا عاليًا يتخرج فيه الدعاة إلى الله على بصيرة ووضوح ويقين"[6].

---

(1) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1428 هـ – 2007 م، من أعلام الحركة الإسلامية (559 – 565)، هذا ما قاله مفتي الديار المصرية حسن مخلوف عام 1954 م بعد أن يروي قصة ثبات الشهيد محمد الصوابي الديب (أحد متطوعي الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والقناة) .

(2) انظر المرجع السابق، د.يوسف القرضاوي_ ص 169.

(3) انظر المرجع السابق، د.يوسف القرضاوي_ ص 45.

(4) انظر المرجع السابق، د.يوسف القرضاوي _ص 233.

(5) انظر المرجع السابق، د.يوسف القرضاوي _ص 334.

(6) كتاب الملهم الموهوب حسن البنا، أستاذ الجيل، عمر التلمساني (72)، د.ت، د.ط.

7.الإخوان والولاء والبراء:

فالإخوان كانوا أسبق الجماعات إلى تقريرها فهم يوالون كل من والى الله ورسوله وجماعة المؤمنين، ويعادون كل من عادى الله ورسوله والمؤمنين. [1]

إنها ليست هي كبرى الحركات الإسلامية [2] فحسب، بل هي أم الحركات الإسلامية، فهي الأصل والأساس، ولا سيما في العالم العربي[3].

ولا شك أنها استحقت أن تكون أم الحركات؛ لأنها كما قال البنا: دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية".

هي كل ذلك في الوقت الذي اكتفت فيه كل جماعة من الجماعات المعاصرة بجزء من هذه الجزئيات.

فالصوفيون اقتصروا على الاهتمام بالأمور الروحانية، والسلفيون اقتصروا على نشر التوحيد وتخليص الإسلام من البدع والشركيات، و اقتصرت جماعة التبليغ على الوعظ والإرشاد، واقتصر حزب التحرير على الجانب الفكري والسياسي.

وما ذكرناه ليس إنقاصاً للجماعات؛ ففي كل منها خير ولكن ليس الخير الشامل، وأختم بما قاله الأستاذ عمر التلمساني:

"أحب أن أقرر حقيقة واضحة سمعتها بأذني رأسي هاتين من فم الإمام الشهيد، كما سمعتها بعد ذلك مرة ثانية من فم فضيلة الأستاذ الهضيبي قالا ﷺ وأرضاهم في الجنات العلا: أن الإخوان المسلمين هم جماعة من المسلمين وليسوا هم الجماعة المسلمة، ولم يدّع أحدهما أو كلاهما ذلك دون سائر الجماعات العاملة في سبيل الله. [4] وأظن أن ذلك يمثل ردًا حاسمًا على كل من اتهم الإخوان المسلمين بالتعصب الأعمى.

<u>ومن هنا أقول: أن جماعة الإخوان المسلمين هي الجماعة الأقرب إلى مواصفات الجماعة المنقذة؛ بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني: في ربانيتها، في عقيدتها، في تميزها، في شمولها وتكاملها، في توازنها ومرونتها، وأسأل الله العلي القدير أن يوفق الجماعات التي وضعت نصب عينها بناء دولة الإسلام أن تبتعد عن الحزبية الضيقة، والاعتداد بالآراء الشخصية، أن يضعوا نصب عينهم التكاتف والتآلف والتجمع وأن يضعوا يدهم في يد الإخوان من أجل تحقيق</u>

---

(1) انظر المرجع السابق، دزيوسف القرضاوي_ ص 354.

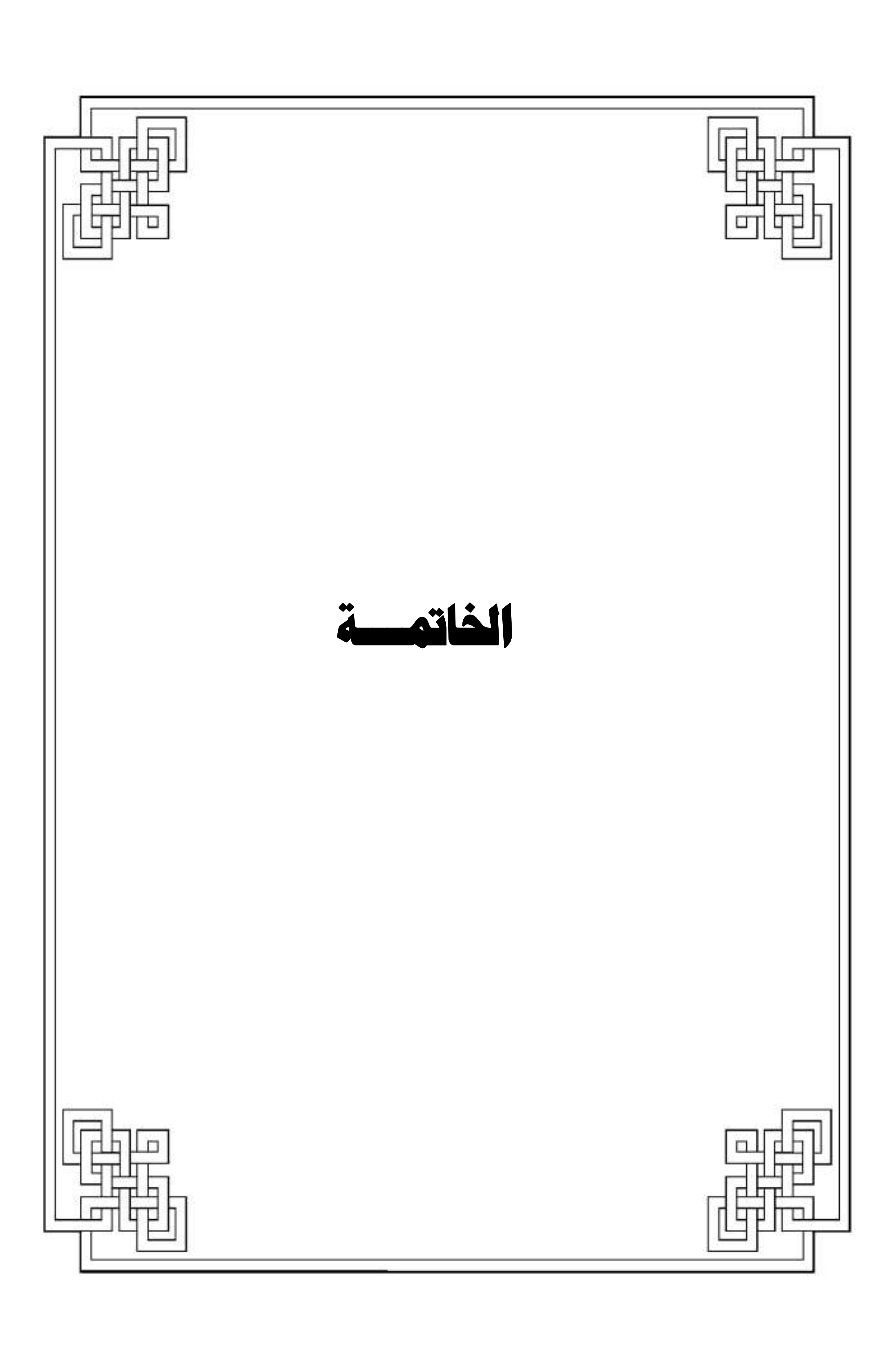
(2) بناء على تسمية كتاب موسى إسحاق الحسيني "كبرى الحركات الإسلامية" في حديثه عن الإخوان.

(3) الإخوان المسلمون 70 عاما من الدعوة والتربية والجهاد، القرضاوي (36) .

(4) كتاب الملهم الموهوب ص 106

التكامل المنشود؛ لإقامة حركة إسلامية واحدة تقف بكل قوة وعزّة وصلابة وثبات في وجه كل التحالفات المحاربة للإسلام من صليبية وصهيونية وغيرها، من أجل تحقيق الاستخلاف وأن يكون الدين كله لله.

هذا !! وقد اقتضى الحديث عن الجماعات أن يُربط بين المبحث الأول والثاني دون فصل بينهما..



الخاتمــــة

الخاتمة

الحمد الله الذي أتم على نعمته وأسأله أن يزيدني من فضله...

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 19]

أولا: النتائج...

توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- أهمية الدراسة في موضوعات القرآن، وترجمتها واقعاً في حياتنا، فهو منهل صافي، ونبع فياض.
- أهمية وجود الجماعة المنقذة ووجوب العمل من خلالها؛ بناءً على القاعدة الأصولية: " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".[1]
- ظهر لي من خلال الاستعمال القرآني لكلمة أمة، ومشتقاتها أنها وردت في القرآن 59 مرة، 44 مرة في القرآن المكي و15 مرة في القرآن المدني وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أهمية الجماعة في بناء دولة الإسلام.
- أن كلمة حزب –والتي هي من أقرب المعاني للأمة أو الجماعة– جاءت في القرآن بذكر حزبين لا ثالث لهما؛ حزب الله وحزب الشيطان، أما بالجمع فجاءت للحديث عمن يحيكون المؤامرات من أيام الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.
- أن وجود هذه الجماعة فريضة شرعية؛ لإقامة شرع الله، وكذلك هي ضرورة بشرية لتحقيق مهمة الإنقاذ على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري.
- أهمية معرفة السنن الإلهية وحقيقة الصراع بين الحق والباطل؛ للوقوف على مؤامرات أعداء الإسلام، ومن ثم معرفة السبل لمدافعة هذه المؤامرات.
- أهمية التعرف على الجماعات الإسلامية المعاصرة، والوقوف على المنهج الفكري لكل منها، ومن ثم معرفة الجماعة التي تحققت فيها مواصفات الجماعة المنقذة الوارد ذكرها في القرآن الكريم.
- أن جماعة الإخوان المسلمين هي أقرب الجماعات لهذه المواصفات؛ فقد حملت الإسلام بشموليته وتكامله ومرونته وتوازنه وتميزت في وضع الوسائل المناسبة لترجمة الأهداف التي سمت إليها؛ لبناء دولة الإسلام وتحقيق الاستخلاف، مضحية بالغالي والنفيس من أجل ذلك.

---

(1) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، (419) مرجع سابق.

- أهمية التعاون بين هذه الجماعات؛ لتحقيق الوحدة والوقوف صفا واحدا في مواجهة الباطل ومؤامراته، ومن ثم التمكين لهذا الدين، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج: 41]
- أن القرآن الكريم وضع تصورا متكاملاً لمواصفات الجماعة المنقذة، فكلما طبقت الجماعات الإسلامية هذا المنهاج للجماعة المنقذة كلما حققت المفهوم الأمثل للجماعة المسلمة، وكلما ابتعدت أو تركت شيئاً من الخصائص والمواصفات، كلما أخفقت في منهجها وطرق دعوتها.

ثانياً: التوصيات:

1- إن المجتمع بحاجة إلى السلفي؛ لينقي عقيدته، ويعلمه ويبعده عن المعاصي، وأن ما يدعو إليه خير ولكن ليس الخير كله، فليضع يده في يد من يعمل لإعادة الخلافة وإعلاء كلمة الله ويضحي من أجل ذلك وعليه ألا يحاربه ويعين الأعداء عليه بل وألا يشوه صورة الإسلام الذي يحمل.

2- إن المجتمع بحاجة إلى روحانية الصوفي بعيداً عن الشطحات، وليعلم الصوفي أن الروحانية الصافية من الشبهات ضرورية لتقوية الصلة بالله كما ورد في صفة الصحابة أنهم رهبان الليل ولكن أضيف لها فرسان النهار؛ لأن الروحانية لا تكفي وحدها في مواجهة الأعداء ومدافعة الباطل وتعمير الأرض.

3- إن المجتمع بحاجة إلى من يعمل لإعادة الخلافة مثل حزب التحرير ولكن ليعلم:

أولا: أن السياسة والثقافة وحدها لا تكفي بدون روحانيات واتصال بالله ﷻ.

ثانيا: أن التدرج في الخطوات ضروري لتحقيق الخلافة وبناء دولة الإسلام، فالبناء يبدأ بلبنة، والوصول للهدف يبدأ بخطوة.

4- مطلوب من الجماعة الأقرب إلى الجماعة المنقذة (جماعة الإخوان المسلمين)، أن تحرص على تقييم وسائلها وأفرادها من حين لآخر؛ لتبقى الصورة المشرقة لهذا الإسلام وهذه الجماعة.

إذن فلتتكاتف الجهود ولنصبح صفاً واحداً، وليكمل بعضنا بعضاً ولنتعاون فيما بيننا ولا نضخم الاختلافات وننشغل عن الرسالة الأساسية؛ وهي مدافعة الباطل بكل أشكاله ومن ثم إعلاء كلمة الله وتحكيم شرعه، فأعداؤنا يصلون الليل بالنهار لمحاربة الإسلام ونحن مشغولون ببعضنا نتوقف عند خطإٍ هنا وزلةٍ هناك، فرسالتنا عظيمة والوقت ثمين.



الفهارس العامة

وفيه:

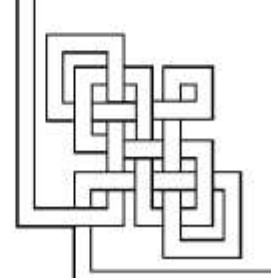
أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

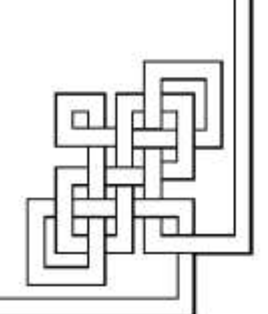
ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.





أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين	4	76
اهدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ	6	107
وَلاَ الضَّالِّينَ	7	107
سورة البقرة		
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً	30	103، 149
وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ	31	103، 149
قالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا	32	149
قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ	33	103، 149
وإذ نجيناكم من آل فرعون	49	10
وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم	50	10
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ	109	84
وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا	128	13
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ	134	13
صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ	138	148
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ	141	13
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	143	13، 104، 106، 107
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا	144	104
كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ	151	84

الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ	90	67
سورة الأنعام		
قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا	14	90
وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ	19	113
وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا	34	94
وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ	35	220
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ	38	15
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ	42	15
إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ	57	43
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ	66	19
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ	75	136
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا	76	136
فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا	77	136
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً	78	136
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ	78	136، 137
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	79	136
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ	83	19، 137
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ	90	141
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا	97	152
كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ	108	14

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا	115	96
وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	141	108
وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى	152	90
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ	153	105، 192
أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا	156	18
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	161	76
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي	162	76، 104
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ	163	76
سورة الأعراف		
وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ	31	110
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ	34	14
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا	38	14، 15
قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ	38	
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ	64	19
وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ	87	18
وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	159	14
وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا	160	16
وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ	164	14
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا	168	16
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ	179	116

الآية	رقم الآية	الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ	23	205
قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ	24	88، 171
وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ	32	38، 113، 133، 159
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ	33	38، 133، 159، 223
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ	38	169
إِلَّا تنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	39	170
لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا	40	125، 194
انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِّ	41	169
نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ	66	18
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	67	35، 176
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	71	26، 37، 59، 175، 206
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ	73	168، 176
فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ	83	18
وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ	102	159
وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُّ عَمَلَكُمْ	105	155
إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ	111	168، 177
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً	112	177
لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ	117	89

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا	118	89
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ	119	أ، 86، 89، 185
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ	122	5، 18، 165، 177
سورة يونس		
وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا	19	14
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ	47	14
لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ	49	14
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ	57	77
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ	87	19
سورة هود		
وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ	8	14
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ	17	16
وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ	42	10
قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ	48	15
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً	118	14
وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	113	42
سورة يوسف		
رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ	33	140
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ	40	43
وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ	45	4، 14

الآية	رقم الآية	الصفحة
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا	47	122
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ	48	122
لَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ	49	122
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ	50	122، 123
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ	55	123
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ	67	194
رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ	101	125
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	108	34، 73، 118
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ	111	117
سورة الرعد		
أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	19	91
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ	30	14، 15، 16
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ	36	16
سورة إبراهيم		
لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ	7	ج
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ	46	40
سورة الحجر		
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ	5	14
لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ	11	5
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ	21	193

الآية	رقم الآية	الصفحة
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ	11	145
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ	12	145، 146
لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ	13	146
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا	27	198
فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً	28	198
اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	35	105
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ	36	104
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ	37	157
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	51	44
وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	55	145
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ	62	50
سورة الفرقان		
أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا	43	45
فلا تطع الكافرين وَجَاهِدْهُم	52	168
وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ	63	181، 186
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا	64	181، 186
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم	65	181، 186
إنها ساءت مستقراً ومقاماً	66	181، 186
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا	67	181،109، 186
والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخراً	68	181، 186

الآية	رقم الآية	الصفحة
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ... مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ	30	131
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ... مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ	31	131
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ... مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ	32	131
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ	35	131
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا	34	131
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ	59	117
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	60	117
أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا	61	117
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ	62	117
أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	63	117
أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ	64	117
وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا	83	15
سورة القصص		
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ	4	18
وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ	23	15
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا	75	15
فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ	81	19
سورة العنكبوت		
الم	1	87
أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا	2	87

الآية	رقم الآية	الصفحة
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ	8	34
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ	9	104
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ	10	133
تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ	11	133، 168
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	12	133، 168
وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ	13	133
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ	14	133، 134
سورة الجمعة		
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ	10	156
سورة القلم		
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ	48	220
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	221
سورة الحاقة		
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	12	114
سورة المدثر		
يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	1	80
قُمْ فَأَنْذِرْ	2	80
وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ	3	80
سورة القيامة		
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	14	195

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ	5	89
سورة الزلزلة		
فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ	7	159
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	8	159
سورة العصر		
وَالْعَصْرِ	1	172
إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ	2	172
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	3	172

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

1. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز . المملكة العربية السعودية، 1419 هـ.
2. ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، ط1، دار الوطن الرياض، 1997 م.
3. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، 1417 هـ . 1997م.
4. ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
5. ابن الجوزي، أبو الفرج بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، لبنان . بيروت، 1984م.
6. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط1، دار الكتاب العربي . بيروت، 1422هـ.
7. ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1411هـ - 1991م.
8. ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط3، دار الكتاب العربي . بيروت، 1416 هـ - 1996م.
9. ابن القيم، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية . بيروت.
10. ابن المبارك، الزهد والرقائق، دار الكتب العلمية . بيروت.
11. ابن المثنى، عمر، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي . القاهرة، 1381 هـ.
12. ابن تيمية، الحسبة، 1425 هـ . 2007 م.
13. ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط1، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية، 1418 هـ .
14. ابن تيمية، جامع المسائل، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
15. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406 هـ - 1986 م.
16. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ط1، دار الكتب العلمية بيروت.
17. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1973 م.

18. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ط1، دار القلم. بيروت، 1414هـ . 1993م.
19. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط2، دار الفكر. بيروت، 1412هـ – 1992م.
20. ابن عبد السلام، العز، تفسير القرآن، ط1، دار ابن حزم. بيروت، 1416 هـ . 1996م
21. ابن عبد السلام، العز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، 1414 هـ – 1991 م.
22. ابن عساكر، علي بن حسن، معجم الشيوخ، ط1، دار البشائر. دمشق، 1421 هـ – 2000م
23. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1422هـ.
24. ابن فارس، مجمل اللغة، ط2، مؤسسة الرسالة. بيروت، 1406 هـ – 1986 م.
25. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الكتب العلمية. بيروت، 1419 هـ.
26. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ – 1999م.
27. ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
28. ابن منظور، لسان العرب، ط3 . دار صادر . بيروت، 1414هـ.
29. ابو زيد بكر، حكم الانتماء للجماعات الإسلامية.
30. أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ط1، كلية الشريعة والدراسات. جامعة الشارقة، 1429 هـ – 2008م.
31. أسلم، محمد، جماعة التبليغ عقيدة وفكرا " رسالة ماجستير ".
32. الأصفهاني، راغب، المفردات في غريب القرآن، ط1، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، 1412 هـ.
33. الأعظمي، وليد، ديوان الشعاع.
34. الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية. بيروت.
35. أمين، صادق، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة
36. الأنباري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، ط، مؤسسة سجل العرب، 1045 هـ.
37. أوستري، جاك، الإسلام أمام التصور الاقتصادي، 1961م.

38. البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ .

39. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ - 1997 م.

40. البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1، دار إحياء التراث العربي . بيروت، 1429 هـ.

41. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي . القاهرة.

42. البنا، حسن، مذكرات الدعوة والداعية، دار الشهاب . القاهرة.

43. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، ط1، دار إحياء التراث العربي . بيروت، 1418هـ.

44. البيهقي، شعب الإيمان، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423 هـ - 2003 م

45. التربية الجماعية من منظور قرآني، شبكة المشكاة الإسلامية، مقال نُشِر بتاريخ 1428/5/6هـ.

46. الترمذي، سنن الترمذي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395 هـ - 1975م.

47. التستري، سعد بن عبد الله، تفسير القرآن العظيم، ط1، منشورات محمد علي بيضون، 1423هـ

48. تفسير القرآن (اختصار تفسير الماوردي)، ط1، دار ابن حزم . بيروت، 1416هـ، 1996م.

49. التلمساني، عمر، كتاب الملهم الموهوب حسن البنا، أستاذ الجيل، دار الفتح، د.ت، د.ط.

50. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ط1، دار إحياء التراث العربي . بيروت، 1418هـ

51. الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422، هـ - 2002م.

52. جابر، حسين بن محسن علي، الطريق إلى جماعة المسلمين، دار الدعوة . الكويت

53. الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، 1403هـ -1983م.

54. الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية، 1424 هـ . 2003 م.

55. الجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

56. جمال الدين، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

57. الجهاد في سبيل الله، حسن البنا، سيد قطب، أبو الأعلى المودودي توزيع دار الجهاد، دار الاعتصام،

58. الجوزي، جمال الدين، تلبيس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . لبنان، 1421هـ/ 2001م.

59. الجوزية، ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط29، مؤسسة الرسالة . بيروت، 1416هـ.

60. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1411 هـ – 1990م.

61. الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط10، دار الجيل . بيروت، 1412 هـ.

62. الحلبي، شهاب الدين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم . دمشق.

63. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط1، دار الفكر المعاصر . بيروت، دار الفكر . دمشق، 1420 هـ . 1999 م.

64. الحوطي، غادة بنت عبد العزيز محمد، التوازن معيار جمالي، ط2، عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة، 1421هـ – 2000م.

65. حوى، سعيد، الأساس في السنة، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، 1409 هـ، 1989 م.

66. حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقا، دار الكتب العلمية . بيروت.

67. حوى، سعيد، في آفاق التعاليم، ط2، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن . عمان، 1401هـ . 1981م.

68. خطاب، محمود، العقيدة والقيادة، ط1، دار البشير . جدة، 1419 هـ – 1998م.

69. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي . القاهرة.

70. دراز، محمد عبد الله، ط10، مؤسسة الرسالة، 1418 هـ . 1998 م.

71. الدردير، أحمد بن محمد، الشرح الصغير.

72. الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.

73. ديوان الإمام الشافعي، ط3، دار الكتاب العربي . بيروت، 1416هـ . 1996م.

74. الراشد، محمد أحمد، أصول الافتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة.

75. الراشد، محمد أحمد، رسائل العين (رسالة نحو المعالي)، دار البشير للثقافة والعلوم.

76. الراشد، محمد أحمد، رمزيات حماسوية، ط1، مكتبة ومطبعة دار المنارة، 1426هـ . 2006م

77. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

78. الرملي، شمس الدين، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط الأخيرة، دار الفكر . بيروت، 1404هـ/1984م.

79. الرواحنة، علي جمعة، منهج عمر بن عبد العزيز في معالجة الأوضاع الاقتصادية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عدد 2، 1427 هـ . 2006 م.

80. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

81. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ط1، عالم الكتب . بيروت، 1408 هـ – 1988 م.

82. الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، ط1، دار الفكر . دمشق، 1422 هـ.

83. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي . بيروت، 1407هـ.

84. الزيلعي، فخر الدين، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، 1413هـ.

85. السجستاني، ابو داود، سنن أبي داود، المكتبة العصرية . صيدا . بيروت.

86. سراج الدين، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، 1419 هـ –1998م.

87. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ . 2000 م

88. سعيد، جودت، رسالة لم هذا الرعب كله من الإسلام

89. السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، دار الكتب العلمية.

90. السمعاني، تفسير القرآن، ط1، دار الوطن . الرياض . السعودية، 1418 هـ، 1997م.

91. السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية،

92. السيوطي، الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت، 1411هـ – 1990م.

93. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م.

94. شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ط10، دار الشروق، 1400هـ – 1980 م.

95. شهاب الدين، أحمد بن محمد، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر بيروت.

96. شوربجي، أحمد حسن، محمود عبد الحليم شيخ مؤرخي الحركة الإسلامية، ط1، دار الدعوة، 1422هـ . 2002 م.

97. الشوكاني، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، 1414هـ.

98. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة، 1417 هـ – 1997 م.

99. الصاوي، صلاح، جماعة المسلمين.

100. الصاوي، صلاح، مراجعات حول الثوابت والمتغيرات.

101. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

102. الصلابي، علي محمد محمد، الإيمان بالقدر، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

103. الصلابي، علي محمد محمد، تبصير المؤمنين بنفقة النصر والتمكين في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين مصر . القاهرة، 1422هـ 2004م.

104. الصلابي، علي محمد محمد، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ط1، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1429هـ . 2008م.

105. ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة الصواري للتوزيع، 1417هـ – 1996م.

106. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر . تونس، 1984 هـ.

107. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط2، مكتبة ابن تيمية . القاهرة.

108. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث . بيروت، 1387 هـ.

109. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م.

110. الطريق إلى جماعة المسلمين، دار الدعوة، الكويت، ط2، رسالة ماجستير في الحديث، . 1406هـ-1986م.

111. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة . القاهرة.

112. عبد الرحمن، ياسر، موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1428 هـ - 2007 م.

113. عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز، الرد على البردة، ط1، دار الآثار، د.ت.

114. العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، ط5، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، 1419 هـ.

115. عزام، عبد الله، الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان

116. عزام، عبد الله، حكم العمل في جماعة، دار ابن حزم، 1392هـ.

117. العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

118. علوان، عبد الله ناصح، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط6، دار السلام . القاهرة، 2001م.

119. علوان، عبد الله ناصح، بين الفردية والجماعية.

120. علوان، عبد الله ناصح، مدرسة الدعاة، ط7، دار السلام، 1431هـ . 2010م.

121. العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط7، دار إحياء التراث العربي . بيروت، 1404هـ . 1981م.

122. عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق

123. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، د.ط، د.ت.

124. العيد، ابن دقيق، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية.

125. العيني، بدر الدين، عمدة القرئ شرح البخاري، د.ط، دار إحياء التراث العربي . بيروت، د.ت.

126. الغزالي، محمد، المستصفى، ط1، دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1993م.

127. الغزالي، محمد، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ط1، دار نهضة مصر.

128. الغزالي، محمد، سر تأخر العرب والمسلمين، ط1، دار نهضة مصر.

129. الغزالي، محمد، عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق من كتاب الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر، ط1، دار نهضة مصر.

130. الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، ط1، دار نهضة مصر.

131. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار ومكتبة الهلال.

132. الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان، 1426 هـ – 2005 م.

133. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لجنة إحياء التراث . القاهرة، 1999 م.

134. الفيومي، أحمد بن حمد بن علي، المصباح المنير، المكتبة العلمية . بيروت.

135. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ط1، 1418 هـ، دار الكتب العلمية . بيروت.

136. القاضي أبي يعلى، العدة في أصول الفقه، ط2، 1410 هـ – 1990 م.

137. قاعود، إبراهيم، عمر التلمساني شاهداً على العصر، الناشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

138. القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم، الولاء والبراء في الإسلام، ط1، دار طيبة، الرياض– السعودية.

139. القرشي، نايف بن محمد بن عديان، التربية الجماعية في القرآن الكريم، جامعة أم القرى . مكة المكرمة . كلية التربية، 1430هـ . 2009م.

140. القرضاوي، يوسف، الاجتهاد المعاصر.

141. القرضاوي، يوسف، الإخوان المسلمون 70 عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 – 2001م.

142. القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، دار الرسالة . بيروت، 1974 م.

143. القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط1، مكتبة وهبة، 1397 هـ . 1977م.

144. القرضاوي، يوسف، الربانية والعلم

145. القرضاوي، يوسف، السياسة الشرعية، ط3، 2008 م.

146. القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1410 هـ . 1989 م

147. القرضاوي، يوسف، العقل والعلم

148. القرضاوي، يوسف، شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر 1397هـ.

149. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار البيان العربي، شركة القدس للتصدير، 1429 هـ . 2008 م.

150. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتب المصرية . القاهرة، 1384هـ – 1964م.

151. القشيري، لطائف الإشارات، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر.

152. القطان، إبراهيم، تيسير التفسير.

153. قطب، سيد، دراسات إسلامية

154. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق . بيروت . القاهرة، 1412 هـ.

155. قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط6، دار الشروق، 1980م.

156. قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية

157. الكاندهلوي، حياة الصحابة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1420 هـ – 1999 م.

158. الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح، ط1، دار الأضواء، 1411 هـ . 1991 م.

159. الكيلاني، عبد الرحمن، كتاب الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر، ط1، دار المناهج . عمان . الأردن، 1419 هـ . 2000م.

160. لرازي، زين الدين، مختار الصحاح، ط5، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، 1420هـ . 1999م.

161. الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، 1426 هـ – 2005م.

162. الماوردي، أدب الدين والدنيا، دار مكتبة الحياة، 1986 م.

163. الماوردي، الأحكام السلطانية، ط3، 1393 هـ . 1973 م.

164. مجاهد، تفسير مجاهد، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410 هـ - 1989م

165. محاضرة بعنوان عوامل النصر للشيخ محمد بن صالح العثيمين مؤسسة الاستقامة موقع خيرية العثيمين.

166. محمود، علي عبد الحليم، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، 1349هـ -1931م

167. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365 هـ. 1946 م.

168. المراغـي، ط1، شـركة مكتبـة ومطبعـة مصـطفى البـابى الحلبـي وأولاده، 1365 هـ - 1946م.

169. المراكبي، جمال، الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة، 1414 هـ. وهي عبارة عن رسالة دكتوراه.

170. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط4، دار القلم، 2005م.

171. مشهور، مصطفى، قضايا أساسية على طريق الدعوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

172. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية . القاهرة، دار الدعوة.

173. المقادمة، إبراهيم، معالم في الطريق لتحرير فلسطين

174. مقـال بعنـوان الفرق بـين الـدعوة إلـى الله والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، محمـود الحبيب، الأربعاء أكتوبر 2008/29 على موقع البشري alboshra2blogspot.com2008

175. المقدسي، ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة.

176. المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية . بور سعيد.

177. المقدسـي، محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختـارة، ط3، دار خضـر للطباعـة والنشـر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1420 هـ - 2000 م.

178. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، ط4، ا دار الندوة، 1420هـ.

179. موقع كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1431-2010م

180. النبهاني، تقي الدين، التكتل الحزبي، ط3،

181. النبهاني، تقي الدين، النظام الاقتصادي في الإسلام

182. النبهاني، تقي الدين، نظام الإسلام، من منشورات حزب التحرير.

183. الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، 1425 هـ.

184. الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

185. النسائي، سنن النسائي، ط2، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب، 1406 هـ – 1986 م.

186. النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، دار الكلم الطيب . بيروت، 1419 هـ – 1998 م.

187. النووي، شرح صحيح مسلم، ط2، دار إحياء التراث العربي . بيروت، 1392هـ.

188. النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت.

189. الهلالي، مجدي، عودة الروح ويقظة الإيمان، ط1، دار سراج، 1420 هـ . 2009 م.

190. الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار القلم، الدار الشامية . دمشق . بيروت، 1415 هـ.

191. الوكيل، محمد السيد، القيادة والجندية في الإسلام، ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1408 هـ . 1988 م.

192. يكن، فتحي، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، ط12، مؤسسة الرسالة، 1418هـ . 1997م.

193. يكن، فتحي، نحو حركة إسلامية عالمية،

خامساً: فهرس الموضوعات

ABSTRACT

For as long as nation has needed to organize it's external and internal relation, as it wouldn't only be through a group take that upon it's self.

as it is a nessisity for a person to belong to an Islamic group, to work through and give It his loyalty, so the research in the specifications (characters) of this saving group is a duty and a noble objective (goal).

So, this research has handled that subject about...

Saving Group in the Holly Quran "Objective Study".

This research has aimed to clarify the nessisity to work through a group, to rebuff suspicions that invite to non-partisanship, to discuss the specifications of this group, to illustrate the impact of the presence of this group to achieve succession, in addition to compare between the Islamic contemporary groups according to the characters mentioned in the Holly Quran.

The researcher has used the descriptive, analytical, critic approach, as she gathered verses which contain the concept of the group or the party, she used the original sources in interpretation, in addition to the inference with the prophetic and using the previous studies and related books.

The researcher has concluded:

1. The importance of the existence of the saving group and the obligatory to work through.
2. The significance of knowing the divine laws and the fact that the conflict between truth and falsehood.
3. The worth of knowing the Islamic contemporary groups.
4. The Moslem Brotherhood Group is the nearest to the character of the saving group.
5. The importance of reoperation between Islamic groups.
6. The Holly Quran has developed an integrated vision for the saving group characters, which applied it will achieve the best concept for the Islamic Group.

ملخص الرسالة

جاءت هذه الرسالة لتبرز عدة مفاهيم:

أولاً: أنه بحث علمي انتهجت فيه الموضوعية والنزاهة بعيداً عن التعصب الأعمى.

ثانياً: أنه دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم لوضع تصور واضح عن العمل الجماعي المنظَّم.

ثالثاً: أن عنوان البحث"الجماعة المنقذة"، يوحي بأهمية وجود هذه الجماعة لإنقاذ البشرية مما تعيشه من ويلات سياسية واجتماعية واقتصادية...الخ.

رابعاً: أن الخصائص والمواصفات الواردة في القرآن لهذه الجماعة تضفي عليها نوعاً من المصداقية حيث أنها تستمد منهاجها وتصورها من كتاب الله وسنة رسوله.

خامساً: أنها دعوة للجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة العالمية لإعادة النظر في الأسس التي قامت عليها، والعمل على تقييم أهدافها ووسائلها؛من أجل الارتقاء والنهوض لإعادة الأمة بكاملها إلى العزة والتمكين.

سادساً: أنها دعوة للتكاتف والتآلف والتجمع لتحقيق التكامل المنشود وإقامة حركة إسلامية واحدة تقف بكل قوة وعزة وصلابة وثبات في وجه كل التحالفات المحاربة للإسلام من صليبية وصهيونية وغيرها...من أجل تحقيق الاستخلاف وأن يكون الدين كله لله.

والحمد لله رب العالمين